السيرة النبوية

قسم اللغة العربية

تعليم أساسى

الفرقة الرابعة

دكتـــــــور

د.مدحت محمد عبد الحارث

قسم التاريخ

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى

دكتـــــــور

د. زينب بدوى

قسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب – جامعة جنوب الوادى

٢٠٢٣م

الفصل الأول

حياة العرب فى الجزيرة العربية قبل الإسلام

١- الحياة الدينية عند العرب.
٢- الحياة الاجتماعية.
٣- الحياة السياسية.
٤- الحياة الإقتصادية
٥- علوم ومعارف العرب قيل الإسلام

تمهيد:

تعددت الأراء حول لفظة عرب[١] واتفق العض على أن كلمة عرب تطلق على الناطقين للغة العربية من بدو وحضر فى شبه الجزيرة العربية ،وشبه الجزيرة العربية هى موطن العرب قديما وهى تقع فى الجنوب الغربى من قارة أسيا يحدها البحر الأحمر شرقاً(بحر القلزم) والمحيط الهندى جنوباً والخليج العربى غرباً المعروف عند اليونان باسم (الخليج الفارسي) وحدّها الشمالي خط وهمي يمتد في اصطلاح العلماء العرب من خليج العقبة حتى مصبّ شط العرب في الخليج العربي(بلاد الشام) ، وشبهالجزيرة العربية بلاد فسيحة ، أرضها حرات (حجارة سوداء تكونت بفعل البراكين)، قسمت قديماً إلى خمسة أقسام هى تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن، ولهذا الموقع أهمية كبيرة إذ كانت شبه الجزيرة العربية حلقة الوصل بين الحضارات القديمة ، على أن شبه جزيرة العرب ليست وحدها هي مسكن العرب، فقد كانت لهم مساكن فيما حولها، إلا أنها مساكن أكثرهم، وسكنوا كذلك في العراق من ضفة الفرات الغربية، حتى بلغوا

(١) تضاربت أراء المفسرين والمؤرخيين واللغويين حول لفظ عرب، ولم يتفقوا على رأي واحد بشأنها، وتنوعت التفسيرات إلى تاريخية وأسطورية وتخمينية، لمزيد من التفاصيل حول لفظة عرب أنظر : جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ط٤، دار الساقي١٤٢٢هـ، ج١،ص١٣- ٣٥؛محمد بيومى مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم،ط٢،: دار المعرفة الجامعية، ص١٢١ – ١٣٦.

أطراف الشام، كما سكنوا في فلسطين وسيناء إلى ضفاف النيل الشرقية حتى أعلى الصعيد، وغلب عليهم طابع البداوة والترحال [١] .

وقد وصف "ديودورس الصقلي" العرب بأنهم يعشقون الحرية، فيلتحفون السماء. وقد اختاروا الإقامة في أرضين لا أنهار فيها ولا عيون ماء، فلا يستطيع العدو المغامر الذي يريد الإيقاع بهم أن يجد له فيها مأوى. إنهم لا يزرعون حبًّا، ولا يغرسون شجرًا، ولا يشربون خمرًا، ولا يبنون بيوتًا. ومن يخالف العرف يقتل. وهم يعتقدون بالإرادة الحرة، وبالحرية. وهو يشارك في ذلك رأي "هيرودوتس" الذي أشاد بحب العرب للحرية، وحفاظهم عليها ومقاومتهم لأية قوة تحاول استرقاقهم واستذلالهم؛ فالحرية عند العرب هي من أهم الصفات التي يتصف بها العرب في نظر الكَتَبَة اليونان واللاتين[٢].

الحياة الدينية عند العرب قبل الإسلام:

عرف العرب قبل الإسلام أنواع متعددة من الديانات والعبادات فعبدوا بعض مظاهر الطبيعة التى كانت تحيط بهم مثل الأشجار وعيون الماء والكهوف والحجارة ويدل على ذلك أسماء بعض القبائل كبنى أسد وبنى كلب وبعض القبائل التى كانت تتسمى بأسماء طيور مثل عقاب ونسر أو أسماء نباتات مثل حنظلة أو أسماء أجزاء من الأرض مثل صخر وخميعها أسماء تشير إلى تقديس العرب لبعض الحيوانات والنباتات.

---

(١) محمد بيومى مهران : دراسات في تاريخ العرب القديم، ص٨١ - ٨٢؛ محمد النوى : الحياة الدينية فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة مؤمنون للدراسات والأبحاث، ٢٠١٥، ص٤

(٢) جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، ج١، ص٢٦٢.

الوثنية :

الوثنية العربية فى الجاهلية المتأخرة كانت امتداداً لمرحلة من العبادات المتنوعة حيث كان بعض العرب قد ارتقوا إلى التوحيد فى زمن نبى الله إبراهيم عليه السلام فإنهم سرعان ما عادوا إلى الوثنية بعده وأصبحت الوثنية الديانة الغالبة على عرب الجاهلية فى القرن السادس الميلادى، شاعت الوثنية في بلاد العرب قبل الإسلام، وقد قامت هذه الوثنية علي فكرة عبادة مظاهر الطبيعة كالأرض والسماء والنجوم والكواكب. ولما كان العرب يعتقدون بوقوعهم في حياتهم تحت تأثيرها؛ لذلك حرصوا علي إرضائها اجتلاباً لخيرها. فاتخذوا لها أشكالاً مختلفة من بيوت وأشجار وأحجار مصورة تمثل إنساناً أو حيواناً وأخري غير مصورة. وصاروا ينظرون حولها ويتاجرون عندها ويعتبرون المكان الذي فيه المعبود حرماً ، يحرم الإتيان فيه بأشياء معينة.

وكانت أديانهم مع ذلك مختلفة: فكانت حمير تعبد الشمس إلى أن تغلب سليمان على بلقيس، فتهود أهل اليمن. وكانت كنانة تعبد القمر، ولخم وجذام المشتري، وطيء سهيلا، وقيس الشعري العبور، وأسد عطارداً. وكانت ثقيف وإياد تعبد بيتا بأعلى نخلة يقال له: اللات. ثم عبدت إياد وبكر بن وائل كعبة سنداد وكان لحنيفة صنم من حسيس – وذلك أخلاط من تمر وأقط وسمن – فلحقتهم المجاعة فأكلوه، فقال في ذلك أحد الشعراء:

أكلت حنيفة ربها ... عام التقحم والمجاعة

لم يحذروا من ربهم ... سوء العواقب والشناعة"

"وكانت عبادة الأوثان فاشية في العرب حتى جاء الإسلام".[١]

فكانوا يعبدون الأصنام والأوثان والأنصاب:-

الصنم: هو ما يصنع من خشب أو ذهب أو فضة على صورة إنسان.

الوثن: هو ما كان يصنع على صورة إنسان من الحجارة وهى تماثيل منحوتة فى الحجر ترمز إلى الإله ولها تذبح الذبائح وتقدم القرابين.

الأنصاب: كانت أحجار تنصب فى الجاهلية ويذبح العرب عليها ذبائحهم فهى المذبح، وقد يتحول النصب بمرور الأيام إلى صنم يعبدونه ويقدسونه ويطوفون به.

وكانت الكعبة مقر أوثان أكثر العرب وكان هذا من أهم الأسباب التى جعلت لمكة وقريش الصدارة على كل مدن الحجاز وقبائلة، وأعظم الأصنام عند قريش فهو هبل الذى كان من عقيق أحمر على صورة إنسان مكسور اليد اليمنى، فصنعت له قريش يداً من ذهب وكان تمثاله أعظم صنم معلق على الكعبة.

الأصنام:

ومن الأصنام ماهو على صورة حيوان أو صورة إنسان مثل سواع: على صورة أمرأة، وود[٢]: على صورة رجل، ويغوث: على صورة أسد ويعوق: على صورة فرس ونسرا: على صورة طير النسر ومن الأصنام أيضاً:

---

(١) ابن سعيد الأندلسى : نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب،تحقيق نصرت عبد الرحمن ، مكتبة الأقصى، عمان – الأردن(د.ت)ص ٧٦.

(٢) ود : ظلت عبادته معروفة في الجاهلية إلى وقت ظهور الإسلام، وقد ورد اسمه في القرآن الكريم،و أن قبيلة "كلب" كانت تتعبد له بدومة الجندل. ووصفه فقال: "كان تمثال رجل كأعظم ما يكون من الرجال، قد ذبر عليه حلتان، متزر بحلة، مرتد بأخرى، على سيف قد تقلده، وقد تنكب

اللات: كانت بالطائف[١] وهى عبارة عن صخرة مربعة أقيم عليها بناء وكان أهل مكة يحجون إليها ويقدمون لها القرابين وبلغ من تعظيم العرب لها أنهم سموا أبنائهم عبد اللات وزيد اللات. ومنات: التى كانت من أقدم هذه الأصنام وهى من المنية وهى القضاء المحتوم فكانت إلهة القضاء وكان العرب يسمون أبنائهم عبد منات وزيد منات وقد نصب هذا الصنم على ساحل البحر بين المدينة ومكة وكانت تعزمها الأزد والأوس والخزرج حتى أمر الرسول(ص) على ابن أبى طالب بكسره عندما خرج لفتح مكة سنة (٨هـ / ٦٢٩م) ([٢]) .

قوسًا، وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة فيها نبل.." .ابن الكلبى : الأصنام . جواد على : المفصل ، ج٣، ص١١٥.

(١) الطائف : من مكة إلى الطائف مسيرة يومين وهى مدنية قديمة بينها وبين مكة اثنا عشر فرسخاً، طيبة الهواء شمالية، وسكن الطائف قبيلة ثقيف، أكثر فواكه مكّة منها ، ففيها الرمّان الكثير والزبيب والعنب الجيد والفواكه الحسنة ، وهي علي ظهر جبل غزوان ، ربّما يجلد بها الماء عامّتها مدابغ ، وإذا تاذّي ملوك مكّة بالحرّ خرجوا اليها. ابن المنجم : آكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان . إسحاق بن الحسين المنجم ،عالم الكتب، بيروت١٤٠٨ هـ، ص٥٦؛ الهمداني : صفة جزيرة العرب، طبعة: مطبعة بريل - ليدن، ١٨٨٤ م،ص١٢١؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، ط٢، دار صادر، بيروت١٩٩٥ م، ج٤، ص٨-١٠.

(٢) فتح مكة : تم فتح مكة على يد الرسولﷺ ، وذلك في ٢٠ رمضان في السنة الثامنة من الهجرة وذلك بسبب نقض قريش لصلح الحديبية (٦هـ / ٦٢٨م) وذلك عندما شجعت قبيلة بكر التي دخلت في حلفها وفق بنود ذلك الصلح الاعتداء علي قبيلة خزاعة التي دخلت في حلف النبيﷺ وبالفعل أعتدت قبيلي بكر علي قبيلة خزاعة ليلاً ، ولذلك استنجدت قبيلة خزاعة باالنبي ﷺ الذى جهز جيشاً قوامة ١٠ الألف مقاتل وأتجه به إلي مدينة مكة وصمم علي فتحها ؛ وعندما رأت قريش ذلك الجيش الجرار الذي يقوده النبيﷺ ، فأعلن أهل مكة التسليم بدون قتال ، ولكن وجدت بعض المناوشات التي حدثت يوم ذلك. للمزيد من التفاصيل عن فتح مكة .انظر. البَلاَذُري: فتوح البلدان، دار ومكتبة الهلال، بيروت ١٩٨٨ م ،ص ٤٥-٥٠. ؛ المسعودي: التنبيه والإشراف، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي ،القاهرة، (د.ت) ، ص ٢٤٢ ، ٢٤٩..

والعزى: وهى أحدث من منات واللات وكانت قريش تقدسها وتعظمها وكانوا يسمون أبنائهم عبد العزى(١).

وقد ورد ذكرهن فى القرآن الكريم فى صورة النجم فى الآيات ١٩ ((أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى)) وما بعدها، ومن الأصنام التى عظمها العرب أساف ونائلة اللذان كانا بالكعبة وكانت قريش تنحر عندهما.

الصابئة: عبدة طائفة من العرب الكواكب والنجوم كالشمس والقمر والزهرة فضلاً عن كواكب أخرى مثل الشعرى وعطارد وقد عرف عبدة الكواكب بالصابئة، حيث عبد العرب الشمس وخاصة فى المناطق الزراعية ومثل لذلك مدينة تدمر ومدينة البطراء وأيضاً عبدها العرب الجنوبيين ويدلنا على ذلك ما جاء فى القرآن الكريم فى صورة النمل على لسان الهدهد قال تعالى" وَجِئْتُكَ مِن سبأ بنبأ يَقِينٍ* إِنّي وَجَدتُّ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شيء وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ* وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ " وأصل دينهم فيما زعموا أنهم يأخذون محاسن ديانات العالم ويخرجون من قبيح ماهم عليه قولاً وعملاً بذلك سموا بالصابئة أى الخارجين لأنهم خرجوا عن تقيضهم بحملة كل دين .

المجوسية:

عرف العرب المجوسية أو عبادة النار عن طريق الفرس فى الحيرة واليمن والبحرين وكانت المجوسية فى العرب فى تميم كما عرف العرب الزندقة وهى نوعان زندقة ثنوية تقول بالنور والظلام كالمزدكية والزرادشتية، وزندقة دهرية يقول من يعتقد فيها بالدهر، وهم قوم أنكروا الخالق والخلق وقالوا بالطبع المحيي والدهر المفنى

(١) ابن سعيد: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ص ٧٨.

" وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلاَّ الدَّهْرُ".

اليهودية:

دخلت اليهودية شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وانتشرت فى أكثر من موضع فمن المعروف ان جماعات يهودية كثير هاجرت إلى بلاد العرب بعد أن دمر الرومان بيت المقدس " اورشالين" سنة ٧٠م وهذه الجماعات استقرت فى يثرب(١) وخيبر ووادى القرى وفدك وتيماء، ولكن اليهودية ظلت محدودة الحيز رغم اختلاط اليهود بالعرب واحتكارهم لبعض الحرف والصناعات كالصباغة والحدادة وصناعة الأسلحة والصيرفة مما جعلهم قوة اقتصادية مؤثرة، ولكن اليهود لم يكونوا مهتمون بالتبشير ونشر دينهم بين الناس تعصباً منهم واعتقاداً بأنهم شعب الله المختار وأن غيرهم من الشعوب غير جدير بهذه الصفة وبالتالى غير جدير بالدخول فى اليهودية، فضلاً عن أن العرب كانوا يحتقرون اليهود باعتبارهم عملاء للفرس فى اليمن ولتهافتهم على جمع الأموال ونكث العهود والمواثيق، ومع ذلك قيل أن اليهودية راجت فى اليمن فى عهد ذى نواث أخر ملوك حمير.

المسيحية:

ومن الديانات التى انتشرت فى جزيرة العرب قبل الإسلام المسيحية التى انتشرت فى قبائل تغلب وغسان وقضاعة فى الشمال وبلاد اليمن فى الجنوب ودخلت بلاد العرب بفضل جهود أباطرة الدولة الرومانية الشرقية ويرجع سبب انتشار

---

(١) يثرب : بفتح أوله، وسكون ثانيه، وكسر الراء، وباء موحدة وهي مدينة النبي ﷺ ،وبينها وبين مكة نحو من عشر مراحل،فلما نزلها رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، سماها طيبة بها بساتين ونخيل ، وبها الآطام والحصون، سكنها اليهود والاوس والخزرج، ، و أطلق الرسول ﷺ علي يثرب اسم المدينة. المقدسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، ط٣ ، مكتبة مدبولي ، القاهرة١٩٩١م ، ص٨١ ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، ج٥، ص٤٣٠.

المسيحية فى جزيرة العرب إلى مجاورتها لمراكز مسيحية وهى سورية فى الشمال الغربى والعراق فى الشمال الشرقى والحبشة[١] فى الغرب والجنوب، كانت أهم مواطن النصرانية فى العرب نجران باليمن كما انتشرت أيضاً بين المناذرة ودخلت بلاد العرب عن طريق التبشير، وعلى الرغم من ذلك لم تنشتر إنتشاراً كبيراً ولم ترسخ أقدامها فى الجزيرة العربية ويرجع ذلك إلى أن الأباطرة لم يسعوا سعياً جدياً فى نشرها بجانب ما أصاب المسيحية من خلاف مذهبى وأيضاً مقاومة اليهود لها.

الحنيفية:

عقيدة ظهرت فى بلاد العرب قبل الإسلام وكان سبب ظهورها أن بعض عقلاء العرب الذين سمت نفوسهم عن الانغماس فى مساوئ الوثنية وعبادة الأصنام ولم يقبلوا الدخول فى اليهوية ولا النصرانية فاعتنقوا التوحيد على دين إبراهيم خليل الله وكان إبراهيم حنيفاً فتسموا بالحنفاء، ولم تكن الحنيفية دين جديد بل كانت حركة دينية تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن فى البعث بوجود إله واحد يحاسب ويجازى الناس على أعمالهم من خير وشر وكانوا يدعون إلى نبذ عبادة الأوثان وعادات الجاهلية كوأد البنات وشرب الخمر ولعب الميسر ومن هؤلاء الحنفاء أمية بن أبى الصلت الشاعر المعروف، وورقة ابن نوفل ابن عم

---

(١) الحبشة : هي أرض واسعة شمالها الخليج البربري، وجنوبها البر، وشرقها الزنج، وغربها البجة. وهى بلاد شديدة الحرارة ، وتشتهر بجلود النمور البربريةأكثر أهلها نصاري يعاقبة، والمسلمون بها قلة، وطعامهم الحنطة والدخن، وعندهم الموز والعنب والرمان، ولباسهم الجلود والقطن. ابن خرداذبة :المسالك والممالك، دار صادر أفست ليدن، بيروت١٨٨٩ م، ص١٤٥؛ السيرافي : رحلة السيرفى ،المجمع الثقافي، أبو ظبي، ١٩٩٩ م، ص٨٩؛ الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت١٤٠٩ هـ، ج١، ص٤٢، ٤٣.

السيدة خديجة وقص بن سعادة الأيادى وزهير بن أبى سلمة الشاعر وزيد بن عمرو بن نفيل وغيرهم.

الحياة الاجتماعية عند العرب قبل الإسلام:

مثلت القبيلة العربية النظام السياسى للعرب قبيل الإسلام حيث تعتبر القبيلة الوحدة السياسية عند العرب فى الجاهلية، والقبيلة هى جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم رابطة العصبية للأهل والعشيرة، والعصبية تدعو إلى نصرة الفرد لأبناء قبيلته ظالمين كانوا أم مظلومين وتقوم العصبية على النسب، وبقاء القبيلة مرهون ببقاء روح العصبية بين أفرادها، والعصبية تحتم على الفرد أن يلبى نداء قبيلته إذا دعته إلى نصرتها وقت الخطر فينصرها وينصر إخوانه، والعصبية تحتم على الفرد أن يقبل بعض مسؤليات أعمال غيره فيساهم فى دفع الديات للقتلى أو الفداء على الأسرى ولهذا فإن روح الديمقراطية والمساواة هى الأساس الذى يقوم عليه المجتمع القبلى.

وكان المجتمع القبلى ينقسم إلى ثلاث طبقات اجتماعية أولها أبناء القبيلة الأحرار الصرحاء النسب تليها طبقة الموالى الذين اندمجوا فى القبيلة عن طريق الحلف أو الجوار وأخيراً طبقة العبيد أو الرقيق، وكانت القبيلة تنقسم إلى بطون والبطون تنقسم إلى أفخاذ والأفخاذ تنقسم إلى عشائر والعشائر تنقسم إلى عائلات أو أسرات، والأسرة العربية فى الجاهلية لم تكن مفككة ولكن الولاء كان للقبيلة كلها وليس للأسرة وحدها وكانت الأسرة تتكون عن الزواج فكان الرجل يخطب المرأة من زويها وكثيراً ما كانت المرأة تستشار فى أمر زوجها وكان الطلاق بيد الرجل إلا أن بعض النساء كن يشترطن أن يكون لهن حق الطلاق،

وكان العربى لا يقبل تزويج بناته لغير العرب حتى لو كان راغب الزواج من الأكاسرة.

وكان العربى لا يكتفى بزوجة واحدة بل تعددت زيجاته فى أغلب الأحيان بلا حدود، وكان الزواج عندهم أنواعاً متعددة

الزواج عند العرب قبل الإسلام :

زواج الصداق أو البعولة: وهو يتم أن يخطب الرجل ابنة الرجل فيصدقها بصداق يحدد مقداره ثم يعقد عليها وكانت قريش وكثير من قبائل العرب يفضلون هذا الزواج وأبقى عليه الإسلام.

زواج المتعة: وهو تزوج المرأة إلى أجل فإذا انقضى افترقت عنه ولأولاده حق الانتساب إليه، ونهى الرسول(ص) عن هذا الزواج.

زواج الإماء: ولا يحق للرجل الاعتراف بأبنائه من هذا الزواج وليس له صداق.

زواج المقط: وهو أن يتزوج الابن زوجات أبيه إذا مات ما عدا أمه.

زواج الاستبضاع: وهو أن يسمح الرجل بمجامعة زوجته لأحد الرجال المرموقين ثم يعتزلها زوجها حتى يتبين حملها ثم ينسب الولد للزوج الأصلى.

زواج الرهط: وهو أن تتزوج المرأة من عدد من الرجال دون العشرة، وعندما تلد كانت تخبرهم فإذا كان المولود ذكراً حدث مزاداً عليه وإن كان المولود انثى تركوه[١].

(١) ابن سعيد: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ص ٨٠.

وكانت للزوجة مكانتها فهى شريكة للرجل وموضع تقديرة، وكانت للمرأة كأم منزلة عالية وكثيراً ما كان العربى ينتسب إلى أمه ويفتخر بنسبه إليها، ومع أن الغالبية من العرب كانت تفضل البنين على البنات إلا أن البعض كانوا يعتزون ببناتهم حتى كانوا يكنون بهن مثل ربيعة بن رباح وهو والد الشاعر المعروف زهير بن أبى سلمة، وكان النابغة الذبيانى الشاعر المشهور يكنى بأبى أمامة. غير أن بعض العرب كانوا يكرهون البنات إلى القيام بوأدهن أحياء، وذلك خشية الفقر وعدم القدرة على تربية الأولاد، ويرى البعض الآخر أن السبب فى ذلك كان الحرص على صيانة العرض وخشية أن تجر البنت العار على قبيلتها فى المستقبل نتيجة للسبى وأشار القرآن الكريم إلى ذلك بقوله: " **لاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ مِّنْ إمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ**" سورة الأنعام آية ١٥١، وشاعت هذه العادة فى قبائل تميم وقيس وهزيل وقريش وكندة وبكر وبعض الناس منعت الوأد وكانوا يشترون الموءودة مثل صعصعة بن ناجية جد الشاعر الفرزدق فقد انقذ مائتين وثمانين موءودة واشترى كل منهن بناقتين عشراوين وجمل.

وقد تحلى العرب فى الجاهلية بكثير من الأخلاق الحميدة كالكرم والشجاعة والعفة والوفاء بالعهود وكراهية الغدر وعرفوا بالنجدة واغاثة الملهوف وبجانب هذه الصفات اتصفوا بكثير من الصفات الذميمة الاعتداء والثأر ووأد البنات والانغماس فى الملذات والتشائم والاعتقاد فى الفأل وزجر الطير والاعتقاد فى الكهنة واستطلاع الغيب.

ومن خصائص المجتمع الجاهلى التفاخر بالأجداد والآباء والأنساب

ومن مظاهر الحياة الاجتماعية عند العرب فى الجاهلية الأحلاف

الأحلاف :

كان للأحلاف شأن كبير في حياة العرب قبل الإسلام[١] ، ولقد تحالفت العديد من القبائل العربية مع بعضها البعض فقد تحالفت غطفان وبنو أسد وطيء، قيل لهم: الأحاليف؛ لعقدهم حلفًا على التناصر والتآزر ، وهناك كذلك حلف "المطيبين"[٢] ، ومن الأحلاف المشهورة عند العرب : حلف "الرباب" [٣]، وحلف الفضول[٤] وحلف لعقة الدم[٥] ،وتكون الهيمنة في الأحلاف التي تعقد بين قبائل غير متكافئة للقبائل القوية، أي: للقبائل التي لجأت إليها القبائل الضعيفة لعقد حلف معها. فتكون الكلمة عندئذ لسادات القبائل البارزة في هذا الحلف، وعلى القبائل الضعيفة دفع شيء للقبائل القوية

---

(١) الحلف : اللغة بمعنى العهدُ بين القوم، والحلف والمحالفة: المعاهدة، وأصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد، ثم عُبر به عن كل يمين، والمحالفة: أن يحلف كل للآخر.

(٢) الحلف : اللغة بمعنى العهدُ بين القوم، والحلف والمحالفة: المعاهدة، وأصله اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها العهد، ثم عُبر به عن كل يمين، والمحالفة: أن يحلف كل للآخر.

(٣)حلف "الرباب". وهو حلف عقد بين المتحالفين بإدخال أيديهم في "رُبّ" وتحالفوا عليه، أو لأنهم جاءوا برب فأكلوا منه، وغمسوا أيديهم فيه، وتحالفوا عليه، فصاروا يدًا واحدة، وقيل: لأنهم اجتمعوا كاجتماع الربابة، وهم: تيم وعدي وعُكْل ومُزَينة وضَبَّة أو: ضبة، وثور، وعكل، وتيم، وعدي .

(٤) حلف الفضول : إذ تداعت قبائل من قريش إلى حلف وتعاهدوا وتعاقدوا على ألا يجدوا بمكة مظلومًا من أهلها ومن غيرهم ممن دخلها من سائر الناس إلا قاموا معه، وكانوا على من ظلمه حتى ترد عنه مظلمته، فسمت قريش ذلك الحلف حلف الفضول٢، وهو من الأحلاف التي ظل الناس يحترمون أحكامها حتى الإسلام. وقد عقد على هذه الصورة: اجتمعت بنو هاشم وأسد وزهرة وتيم في دار عبد الله بن جدعان، وصنع لهم طعامًا كثيرًا، ثم "عمدوا إلى ماء من ماء زمزم فجعلوه في جفنة، ثم بعثوا به إلى البيت فغسلت به أركانه، ثم أتوا به فشربوه .

(٥) حلف لعقة الدم : وقد عقد على أثر تخاصم القبائل من قريش فى وضع الحجر الأسود فى موضعه فلما استعدت للقتال قربت بنو عبد الدار جفنة مملؤة دماً ثم تعاقدوا هم وبنو عدى بن كعب بن لؤى على الموت وأدخلوا أيديهم فى ذلك الدم فى تلك الجفنة فسموا لعقة الدم .

في مقابل حمايتها لها وبسط سلطانها عليها، ونظرًا إلى ما للحلف من قدسية في النفوس، أصبح من المعتاد عقده في مراسيم مؤثرة [١].

وفي كلمة الحلف شيء من الدلالة على الشعائر والأيمان والمعاني الدينية؛ ولذلك قيل للحلف اليمين، لأن من عادتهم عند عقد الحلف بسط أيمانهم إذا حلفوا ، ولا تعرف صيغة واحدة معينة للقسم الذي يقسم به المحالفون. فمنهم من أقسم بالأصنام التي يعبدونها ويقفون عندها حين يعقدون الحلف، ومنهم، وهم أغلب أهل مكة، من كانوا يحلفون عند الركن من الكعبة، فيضع المتحالفون أيديهم عليه، فيحلفون ، ومنهم من أقسم بالآباء والأجداد، لما لهم من مكانة ومقام في نفوسهم. ومنهم من حلف وعقد الحلف عند المشاهد العظيمة، أو في معابد الأصنام، أو عند قبور سادات القبائل المحترمين، فيحلفون بصاحب هذا القبر ويذكرون اسمه على التعاقد والتآزر أو على ما يتفق المتحالفون عليه، وعلى الوفاء بالعهد ،والأحلاف تضم عدداً من القبائل توحدت مصالحها فاتفقت على حلف فيما بينها فانتسبت القبائل الضعيفة منها إلى القوية وكان من أهم عوامل تكوين الأحلاف بين القبائل المحافظة على الأمن والدفاع عن مصالحها المشتركة، وقد وصف "هيرودوتس" طريقة من طرق التحالف والمؤاخاة والمحافظة

---

(١) حلف " المطيبين " الذي عقد في مكة بعد اختلاف بني عبد مناف وهاشم والمطلب ونوفل مع بني عبد الدار بن قصي، وإجماعهم على أخذ ما في أيدي بني عبد الدار مما كان قصي قد جعله فيهم من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، فعقد كل قوم على أمرهم حلفًا مؤكدًا، على ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضًا "ما بَلَّ بحرٌ صوفةُ"، فأخرج بنو عبد مناف جفنة مملوءة طيبًا، فيزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف أخرجنها لهم، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا هم وحلفاؤهم، ثم مسكوا الكعبة بأيديهم توكيدًا على أنفسهم، فسُموا المطيبين. وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا هم وحلفاؤهم عند الكعبة حلفًا مؤكدًا على ألا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضًا، فسُموا الأحلاف .جواد على : المفصل،ج٧، ص ٣٧٠- ٣٧٦.

على العهود عند العرب، فذكر أن العرب يحافظون على العهود والمواثيق محافظة شديدة، لا يشاركهم في ذلك أحد من الأمم، ولها قداسة خاصة عندهم، حتى تكاد تكون من الأمور الدينية المقدسة. وإذا ما أراد أحدهم عقد حلف مع آخر، أوقفا شخصًا ثالثًا بينهما ليقوم بإجراء المراسيم المطلوبة في عقد الحلف؛ ليكتسب حكما شرعيًّا، فيأخذ ذلك الشخص حجرًا له حافة حادة كالسكين يخدش به راحتي الشخصين قرب الإصبع الوسطى، ثم يقطع قطعة من ملابسهما فيغمسهما في دمي الراحتين، ويلوث بهما سبعة أحجار. حتى إذا انتهو منها قاد الحلف حليفه إلى أهله وعشيرته لإخبارهم بذلك وللإعلان عنه، فيصبح الحليف أخًا له وحليفًا، أمرهما واحد بالوفاء، وقريب من هذا ما كانت تفعله قريش حين تعقد حلفًا، فيأخذ الحليف حليفه إلى الكعبة، ثم يطوفان بالأصنام لإشهادها على ذلك، ثم يعود الحليف بحليفه لإشهاد قريش ومن يكون في الكعبة آنئذ على صحة هذا الحلف، وقبوله محالفة الحليف، إذ أصبح وله ما له وعليه ما عليه، وعلى قومه حمايته حمايتهم له، وتدون الأحلاف أحيانا لتوكيدها وتثبيتها، وتحفظ عند المتعاقدين، وقد تودع في المعابد كالذي رُوي في خبر "صحيفة قريش" يوم تآمر المشركون وتحالفوا على مقاطعة "بني هاشم" في شِعْبهم، إذ كتبوا صحيفة بما اتفقوا عليه، ثم أودعوها -كما يقول أهل الأخبار- جوف الكعبة [١].

وقد تركت الأحلاف أثراً مهما فى الحياة السياسية والاجتماعية عند العرب قبل الإسلام.

الحياة السياسية للعرب قبل الإسلام:

(١) جواد على : المفصل ،ج٧، ص٣٧٧-٣٨٢ .

مثلت القبيلة العربية وحدة النظام السياسى فى شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وتعصب العربى بأبناء القبيلة لأنه يجرى فى عروقهم دم واحد هو دم أبيهم الذى سميت القبيلة باسمه والجميع كانوا يقدسون قبيلتهم لدرجة تفوق الميول والاختلاف الدينى، فالقبيلة أقوى من الإيمان الدينى عند العربى قبل الإسلام.

و"العربي عصبي المزاج، سريع الغضب، يهيج للشيء التافه، ثم لا يقف في هياجه عند حد، وهو أشد هياجًا إذا جرحت كرامته، أو انتهكت حرمة قبيلته. وإذا اهتاج، أسرع إلى السف، واحتكم إليه، حتى أفنتهم الحروب، وحتى صارت الحرب نظامهم المألوف وحياتهم اليومية المعتادة[1].

شيخ القبيلة

كان شيخ القبيلة أو سيدها على قمة القبيلة ولقب أيضاً بالملك أو الأخير ويجب أن يتصف بالشجاعة والكرم وأن يكون أغنى أفراد القبيلة مالاً ويمتلك من التجارب والحكم التى منحتها له خبرة الحياة وكبر السن ويجب أن يكون من أقوى فروع القبيلة نسباً ورجالاً حتى يزعن له الجميع، وكانت شخصيته تلعب دوراً هاماً فى إظهار القبيلة بالقوة والضعف والشخصية القوية كانت تجعل القبيلة على رأس القبائل المجاورة كلها أما إذا كانت شخصيته ضعيفة فغالباً ما كانت تنهار القبيلة ويضعف شأنها.

لم يكن منصب رئيس القبيلة وراثى إنما كانت تعطى لمن تتوفر فيه الشروط والمواصفات والسيادة، ومن مهام شيخ القبيلة الآتى:

١- قيادة القبيلة فى الحروب.

---

(١) جواد على : المفصل،ج١، ص ٢٦٧.

٢- تقسيم الغنائم.

٣- عقد المخالفات ومقابلة الوفود والضيافات.

٤- دفع ديات القتلى.

٥- الحكم فى الزواج والطلاق.

٦- فض المنازعات والخصومات بإقامة الصلح بين المتنازعين من أفراد قبيلته أو مع القبائل الأخرى.

وكان لكل قبيلة مجلس من شيوخها يرأسها شيخ يختارونه من بينهم ويسمونه الرئيس أو الشيخ أو الأمير أو السيد وهو شيخ القبيلة وهذا المجلس يضم الآتى:

١- رؤساء البطون والعشائر: وكان يشاورهم فى مختلف الأمور الهامة التى تتعرض لها القبيلة.

٢- الخطيب: الذى يدافع ويتحدث باسم سيده.

٣- الشاعر: الذى يمدح أفراد قبيلته وتفتخر بانتصارتهم ويذم ويهجوا القبائل المتصارعة مع قبيلته، وكان الشاعر المشهور يطلقون عليه الكامل.

٤- الكاهن: وهو الذى يلجئ إليه أفراد القبيلة فى الأمور الهامة لأنهم يعتقدون أنه تابعاً للجن.

٥- العراف: وهو من أهم الشخصيات التى تعرف الأمور بالقرائن والتجارب، ومعرفة مواطن الأمور والمستقبل.

وكان هناك النادى وهو المكان الذى يجتمع فيه مجلس القبيلة عند الحرب أو الأمور الخطيرة التى تهم القبيلة، ويظل منعقداً دائماً عند إعلان الحرب على أى قبيلة أخرى ومن أجل الإستعداد للحرب، وتأتى رؤساء القبائل

المتحالفة وينضمون إلى هذا المجلس ويعلنون تضامنهم وتكتلهم مع مجلس القبيلة وشيخها.

وكانت الأحلاف لازمة لقبائل العرب فكان القليل منضم إلى الكثير والضعيف للقوى، ومثل الزواج والصاهرة إحدى الروابط الاجتماعية والسياسية عند العرب قبل الإسلام حيث كان الزواج بمثابة حلف بين القبيلتين ومن أهم أحلاف العرب حلف الرباب وحلف الأحلاف وحلف الفضول وغيرهم من الأحلاف.

المناصب : وكانت وراثية في أكبر افراد البيت وهي:

١- **الحجابة او السدانة :** وهي حراسة مفاتيح الكعبة وكانت وظيفة دينية وضعت في يد بني عبد الدار ، ولما اسلمت مكة بعد الفتح ظلت في يد عثمان بن طلحة.

٢- **السقاية :** ويقصد بها الاشراف علي بئر زمزم وسقاية الحجاج ووضعت في يد بني هاشم ، وكانت في يد العباس ابن عبد المطلب وقت فتح مكة .

٣- **الرفادة :** وهي الاشراف علي الضريبة المخصصة لإطعام الفقراء ، وكانت لعب المطلب ثم نقلت الي ابي طالب ، ونقلت بعد ذلك الي بني نوفل ابن قصي.

٤- **الديات:** وتسمي الاشفاق ، وهي من الوظائف الهامة وكان صاحبها اذا احتمل شيء فسأل فيه قريش صدقوه ، وكانت في يد

بني تميم بن مرة ، وعند ظهور النبي (ص) كان عليها عبدالله بن ابي قحافة (أبو بكر) [١] رضي الله عنه.

٥- **اللواء** : وكان صاحبه يعتبر كبير القواد ويسير أمام الركب في أسفارهم للقتال أو للتجارة ، وكانت لبني أمية .

٦- **الندوة** : ورئيسها يعتبر كبير مستشاري الدولة ، ولا يصدر أمراً عن قريش الا بموافقته.

٧- **الخيمة**: ويقصد بها حراسة قاعة المجلس ولصاحبها حق حشد الجنود .

٨- **الخزانة**: وهي إدارة الأموال .

٩- **السفارة** : وكان صاحبها ذا حق مطلق في البت في شئون الصلح بعد الحرب أو الخلافات التي تقوم بين قريش وغيرها .

١٠- **الأزلام**: وهي التي يشرف صاحبها علي السهام ، والعرب يقسمون بها للاستخارة لمعرفة رأي الآلهة وكان أكبر أصحاب المناصب سناً هو الذي يتولى الرياسة ويلقب بسيد القوم .

---

(١) أبو بكر الصديق ﷺ: هو عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، ويلتقي فى النسب مع النبي ﷺ في الجد السادس مرة بن كعب، ولد سيدنا أبو بكر ﷺ في مكة بعد عام الفيل بسنتين وستة أشهر، لقبه النبي ﷺ بالعتيق والصدِّيق ،لقبه الله بالصاحب والأتقي، ولقب كذلك بالأواه، أسلمَ دون تردد، وقد وصفه أصحاب السير فقالوا: إن أبا بكر ﷺ اتصف بأنه كان أبيض تخالطه صفرة، حسن القامة، نحيفًا خفيف العارضين، رقيقا معروق الوجه ، غائر العينين، ناتئ الجبهة، وهو من أغنياء قُريش ، وأنفق أمواله في سبيل الله ، وهو أولُ الخُلفاء الراشدين، وأحد العشرة المُبشرين بالجنَّة، شَهِد المشاهد كلها مع النبيﷺ ، وبويع سيدنا أبو بكر بالخِلافة سنة (١١هـ/٦٣٢م)، توفي يوم الإثنين ٢٢ جمادي الآخرة سنة (١٣هـ / ٦٣٤م)، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة. ابن سعد : الطبقات ، ج٣، ص١٦٩-١٩٣؛ عَلي الصَّلاَّبي : الانشراحُ وَرَفعُ الضِّيق في سِيرة أبي بَكْر الصِّديق، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة - مصر ٢٠٠٢ م، ص١٧-٣٠.

٤- أيام العرب :

ساد الحياة القبلية نظم اجتماعيه مشتركة خضع لها جميع العرب، سواء أكانوا من أهل المماليك أو الإمارات أو المشيخات. وتجلت قوة تلك النظم ومؤسساتها فى ثلاثة مظاهر كبرى هى أولا: الوقائع التى نشبت بين القبائل العربية على اختلاف وحداتها الصغرى والكبرى، والتى اشتهرت باسم " أيام العرب " وثانيا: الأشهر الحرم، وثالثا: الأسواق.

وتعتبر أيام العرب المرآة التى انعكست عليها النظم القبلية بشتى ألوانها، السياسية والاجتماعية والاقتصادية كذلك. فكان أهم أسباب الصراع هو النزاع على الماشية وأراضى المراعى وعيون الماء، أو للأخذ بالثأر، أو للتخلص من سيطرة قبيلة كبرى، على قبيلة صغرى، أو رفض الإتاوات التى يفرضها حلف قبلى كبير على ما جاوره من قبائل، أو محاولات فرديه قام بها نفر من زعماء القبائل لإظهار البطولة وأعمال الفروسية، بالإضافة إلى طمع القبائل بعضها في بعض، ولا سيما القبائل التي ترتبط بروابط حلف مع قبائل أخرى. والعادة أن القبائل القوية تطمع في القبائل الضعيفة لتأخذ منها ما عندها من مال ورزق، والقبائل الضاربة على أطراف الحضارة، تطمع في الحضر لما عندهم من رزق حرمت منه،ولهذا صار من اللازم على الحضر حماية أنفسهم بالحصون والسلاح ، وأثرت العلاقات الشخصية بين سادات القبائل، من زواج وطلاق، ومن حسد وتنافس، ومن كلمة نابية قد تثير حربًا بين قلبي شخصين متنافرين، ومن عمل سفيه جاهل يثير غزوًا وحربًا بسبب عصبية قومه له، ودفاع الجانب الآخر عن صاحبهم حمية وغيرة. إلى غير ذلك من عوامل معقولة مفهومة وعوامل تافهة سخيفة تجد لها مع ذلك مكانة في القلوب؛ فتثير غزوًا وتسبب نكبة ،

فالغزو إذن هو: حاصل ظروف طبيعية واقتصادية واجتماعية، ألمت بالأعراب وأجبرتهم على ركوب هذا المركب الخشن. كارهين أما مختارين فليس للأعرابي للمحافظة على حياته ولتأمين رزقه غير هذا الغزو(١).

وهذه الأيام تؤلف -في الواقع- القسط الأكبر من علم الأخباريين بتأريخ الجاهلية، ومادتها القصص الذي تناقله الناس عمن شهدوها، وحفظوه في صدورهم، إلى أن كان التدوين فدوِّن. ومادة هذه الأيام عربية خالصة، يتخللها شعر قيل بالمناسبة في تلك الأيام في الفخر والحماسة وفي هجاء الخصم والانتقاص منه. والفضل هو لهذا الشعر في حفظ أخبار تلك الأيام، وصيانتها من النسيان، وعلى هذه المادة العربية اعتماد المؤرخ في تدوين تأريخ العرب في الجاهلية، وتتبع التطورات السياسية التي حدثت قبيل الإسلام.

وفي شعر المخضرمين وشعر الشعراء الإسلاميين الذين نبغوا في العهد الأموي مادة تفيدنا في الوقوف على خبر تلك الأيام، فقد حفظ تفاخر الشعراء بقبائلهم ومهاجاة بعضهم لبعض آثار تلك الأيام، فدونت في شعر الهجاء والتباهي والتفاخر، وزاد بذلك علمنا الذي أخذناه من أخبار الأيام ومن الشعر الجاهلي الذي أشير فيه إليها.

وألف فيه جماعة، منهم "أبو عبيدة" المتوفى سنة "٢١٠" أو "٢١١" للهجرة، وأدخله قوم في مؤلفاتهم، فأفردوا له بابًا أو أبوابًا، ولكنا لا نملك حتى اليوم كتابًا قديمًا قائمًا بذاته في الأيام. وكل ما نملكه هو هذه الأبواب الداخلة في بطون كتب الأدب في الغالب وفي بعض كتب التأريخ والجغرافيا، وقد أشار "ابن النديم" وغيره إلى أسماء مؤلفين ألفوا كتبًا في أيام العرب٢. منهم من ألف

(١) جواد على : المفصل،ج١٠، ص ٥ -٧.

عنها كلها، ومنهم من ألف عن بعضها. ومنهم من ألف في أيام قبائل معينة. وقد ورد أن "أبا الفرج الأصبهاني" قد استقصى أيام العرب في كتاب أفرده لذلك، فكانت أيامه ألفًا وسبعمائة يوم.

ولكن هذه الأيام غير منسقة ويا للأسف، ولا مبوبة على حسب ترتيب الوقوع، وتسلسل الزمن. ثم إن من الصعب استخراج مستند منها يمكن الاعتماد عليه في تصنيف هذه الأيام، وتنظيمها على أساس تأريخي[١] ومن أشهر هذه الأيام :

حرب البسوس:

دارت هذه الحرب بين قبيلتى (بكر وتغلب) من ربيعة إحدى قبائل العدنانية الكبرى واستغرقت فترة طويلة بلغت الأربعين عاما، حتى صارت أروع نموذج للحياة القبلية وقوة نظمها فى بلاد العرب قبل الإسلام فكان السبب فى تلك الحروب هو وصول قبيلة تغلب تحت قيادة زعيمها كليب إلى مركز الرئاسة فى تهامة ، نتيجة ما بذله من كفاح ضد عرب اليمن وجمع قبائل مضر من عرب الشمال تحت لوائها. وارتفع شأن كليب واستبد به الزهور حتى انفرد بالأمر، فكانت لا توقد نار من ناره ولا يستطيع أحد أن يرع مع إبله وكان يحمى كما ذهب عنه فى الأمثال، مواقع السحاب. بمعنى أن يقول وحش أرض كذا فى جوارى فلا يصاد .

وشق عصا الطاعة عل هذا الزعيم قبيلة بكر الذى كان متزوجا من إحدى نسائها، مما يدل على أن ضراوة العصبية القبلية يفوق تأثيرها حتى على المصاهرة. وكان السبب المباشر للصراع بين هاتين القبيلتين اعتداء (كليب) على ناقة لضيف كان نازلا على إحدى نساء بكر اسمها البسوس. وغضب من هذا

(١) جواد على : المفصل،ج١٠، ص ٨- ١٥.

الاعتداء بطل من أبطال بكر أسمه (جساس) الذى كان يسمى "الحامى الجار" وكانت البسوس خالة هذا البطل، وذهبت إليه باكية تندب الذل الذى لحق بها وبقبيلتها لامتهان كليب سيد تغلب لحقوق الضيف النازل عندها. وبادر جساس وهو أخو زوجة كليب، بالانتقام دون أن يقيم لتلك المصاهرة وزنا وقتل زوج أخته.

واندلعت بذلك نيران الحرب بين بكر وتغلب التى نسبت إلى خالة جساس وصارت تعرف باسم "حرب البسوس" وسجل وقائع هذه الحرب الطويلة "مهلهل" الشاعر والفارس المشهور أخو كليب المقتول. وجرت أحداث هذا الصراع على امتداد أربعين عاما.

يوم ذى قار:

وهو من أيام العرب والفرس وهو من المعارك الفاضلة وكان بسبب وقيعة بين النعمان ابن المنذر ملك الحيرة وهو من قبيلة لخم العربية وبين كسرى ملك الفرس لأن النعمان رفض أن يرسل بعض نساء العرب إلى كسرى، فعمل كسرى على ضرورة التخلص من النعمان ابن المنذر، وأرسل إليه يستدعيه إلى عاصمته المدائن، وخاف النعمان على نفسه ولذلك أودع أسلحته ونسائه عند هانئ بن مسعود الشيبانى، وذهب إلى كسرى فقتله، وولى مكانه على الحيرة إياس بن قبيصة وطالب بأموال النعمان، رفض هانى بن مسعود فأرسل إليه كسرى جيشاً جراراً واجتمعت حوله قبائل ربيعة وبكر وبعض قبائل الحيرة العربية وجيش الفرس وجيش العرب عند ماء يسمى زى قار ودارت معركة بين الطرفين انتصر فيها العرب على الفرس، وجاء حديث النبى (ص) فى شأن هذا اليوم بقوله: "هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبى انتصروا".

يوم داحس والغبراء:

نشبت هذه الحرب بين قبيلتى عبس وذبيان وينتميان إلى قبائل قيس كان داحس والغبراء اسمين لفرسين يمتلكهما قيس بن زهير سيد قبيلة بنى عبس وكان لحذيفة بن بدر فرسين هما الخطار والحنفاء، ويذكر أن زهير كان نازلاً عند حذيفة بن بدر وقد تراهنا على سباق بين هذه الخيول وكان حذيفة يحسد زهير على فرسيه وقوتهما فى السرعة والعدو، وعمد حذيفة إلى تدبير مؤامرة لكى يكسب الرهان من قيس بن زهير، فأقام حذيفة رجلاً من بنى أسد وهم حلفاء لقبيلة ذبيان بالطريق إن رأى داحس سابقه فيعطلها ويردها عن السباق حتى يؤخرها وحدث ذلك بالفعل ولكن جاءت الغبراء الأول على السباق ثم الخطار والحنفاء ثم جاء الداحس آخر السباق واكتشفت المؤامرة وحدث قتال بين قبيلتى عبس وذبيان استمر حوالى أربعين سنة.وحدث صلح بين القبيلتين على إثر دعوة الحارث بن عوف وهرم بن سنان وتعهدا بدفع ديات القتلى من الفريقين.

الحياة الإقتصادية للعرب قبل الإسلام

الحياة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام تعد عصب الحياة للإنسان في جميع الأوقات أن الجزيرة العربية على وجه التخصيص شهدت قيام دول وحضارات متعددة فى أماكن معينة منها ، وهذه الحضارات بمجموعها وعلى امتداد الحقب المتباينة تعد دليلاً كافياً على حيوية المجتمع العربي، ومن الثابت أن الحياة الاقتصادية لأي مجتمع هي من الدعامات الأساسية في بقائه وارتبطت الحياة الإقتصادية (الزراعية والصناعية والتجارية) عند العرب قبل الإسلام بحرفة

الرعى وتربية الماشيه في بعض الأحيان ، وأن الثروة الحيوانية عند العرب قبل الأسلام كانت ركناً حيوياً من أركان الحياة اليومية فكان لها دور في حرث الأرض وحمل الأثقال وفي التنقل ، وتسهم في تصدير الأنتاج الزراعي ، وكان من أهمها الإبل وهي أكثر أنواع الماشية نفعاً للأنسان ، وكان سكان البادية لا يمكنهم الاستغناء عنها.

أولاً الزراعة :

على الرغم من أن الكثير من العرب احتقروا كل من يمتهن الزراعة ، وكذلك ندرة المياه ، إلا أن الكثير من المصادر التاريخية أشارت الى اتساع الاراضي المزروعة في الجزيرة العربية والى تنوع أماكنها ووفرتها لا سيما في نجد والعربية الشرقية ومناطق الواحات واليمن ومنذ أقدم العصور ، وشملت الزراعة في عمان والبحرين وهجر واليمامة ومناطق العراق والشام ومناطق متفرقة أخرى، وأنتجت مختلف المحاصيل والفواكه والخضر ، ومهما يكن الامر فلقد مارس العرب الزراعة واطلقوا عليها أسم الفلاحة [١].

ولقد تميز الإنتاج الزراعي بالسعة فى بعض المناطق ليشمل الإنتاج لإغراض التبادل ، فقد كانت مكة تستورد الزبيب من الطائف ، ويروى أن الزبيب كان يحمل منها للعباس بن عبد المطلب الذي ينبذها في السقاية للحاج ، وكما أن اليمامة كانت تمون مكة بالحبوب، وعرف العرب قبل الإسلام التقليم ويقصد به قطع الأغصان اليابسة من الأشجار حيث أن بقاءها يؤدي إلى ضعف النبات. وفي الحقيقة أن النخلة كانت هي ملكة عالم النبات في الجزيرة العربية

(١)جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٧ ، ص٣١٤ ؛ ناجي معروف: أصالة الحضارة العربية ، ط٣ ، بيروت – ١٩٧٠ ، ص١٥٨ .

فقد كان التمر من أهم المحاصيل الزراعية في بلاد العرب ، فهو مادة ضرورية يعيش عليها معظم العرب ، وكان أهل مكة يعتمدون على تمور يثرب [١] ؛ وعرفت عدد من المدن والقرى في الجزيرة العربية بزراعتها أشجار النخيل مثل يثرب وخيبر ودومه الجندل التي كانت تشتهر أسواقها بعرض أنواع من التمور وكان أشهرها التمر الصيماني الذي يجلب من اسواق خيبر [٢] .

ولقد عرف عن أهل اليمن بزراعتهم للجبال التي تسقط عليها الإمطار بفعل الرياح الموسمية. حيث استخدموا نظام المدرجات. واهم النباتات التي زرعت بهذه الطريقة هي الكروم، كما استغل العرب الاراضي الواسعة بين الجبال. والتي تسمى (الدارة) وهي رمل مستديرة وسط فجوة ، وفي الغالب تنبت بها الإعشاب والنباتات الصحراوية وتكون هذه المناطق أماكن لرعي الحيوانات وفضلها العرب كمناطق للسكن [٣] .

الصناعة

لعبت الصناعة والحرف دوراً مهماً في ازدهار الحياة الاقتصادية عند العرب قبل الإسلام ، فانتشرت الصناعات والحرف في معظم مناطق الجزيرة العربية ، وخصوصا المراكز الحضرية و، كانت قائمة على الصناعات الغذائية وصناعة الجلود ، والصناعات النسيجية والحياكة والخياطة ، والنجارة وبعض

---

(١) البلاذري : انساب الاشراف، تحقيق محمد حميد عبد الله ، مطبعة دار المعارف ، مصر ، ١٩٥٩ ، ج١ ، ص٩٢ ؛ ابن عبد البر : الاستعياب في معرفة الاصحاب ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ج١ ، ص٢١ .

(٢) الاصطخري : مسالك الممالك ، ليدن : مطبعة بريل ١٩٣٧ ، ص٢٣ .

(٣)ابن الفقيه : مختصر تاريخ البلدان ، طبعة ليدن ، ص٣٣ ؛ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، ج ٤ ، ص١٤ جواد على ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، ج٧ ، ص٣٥ ؛ عبد الرحمن عبد الله الحضرمي : الحضارة اليمنية ، مجلة دراسات يمنية ، ع٤٤ ، صنعاء – ١٩٩٢ ، ص١٢٠.

أنواع الصناعات المعدنية كالصياغة والحدادة . ومن الصناعات التي قامت في مكة الأسلحة من رماح وسكاكين وسيوف ودروع ونبال وصناعة الفخار ، من قدور وجفان وأباريق وصناعة الأسرة والأرائك كذلك صناعات البزازة والخياطة والجزارة والخمارة والنخاسة، وكذلك عرفت مكة صناعة صناعة الخز ، وهي نساجة تنسج من صوف وابريسم ، وبهذا نجد أن أهل مكة حاولوا استغلال صوف الضأن التي يمتلكونها فنسجوا منها ثياب الخز الموشاة بالحرير ،ولم تكن صناعة النسيج مقتصرة على الرجال فقط في مكة ، بل امتهنتها النساء ، كذلك استغل أهل مكة الجبال المحيطة بها فاقتلعوا حجارها وقاموا بقطعها وتسويتها ونحتها فصنعوا منها البرم، وكان رجال من أهل مكة يبيعونها في الأسواق ومنهم أمية بن خلف الجمحي، ، ونحت وأهل مكة الأقداح ومن الصناعات التي عرفت بمكة خياطة الثياب والحرف فى مكة غير مرتبطة بالزراعة ، وأن أنتاجها معد للتبادل وليس لسد حاجات الاستهلاك الذاتي منها او للمقايضة بهدف الحصول على منتجات بديلة[1] .

ففي يثرب قامت بعض الصناعات مثل صناعة الخمور والمكاتل والقفف التي تعتمد جميعها على زراعة النخيل ، كما قامت فيها التجارة والصناعات المعدنية مثل صناعة الأسلحة والدروع والمصوغات كالحلي وأدوات الزينة والتحف ، حيث أحترف يهود بني قينقاع هاتين الصناعتين ، ووجدت صناعة الخوص في يثرب ، وقد كان سلمان الفارسي (رضي الله عنه) قد تعلم صنع الخوص من مواليه في يثرب قبل الإسلام ، واستمر يعمل بها بعد أسلامه ،

(١)ابن بكار : جمهرة نسب قريش ، ج١ ، ص٣٧١ ؛ الماوردي الإحكام السلطانية ،ص١٩٧ ؛ البلاذري : فتوح البلدان ،ص٤٨ ؛ الجواليقي : المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم ، تحقيق احمد شاكر ، طهران ١٩٦٦م ، ص٢٧ ؛ نقولا زيادة ، لمحات من تاريخ العرب ، ص٢٤٦..

فضلاً عن أن أهل يثرب كانوا يفتلون الحبال من الصوف والليف ، ويأتي في مقدمة الصناعات في يثرب صناعة الخمور ، ولكن كان أغلبها بأيدي اليهود لاسيما بنو قينقاع أذ كانوا يملكون سوق يسمى (سوق قينقاع) ، ويبدو أن لوجود اليهود في يثرب أثراً كبيراً في صناعة الخمور وإتقانها ، حيث اشتهرت يثرب بجرار أطلق عليها اسم المزفت والحنتمة والدباء والنقير كانوا ينتبذون فيها الخمور [١] .

أما الطائف اشتهرت، بصناعة الجلود ((وكانت مدابغها كثيرة ومياهها التي تنساب الى الوادي تبعث روائح كريهة)) وعرفت الطائف أيضاً بصناعات الحدادة واشتهرت بلاد الشام ومشارفها بالزيت والزبيب والخمر ، وكهجر والبحرين ، حيث التمر الجيد المنقطع النظير كما اشتهر استخراج اللؤلؤ في عمان والبحرين ومناجم الملح في بعض مناطق اليمن كملح مأرب كما ازدهرت اليمن أيضا بصناعة النسيج والثياب كالبرود والأردية وقد ظلت اليمن محتفظة بمكانتها كأكبر مصدر للبرود الغالية حتى القرن الرابع الهجري ، وذكرت المصادر أنواعا كثيرة من البرود اليمنية ، وكل منها منسوب الى بقعة أو مكان في هذه المنطقة أو الى قبيلة من القبائل التي تسكنها وهناك أربعة عشر نوعا من أنواع الثياب اليمنية المشهورة ، ومما يؤكد سعة الإنتاج أن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) صالح أهل نجران على إلفي حلة تدفع على مرحلتين وفي صنعاء برزت صناعة الخرز والفصوص من العقيق والجزع والذهب ، كما اشتهرت بعض مناطق حمير بصناعة الأسلحة ، وتنتسب الرماح الردينية الى ردينه من ذي يزن .

---

(١)ابن بكار ، جمهرة نسب قريش ، ج١ ، ص٣٧١ ؛ ابن عبد البر ، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، ج٢ ، ص٥٨ ؛ شكران خربوطلي ، الحياة الاقتصادية في يثرب قبل الهجرة ، ص٤٢ ؛ ولفنسون ، أسرائيل ، اليهود في بداية الحجاز ، ترجمة، طه حسين ، بيروت ١٩٧٩ ،ص٩٤.

واليمن بصناعة الجلود بالإضافة الى تنوع استخدامات الجلود المصنعة ، وتخصص العاملين في هذه الصناعة بنوع دون آخر ، فاستخدمت الجلود في الأغراض الحربية كأوتار السهام ، والدروع والخوذ الواقية للرأس ، وتغليف الدبابات والمنجنيقات بها ، والتروس ، أما في الإغراض الأخرى ، فقد صنعت منها القرب والدلاء وأدوات السقي والسروج والأحذية والحلي الجلدية كالحجانة، تتوشحه المرآة قد عرف أهل العربية الجنوبية "البلور" لوجوده في اليمن وفي أماكن أخرى. وهم يستخرجونه من نوع خاص من الحجر ويصقلونه بعناية، والغالب عليه اللون الأبيض غير أن بعضه ذو ألوان أخرى، هو لون الحجر الذي أخذ منه.

ولا يزال أهل اليمن يمارسون صقل الحجارة الكريمة التي يستخرجونها من بعض الجبال، مستعملين في ذلك الماء والتراب الناعم على حجارة رملية ويصنعونها بأشكال مختلفة ويستعملونها في صنع الحلي. وهي ذوات ألوان متعددة: بِيض وسُود وخُضر وزرق وصفر وحمر، ومنها ما يجمع عدة ألوان متمازجة. ويعد جبل نقم وجبل الغراس من أهم المواطن التي تستخرج منها مثل هذه الحجارة على مقربة من صنعاء[1]

التجارة

تعتبر التجارة من أهم النشاطات الاقتصادية التي تميزت بها الجزيرة العربية قبل الإسلام، وقد عدها القوم ((من أشرف الأسباب وأعلاها قدراً)) وتشمل التجارة: الاتجار داخل جزيرة العرب، أي تعامل أبناء بلاد العرب

(١) جواد علي : المفصل ، ج ١٥، ص٦٤ ؛نقولا زيادة ، لمحات من تاريخ العرب ، ص٢٤٠- ٢٤٦.

بعضهم مع بعض، والاتجار مع الخارج، أي مع الحكومة الغربية مثل الهند وحكومات أفريقيا والفرس والروم، والتجارة تكاد تكون الحرفة الوحيدة عند العرب التي لم ينظر العربي إليها وإلى المشتغل بها نظرة استهجان وازدراء وانتقاص. بل اعتبرت عندهم من أشرف الحرف قدرًا ومنزلة. ونظر إلى التاجر نظرة تقدير وتجلة، وكانت القوافل التجارية تجوب شبه الجزيرة العربية ، ولهم منازل فى الطريق وذلك للراحة والتزود بالماء للزود بالماء والزاد الذي تحتاج اليه القوافل، وتعد مواطن الابار من أهم العوامل في تشكيل المنازل على الطرق التجارية ، والطرق التجارية أدت دوراً بارزاً في حياة سكان الجزيرة العربية وقد انفرد الحجاز بموقع مركزي جيد فكان يتصل عبر طرق تمتد الى الكوفة والبحرين ودمشق ومصر واليمن وكان لقريش رحلة الى الشام واليمن، ونظراً لانهم كانوا تجاراً فان تأمين انتظام التجارة أملى عليهم عقد اتفاقيات مع القوى السياسية المؤثرة في عصرهم ، ((كان هاشم بن عبد مناف صاحب ايلاف الرحلتين ، وأول من سنها ، وذلك انه اخذ لهم عصماً من ملوك الشام ، فاتجروا آمنين ، ثم أن أخاه عبد شمس أخذ لهم عصماً من صاحب الحبشة ، واليه كان متجره ، وأخذ لهم المطلب بن عبد مناف عصماً من ملوك اليمن ، وأخذ لهم نوفل بن عبد مناف عصماً من ملوك العراق ، فألفوا الرحلتين في الشتاء الى اليمن والحبشة والعراق ، وفي الصيف الى الشام، وشهدت دولة الأنباط نشاطاً تجارياً متميزاً لوقوعها على الطريق الغربي في الجزيرة بين اليمن والشام وفي القرن الثالث الميلادي ظهرت تدمر كمركز تجاري مهم ، (على الطريق من العراق الى الشام وهو امتداد الفرع الشمالي لطريق الهند المؤدي الى الخليج العربي) ، كما شهد العراق نشاطاً تجارياً لوقوعه على الخليج العربي

حتى قيل فيه ،من كان منكم يريد الثياب الرقاق والخيل العتاق ، وكنوز الأرزاق والدم المراق ، فليلحق بأرض العراق [١] .

وقد ترتب على هذه الحيوية في التجارة ، أن ظهر كثير من الأغنياء وأصحاب الثروات وبقية الطبقات الفقيرة على حالها ، واحتلت التجارة مكانة واسعة في حياة عرب الحجاز ((والدليل على ذلك كثرة التعابير المالية والتجارية التي استعملها القرآن كالحساب والميزان والقسطاط والذرة والمثقال والقرض)) أضف أن الحج نفسه لم يكن بعيداً عن التجارة . وتسرب الربا تسرب الى الحياة العربية عن طريق اليهود، وكذلك انتشرت الأسواق الكبرى فابن حبيب يعدها اثنتي عشرة سوقاً ، واليعقوبي يرى أنها عشر أسواق في حين يرى الهمداني أنها أحد عشر سوقاً، وتشير الكثير من الروايات أن هذه الأسواق كانت محطات تجارية وبعضها أماكن مقدسة لها أصنام تعبدها القبائل وتأتي للتقرب اليها في مواسم معينة هي مواسم حجها فتحولت هذه المواسم والمحطات التجارية الى أسواق للبيع والشراء ومن أشهر هذه الاسواق سوق عكاظ ودومة الجندل كالمشقر وذي المجاز وذي المجنة[٢] .

(١) ابن حبيب: المحبر ، تحقيق ايلزه ليختن ، بيروت، ص١٩٥ – ١٩٦ ؛ رضا جواد تجارة القوافل ودورها الحضاري ، بغداد ، ٨٤ ، ١٩٨٤ ، ص٢٠ . ؛ جورج لوفران ، تاريخ التجارة منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث ، ص١٩ . .

(٢)الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص١٧٩ – ص ١٨٠ ؛ابن حبيب ، المحبر ، ص٢٦٣ – ص٢٦٨ ؛ شوقي ضيف ، العصر الجاهلي ، ص٧٧ ؛ نقولا زيادة ، لمحات من تاريخ العرب ، ص٢٤٦ ؛ كارل بروكلمان ، تاريخ الشوب الإسلامية ، ص٢٦.

علوم العرب قبل الإسلام

قال الشهرستاني: "وعلوم العرب في الجاهلية ثلاثة: الأول، علم الأنساب والتواريخ والأديان".

"والثاني: علم الرؤيا، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يعبرها في الجاهلية".

"والثالث: علم الأنواء، وقد جاء في الحديث: "أصبح من عبادي كافر بي ومؤمن، فمن قال: مطرنا بنوء كذا فهو كافر بن مؤمن بالكوكب، ومن قال: مطرنا بفضل الله ورحمته فهو مؤمن بي كافر بالكوكب".

قال صاعد: "وأما علم العرب الذي كانت تتفاخر به فعلم لسانها، ونظم الأشعار، وتأليف الخطب".

وكان العرب أعنى الناس بأخبارهم، وإذا سافروا في التجارات إلى بلاد العجم استعادوا أخبارهم، ونقلها أصحاب السير عنهم.

قال صاحب الطبقات: "والعرب أهل حفظ ورواية، لخفة الكلام عليهم، ورقة ألسنتهم، وكان للعرب مع هذا معرفة بأوقات مطالع النجوم ومغاربها، وعلم بأنواء الكواكب وأمطارها على حسب ما أدركوا بفرط العناية وطول التجربة، لاحتياجهم لمعرفة ذلك في أسباب المعيشة لا على طول تعلم الحقائق، ولا على سبيل التدرب في العلوم" (١).

(١) ابن سعيد: نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ص ٨٠- ٨١.

علم القيافة:

وهو تتبع الأثر من خلال تتبع أثر القدم و الاستدلال علي الأشياء وهي قسمان قيافة الأثر وقيافة البشر .

قيافة الأثر: وتختص بتتبع أثار الاقدام او الحوافر او الاخفاف والاستدلال من اثارها في الرمال او التراب علي أصحابها والفائدة من ذلك الاهتداء الي الفارين من الناس او الضال من الحيوان.

وقد اتقن العرب ذلك حتي فرق بعضهم بين أثر قدم الشاب والشيخ وقدم الرجل.

الريافه :

هو معرفة استنباط الماء من الأرض، بواسطة بعض الإمارات الدالة على وجوده فيعرف بعده وقربه بشم التراب، أو برائحة بعض النباتات فيه، أو بحركة حيوان مخصوص وهو من فروع الفراسه(١).

الفراسة:

الفراسة من التفرُّس في الشيء، وهو إصابة النظر فيه(٢)، وحَقِيقَتُهَا الِاسْتِدْلَال بِالْخَلْقِ عَلَى الْخُلُقِ، وَذَلِكَ يَكُونُ بِجُودَةِ الْقَرِيحَةِ، وَحِدَّةِ الْخَاطِرِ، وَصَفَاءِ الْفِكْرِ(٣) ، ولقد اتقنها ال بعض العرب وذلك فى معرفة نسب الشخص

(١)عبد الحي الكتاني : التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية ، تحقيق عبد الله الخالدي،دار الأرقم ، ط٢، بيروت، ج٢،ص٦٨.

(٢) نشوان بن سعيد الحميرى اليمني : شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق حسين بن عبد الله العمري - مطهر بن علي الإرياني - يوسف محمد عبد الله، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، دار الفكر (دمشق - سورية)، ١٩٩٩ م،ج٨، ٥١٥٠ .

(٣) محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي : أحكام القرآن، تحقيق محمد عبد القادر عطا٣، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان ٢٠٠٣ م،ج٣،ص١٠٦ .

والي أي قبيلة ينتمي أو معرفة القرابة بين شخص وآخر بمجرد ملاحظة وجوههم وبعض أعضائهم .

وأصبح طب العرب يعتمد على الفراسة ،فقد استعان الأعراب بالنبات وبالشجر في مداواة أنفسهم، علمتهم تجاربهم الطويلة القديمة، ما ينفع منها في معالجة ما يصابون به من مرض، فصار لهم طب خاص بهم، يقوم على الملاحظة وعلى التجارب في استخدام النبات في مداواة الإنسان وفي معالجة ماله، ولا زال هذا الطب معمولًا به في البوادي، عند الأعراب[١]

علم الأنواء :

وعرف عرب الجاهلية حركات الأنواء، وأحوال الجو، والاستدلال منها على تقلبات الطقس. وكانوا يستدلون على هطول المطر قبل نزوله بلون الغيوم، وعرفوا المسالك والاتجاهات، وهي نوع من المعارف الجغرافية تفيدهم في الأسفار، يهديهم إلى ذلك مسامتة الكواكب الثابتة ومنازل القمر، إذ لكل كوكب سمت يهتدى به[٢] .

(١) جواد على : المفصل ، ج١٣، ص١٠١ .
(٢) توفيق برو : تاريخ العرب القديم، ط٢، دار الفكر ٢٠٠١م، ص٢٧٨.

خريطة توضح قبائل وأديان العرب قبل الإسلام(١)

(١) شوقى أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامى ،ط١٢، دار الفكر دمشق ٢٠٠٥، ص٢٩ .

الفصل الثاني

البعثة النبوية

وحياة الرسول ﷺ في مكة

١- محمد ﷺ قبل البعثة.

٢- البعثة النبوية.

٣- قيام الدولة الإسلامية في المدينة.

البعثة النبوية وحياة الرسول ﷺ فى مكة

١ – سيدنامحمد قبل البعثة:

-الرسول منذ ولد إلى أن بُعث:

آن لنا أن نتكلم عن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وأن ندخل فى نطاق التاريخ الإسلامى، فلنبدأ ذلك بالحديث عن نسبه الشريف.

هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر، وفهر هذا هو المسمى قريش وهو الجد العاشر لرسول الله ﷺ، ويمتد نسب الرسولﷺ إلى عدنان الذى هو الجد العشرون للرسول، وعدنان من نسل إسماعيل عليه السلام، وهاشم الجد الثانى للرسولﷺ كان سفير قريش لدى الملوك، وكثيراً ما كان يقود تجارة قريش إلى الشام، ومات هاشم فى إحدى رحلاته التجارية.

-عبد الله بن عبد المطلب:

روى أن رجلا جاء إلى الرسول ﷺ فقال له:.... يا ابن الذبيحين، فلم ينكر الرسول ﷺعليه ذلك، والذبيح الأول هو إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام، والذبيح الثانى هو أبو الرسولﷺ عبد الله بن عبد المطلب.

نجا عبد الله بذلك من الذبح، ولكن هذه الحادثة أذاعت اسمه وأكسبته شهرة عظيمة، وأصبح موضع عناية الناس وحديثهم وحبهم، وزوجه والده بعد ذلك من آمنه بنت وهب، وعاش معها فترة قصيرة بعد الزواج، ثم تركها وسافر متاجراً إلى الشام. ومات فى الطريق دون أن يعود إلى زوجته، ولكن بعد أن أودع بضعها نطفة كان مقدراً لها ان تكون أعظم شخصية فى تاريخ البشرية.

فكأنما نجا عبد الله من الذبح لغرض واحد هو الألتقاء بآمنة وتكوين هذا الجنين، وبعد أن أدى عبد الله هذا الغرض أذن بالرحيل.

- مولد محمد وحياته قبل البعثة:

كان محمد ﷺ ثمره هذا الألتقاء القصير، وقد ولد فى التاسع أو الثانى عشر من شهر ربيع الأول (٢٠أبريل سنة ٥٧١م) [١] وكان مولده فى مكان غير بعيد من الكعبة، ولم ير محمد ﷺ أباه ولذلك كفله جده عبد المطلب، وأرضعته حليمة السعدية، ولما شب عندها أخذ يرعى الغنم، ولما مات جده وهو فى الثامنة كفله عمه أبو طالب[٢] ، وتربى فى بيته وساعده فى أعماله التجارية، وسافر معه إلى الشام متاجراً قبل أن يبلغ الحلم و أبو طالب أخا شقيقاً لعبد الله، ولذلك كان أرحم أعمام النبى ﷺ به وأولاهم برعايته.

ومن أهم الأعمال التى قام بها محمد قبل البعثة تجارته فى مال خديجة بنت خويلد، وقد سافر فى هذه التجارة إلى الشام وكان معه غلامها ميسرة،

---

(١) اتفق جمهور العلماء علي أن ميلاد النبي ﷺكان في شهر ربيع الأول، ولكنهم اختلفوا في تحديد اليوم، فيذكر ابن عبد البر في الاستيعاب أنه كان لليلتين خلتا منه. وقيل لثمان خلون منه، وقيل: كان لعشر خلون منه. وقيل لثنتي عشرة خلت منه، وقيل: لسبعة عشر، وقيل: لثمان بقين منه. وقيل: إنه ولد في رمضان نقله ابن عبد البر عن الزبير بن بكار مستندا إلي أنهﷺأوحي إليه في رمضان علي رأس أربعين سنة من عمره، فيكون مولده في رمضان، وكان مولده لثنتي عشرة ليلة خلت منه، وكان مولده عام الفيل علي قول الجمهور. ابن إسحاق، سيرة ابن إسحاق، ص٤٨؛ابن هشام : السيرة النبوية،ص١٥٨ ،١٥٩؛ ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ج١، ص٣٤،٣٣ ؛ البيهقي : دلائل النبوة ، ج١، ص٧٥-٧٧.

(٢) أبو طالب : عم النبيﷺ وأسمه عبد مناف، زوجته السيدة فاطمة بنت أسد ، وهو والد سيدنا على رابع الخلفاء الراشدين، وكان مهيباً وسيداً مطاعاً فى قريش، لَمَّا تُوُفِّي جد النبىﷺ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ ضم أَبُو طَالِبٍ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَيهِ ،و تُوُفِّي أَبُو طَالِبٍ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلَاثِ سِنِينَ فِي شَوَّالٍ أَوْ فِي ذِي الْقِعْدَةِ، وَعُمْرُهُ بِضْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنِّي شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُو طَالِبٍ» . ابن سعد : الطبقات الكبري، ج١، ص١٢٠؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١، ص٦٨٥.

وقد ربحت هذه التجارة ربحاً عظيماً وكانت سبب ارتباط بين محمد وخديجة، وقد توج هذا ارتباط بزواجه منها وهو فى الخمسة والعشرين وهى امرأة فى الأربعين من عمرها.

فبسط رداءه ووضع الحجر عليه، وقال لتأخذ كل قبيلة بطرف من الثوب، فرفعوه حتى انتهوا إلى موضعه فأخذه الرسول ﷺ ووضعه مكانه وكان فى عمله هذا من الحكمة ما أرضى الجميع.

بعثة الرسول ﷺ:

هيأ مال خديجة للرسول فرصة ليتفرغ للعبادة، فقد تزوج النبى محمد خديجة فاغتنى بمالها (أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَآلاًّ فَهَدَى* وَوَجَدَكَ عَآئِلاً فَأَغْنَى) "سورة الضحى" وشملته عناية الله فرأى أن يخلو لله، وشجعته زوجته الصالحة على رغبته فكانت تعد له الطعام، فيأخذه ويذهب إلى غار حراء، حيث يخلو ليفكر فى الكون وخالقه.

بدء الوحى:

وظل محمد يخلو ويفكر حتى نزل عليه جبريل يوم الأثنين السابع عشر من شهر رمضان، فأجاب الرسول وقد أرهقه الضم والخوف: ما أنا بقارئ. فضمه جبريل مرة ثالثة ثم أطلقه وقال له:

(اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)). "سورة العلق"

وانقطع جبريل عن الرسول ﷺ مدة بعد ذلك، وكان الرسول يترقبه فى الغار وخارج الغار، فسمع مرة وهو يمشى صوتاً، فرفع رأسه للسماء، فرأى جبريل

على نحو ما رآه فى الغار، فهاب المنظر وارتعب، ورجع إلى بيته فى حالة من الخشية، وقال لأهله: دثرونى دثرونى. فدثروه؛ وجاءه جبريل وهو فى هذه الحالة فألقى إليه نداء ربه:((يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)))"سورة المدثر"

مراحل الدعوة :

قلنا آنفاً أن آيات سورة المدثر هى التى أمرت محمداً أن ينذر الناس، وأن يدعوهم لدين الله، وقد بدأت بهذه الآيات مراحل الدعوة للدين الجديد وهذه المراحل ثلاث هى:

-المرحلة الفردية.

-دعوة بنى عبد المطلب.

-الدعوة العامة. وسنتحدث عن كل منها فيما يلى:

المرحلة الفردية:

هى المرحلة الأولى من مراحل الدعوة، وفيها دعا الرسول ﷺ سراً أهل بيته، كما دعا خاصة أصدقائه وكان يدعوهم لمبادئ الإسلام الأولى التى ذكرتها هذه الآية وهى الإيمان بالله ونبذ عبادة الأوثان، فآمن به فى هذه المرحلة زوجته

وابن عمه على بن أبى طالب[١]، وزيد مولاه، ثم دعا الرسول ﷺ أبابكر وكانت له به صلة منذ مدة فآمن به، وعن طريق أبي بكر أسلم السابقون الأولون: عثمان بن عفان[٢]، والزبير بن العوام[٣]، وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن

(١) سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه : هو علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم ، ابن عم رسول الله ﷺ ،ولده أبو طالب شقيق عبد الله والد النبي ﷺ ، وَأُمُّهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، يكني بأبو الحسن وهو أول من صلي مع النبي ﷺبعد السيدة خديجة ولقد صلي قبل أن يصلي الناس وكان ابن عشر سنين، أرسله النبي ﷺ إلي اليمن قاضيا، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة ، وزوجه النبي ﷺ ابنته فاطمة ، وله العديد من الفضائل ،واستشهد سيدنا علي رضي الله عنه سنة ٤١هـ. ابن سعد : الطبقات الكبري، تحقيق إحسان عباس، دار صادر - بيروت١٩٦٨ م ج٣، ص١٣-١٤ .؛ ابن أبي خيثمة : التاريخ الكبير ،تحقيق صلاح هلال، دار الفاروق، القاهرة، ٢٠٠٦ م، ج١، ص ٣٦١. السهيلي : الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: عمر عبد السلام السلامي، دار إحياء التراث العربي، بيروت١٤٢١هـ،ج٧، ص١٠٧.

(٢) عثمان بن عفان رضي الله عنه : هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس ينتسب إلي بني أُمية؛ ولد في مكة، بعد عام الفيل بستّ سنوات علي الصحيح، وهو من العشرة المبشرين بالجنة ، وكان شديد الحياء، عفيف النفس، واللسان، أديب الطبع، أسلم علي يد سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه، هاجر الهجرتين (الحبشة – ويثرب) وزوجه النبي ﷺ بنتيه رقية ثم ابنته ام كلثوم فلقب بذي النورين ،بذل في عهد رسول الله ﷺ المال الكثير لنصرة للإسلام ، وخاصة فى غزوة تبوك ، تولي خلافة المسلمين سنة (٢٣هـ / ٦٤٣م)، وقتل سنة (٣٥هـ / ٦٥٥م).ابن سعد : الطبقات ج٣، ص٣٩ -٤٧؛ خليفة بن خياط : طبقات خليفة بن خياط، ص٣٩ ؛ ابن حبان : مشاهير علماء الأمصار،ص٢٤،٢٣.

(٣) الزبير بن العوام رضي الله عنه: ابن خُوَيلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّي بْنِ قصي ، هو ابن عمة النبي ﷺ ،وابن أخ السيدة خديجة، أسلم وهو ابن ست عشرة سنة، وقيل ابن اثنتي عشرة سنة، وقيل ابن ثمان سنوات ،وقيل أنه كان رابع أو خامس من أسلم وهو أوَّل من سلَّ سيفه في الإسلام ، وهو من العشرة المبشرين بالجنة و يلقب بـ حواري رسول الله ﷺ، وهو وزوج السيدة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه ولدت له عبد الله بن الزبير فكان أول مولود للمسلمين في المدينة، شارك في جميع الغزوات في العصر النبوي، وبعد مقتل عثمان بن عفان خرج إلي البصرة مطالبًا بالقصاص من قتلة عثمان فقَتَلَه عمرو بن جرموز في موقعة الجمل، في رجبٍ سنة ستٍّ وثلاثين من الهجرة، وله أربع وستُّون سنة رضي الله عنه. يعقوب بن سفيان : المعرفة والتاريخ ج١، ص٢٧٨؛ عز الدين ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب، ج١، ص٥٣؛ ابن الجوزي : المنتظم ، ج٥، ص١٠٧، ١٠٨.

عوف[١]، وطلحة بن عبيد الله، وأبوعبيدة بن الجراح[٢]، ودخل مع هؤلاء مجموعة من الموالى والفقراء. وقد استمرت هذه الدعوة السرية ثلاث سنوات.

دعوة بنى عبد المطلب:

هذه هى المرحلة الثانية من مراحل الدعوة، وقد بدأها الرسول ﷺ عندما نزل عليه قوله تعالى "وأنذر عشيرتك الأقربين" فدعا بنى عبد المطلب ليجتمعوا به، وبلغهم دعوته، فصدق به بعضهم وكذب به آخرون، وكان عمه أبو لهب هو وزوجته من أشد الناس قسوة عليه، فقد هتف به أبو لهب قائلاً: تباً لك، ألهذا دعوتنا؟

---

(١) عبد الرحمن بن عوفﷺ: هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة ، أمه :الشفاء بنت عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة، وكان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو، وسماه النبى ﷺ عبد الرحمن بعد اسلامه ، ولد بعد عام الفيل بعشر سنين على الأرجح ، وأسلم علي يد سيدنا أبو بكر الصديقﷺ وهاجر الهجرتين، وشهد المشاهد كلها مع الرسولﷺ ، وهو وأحد الستة الذين رشحهم سيدنا عمر بن الخطاب لتولى الخلافة من بعده ،وهو من أثرياء المسلمين وعمل بالتجارة ، وتوفى سنة اثنين وثلاثين من الهجرة ، ووهو ابن خمس وسبعين سنة . الكلبي : جمهرة أنساب العرب، ص١٤؛ ابن سعد : الطبقات الكبري ، دار صادر، ج٣، ص١٢٤-١٣٥؛ البلاذري : أنساب الأشراف، ج١٠، ص٣٠ .

(٢) سيدنا أبا عبيدة بن الجراح ﷺ : أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر . أمين الأمة ، وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، ومات شهيدا بطاعون عمواس سنة ثماني عشرة وله ثمان وخمسون سنة، ، أسلم أبو عبيدة في مرحلة مبكرة من الدعوة الإسلامية، وهاجر الهجرتين، ، وشهد مع النبيﷺ المشاهد كلها، كان أبو عبيدة أحد القادة الأربعة الذين عينهم أبو بكر لفتح بلاد الشام، ثم أمر أبو بكر خالداً بنَ الوليد أن يسير من العراق إلي الشام لقيادة الجيوش الإسلامية فيها، فلما ولي عمر بن الخطاب الخلافةَ عَزَلَ خالداً بنَ الوليد، واستعمل أبا عبيدة، فقال خالد: «وَلِي عليكم أمينُ هذه الأمة»،وقد نجح أبو عبيدة في فتح دمشق وغيرِها من مُدُنِ الشامِ. توفي أبو عبيدة سنة ثماني عشرة بسبب طاعون عمواس وسنه ثمان وخمسون سنة. الإمام مسلم : الكني والأسماء، تحقيق عبد الرحيم القشقري، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية،١٩٨٤م، ج١،ص٥٨٨ ؛ البلاذري: أنساب الأشراف، ج١،ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ؛ ابن قنفذ القسنطيني : الوفيات، ص٣٠.

الدعوة العامة:

نزل قوله تعالى ((**فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ**)) فانطلق الرسول يدعو للإسلام جهراً كل طوائف الناس، يدعو السادة والعبيد يدعو الأقربين والغرباء، يدعو أهل مكة ثم يتجاوزها إلى البلاد الأخرى، وكذلك يدعو الحجاج الذين يفدون إلى مكة من مختلف البلدان وقد أسلم فى هذه المرحلة الوليد بن الوليد بن المغيرة، وسلمة بن هشام أخو أبى جهل وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، وجماعة غيرهم أراد الله لهم الهداية

.مقاومة قريش وأسبابها ومراحلها:

نستطيع من دراستنا لحياة العرب وأخلاقهم قبل الإسلام أن نستنبط أسباب مقاومتهم للإسلام وللمسلمين، وتلك الأسباب هى:

١-كان الرق منتشراً فى الجزيرة العربية انتشاره فى كل بلاد العالم، وكان العبد رقيق العقل والقلب بالإضافة إلى الرق الجسمانى، بمعنى أنه لم يكن له أن يتدين بغير دين سيده، ولا يحب أو يكره إلا تبعاً لحب سيده وكرهه.

ودخل بعض العبيد الإسلام كما قلنا، ورحب بهم محمد، واعتبر السادة هذا التصرف تمرداً من العبيد، كما اعتبروا محمداً مثيراً للفتن.

٢-كان الصراع فى الجزيرة العربية يدور لأتفه الأسباب، فإذا جاء دين جديد يهاجم معتقدات القوم، فما أجدرهم أن يهبوا فى وجهه ليرضوا ما بأنفسهم من شوق للغارة والحروب.

٤-المساواة بين السادة والعبيد: كان العرب يهتمون بالطبقات اهتماماً شديداً.

مراحل المقاومة:

كانت مراحل المقاومة ثلاثاً، إذ اتجهت أولا إلى العبيد والضعفاء، وثانياً إلى سواهم من المؤمنين، وثالثاً إلى الرسول نفسه، وسنتكلم عن كل من هذه المراحل على حدة فيما يلى:

العدوان على العبيد والضعفاء:

هجرة المسلمين إلى الحبشة:

لما نزل الأذى بالمسلمين، وأصابهم البلاء من قريش(١)، وأصبحت حالة المسلمين تدعو للأسى بسبب ما لاقوه من قريش من إيذاء وهجوم، بدأ الرسول يفكر فى بلدة أخرى يرسل لها المسلمين المستضعفين ليبعدوا عن قريش وعن هجمات قريش، أما المسلمون الأشداء فقد بقوا بمكة يحيطون بالرسول ويدفعون بهيبتهم العدوان عن أنفسهم، ومن هؤلاء على بن أبى طالبﷺ وطلحة بن عبيد الله وكثيرون سواهما.

وكانت هجرة المسلمين إلى الحبشة على مرحلتين تعرفان بهجرة الحبشة الأولى، وهجرة الحبشة الثانية، وكانت الهجرة الأولى فى السنة الخامسة للدعوة وقوامها أحد عشر رجلا وأربع نساء فيهم عثمان بن عفان وزوجته رقية ابنة الرسول والزبير بن العوام وأبو حذيفة وامرأته، وكان عثمان بن مظعون رئيس هؤلاء المهاجرين (٢) .

أما الهجرة الثانية فقد حدثت بعد ذلك بأشهر قلائل واشترك فيها ثمانون رجلا وامرأ واحدة هى أم حبيبة بنت أبى سفيان مع زوجها عبيد الله بن

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن أذي المشركين للنبي ﷺ أنظر: ابن اسحاق : السير والمغازي ، ١٥١-١٦٧ ؛الواقدى : المغازى، ج١، ص ١٨٤؛ ابن حبان : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ج١، ص ٧٢-٧٤ -٢١٢ -٢١٤؛ البيهقي : دلائل النبوة ،ج١، ص٦٤-٦٦؛ ابن عبد البر : الدرر، ص٥٥-٥٧.

(٢) ابن كثير : السيرة النبوية ج٣ ص ٨٤ ، ٨٥ .

جحش، وكان جعفر بن أبي طالب [١] زعيم المهاجرين فى هذه المرة، وبعد فترة قصيرة اتصل بمن كان فى أرض الحبشة من المهاجرين خبر إسلام عمر ومجاهرته بالعبادة، فتشجع بعضهم للعودة ليشارك عمر شجاعته وثباته ونضاله.

وقد أحست قريش عقب هجرة المسلمين إلى الحبشة أن أختيار المسلمين للحبشة سببه استعداد النجاشى لإكرامهم، وأمنهم على نفوسهم ودينهم فى مغتربهم، فقررت أن تكيد للمغتربين لتحرمهم هذا الملجأ، فأختارت لذلك عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة المخزومى وأرسلتهما إلى النجاشى، وكان لعمرو بن العاص جاه فى الحبشة وفى بلاط النجاشى، وأرسلت مع البعثة مجموعة كبير من الهدايا للنجاشى وبطارقته، وأذاعت أن المسلمين يقولون فى عيسى وفى أمه قولا عظيما فعقد النجاشى مجلساً استمع فيه لرأى جعفر ابن أبي طالب فى هذه التهم، وقد نجح جعفر فى عرض الفكر الإسلامى مما جعل النجاشى يقول: إن هذا والذى جاء به عيسى يخرج من مشكاة واحدة، ويقال إنه آمن بالإسلام فثار عليه قومه لذلك، وفى العام السابع للهجرة أرسل الرسول من حمل هؤلاء المهاجرين فى سفينتين وأحضرهم إلى المدينة، وكان ذلك عقب استسلام خيبر، ويروى أن الرسول ﷺ قال عندما رأى جعفر بن أبي طالب، ما أدرى بأيهما أنا أُسر، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر.

إسلام حمزة وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ونتائج ذلك:

(١)جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : ابن عم النبى ﷺ ، وهو أخو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وكان أسن من علي بعشر سنين من السابقين إلي الإسلام ، وكان رسول الله ﷺ يسميه أبا المساكين، و هَاجَرَ الْهِجْرَتَينِ،لقب بالطيار، استشهد يوم مؤتة سنة سبع، أبناؤه عَبْدُ اللَّهِ، وَعَوْنٌ، وَمُحَمَّدٌ. خليفة بن خياط: تاريخ خليفة بن خياط، ط٢،تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت١٣٩٧، ص٨٦ ؛ الذهبي :تاريخ الإسلام، ج١، ص٣٢٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج٤، ص٢٥٦.

وبينما كانت الدعوة بين إسرار الرسول ﷺ وكفاح قريش، إذ دخلها فى السنة الخامسة للدعوة بطلان عظيمان هما حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما وقد كانا معروفين بالقوة والصلابة فعز بهما الإسلام واشتد الأمل فى انتصاره .

مقاطعة بنى هاشم:

وانتقل العداء خطوة جديدة، فقد أدركت قريش أن قوة محمد ﷺ مصدرها أهله الذين يحمونه ويدافعون عنه، سواء منهم من اتبع دينه أو من بقى على دين آبائه وأجداده؛ ولهذا عزمت قريش على مخاصمة بنى هاشم جميعاً، ورغبة عن الحرب وما تجره من ويلات اتجهوا فى مقاومتهم لبنى هاشم اتجاهاً سلبياً ولكنه عنيف، فاجتمعت قريش وكتبت صحيفة قررت فيها مقاطعة بنى هاشم

١- فلا يتزوجون منهم ولا يزوجونهم.
٢- ولا يبيعون لهم ولا يشترون منهم،
٣- ولا يكلمونهم، ولا يزورون مرضاهم ولا يشيعون موتاهم،
٤- وأكرهوهم أن يلزموا الشعب وهو طريق بين جبلين..

وقد كانت هذه المقاطعة قاسية جداً على بنى هاشم، مسهم بسببها الضر بل الجوع والحرمان، وقد استمرت حوالى ثلاث سنوات، ولم تنقض إلى بعد أن أشفق بعض القرشيين على بنى هاشم بسبب ما نالهم من أذى وعذاب فمزقوا هذه الوثيقة وعادوا إلى الاتصال بهم.

ومما يذكر عن نهاية الصحيفة أن الله بعث عليها الأرضة ،أتت على كل شئ، ولم تدع إلا اسم الله جل وعلا، وقد أوحى الله لمحمد بذلك، فنقل ذلك

إلى عمه أبى طالب، فتحدى أبو طالب جماعة المشركين، وأحضروا الصحيفة فظهر صدق محمد، ومع هذا اعتبروا ذلك سحراً وزاد بغيهم وعدوانهم.

ولكن كان بين المشركين نفر عارضوا المقاطعة ومشوا فى نقض الصحيفة، ومن هؤلاء هشام بن عمرو بن الحارث وهو كاتب الصحيفة، وأبو البخترى العاص بن هشام والمطعم بن عدى، وزهير بن أبى أمية وأمه عاتكة بنت عبد المطلب عمة رسول الله، وزمعة بن الأسود.

وفاة أبى طالب وخديجة:

وفى السنة العاشرة للدعوة فقد الرسول ﷺ أعظم أثنين ساعداه وكانا له قوة وملاذاً فى نضاله لنشر الإسلام، هما أبوطالب وخديجة

بيعة العقبة الأولي:

وكان النبىﷺ يستغل أية فرصة للقاء وفود العرب إلى مكة، وفى هذه المرة التقى برهط من قبيلة الخزرج وذلك عند العقبة وكان عددهم ستة رجال فدعاهم إلى الإسلام وأسمعهم بعض آيات القرآن الكريم فأجابوه وصدقوه وقبلو ما عرض عليهم، وقالوا للنبىﷺ سنقدم على قومنا بيثرب ونعرض عليهم هذا الدين فإن أيدوك فلا يكون أعز منك ورجعوا إلى يثرب وذكروا لأهلهم وذويهم وقومهم ما ذكره رسول الله ﷺ لهم، حتى انتشرت دعوته فى كافة بيوت يثرب واشتاقوا لمقابلته وكانت هذه المقابلة فى العام الحادى العشر من البعثة النبوية.

وفى نفس العام قدم وفد من قبيلة الأوس يطلب محالفة قريش ضد قبيلة الخزرج، فأتاهم الرسول ﷺ ودعاهم إلى الإسلام فقال أحدهم وهو إياس بن معاذ: هذا والله خير مما جئنا له، ثم عاد وفد الأوس إلى يثرب دون أن يعقدوا حلفاً مع قريش، وكان الأوس والخزرج يسمعون من يهود المدينة أن نبياً سوف

يبعث ويتوعدونهم به إذا حاربوهم، ولذلك لما رأى الأوس النبى ﷺ ولاحظوا أمارات الصدق عليه وقال بعضهم لبعض والله هذا الذى توعدكم به اليهود فلا يسبقنكم إليه وانصرفوا إلي بلدهم.

فلما كان العام المقبل وفد إلى مكة اثنا عشر، منهم تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فبايعوا الرسول عند العقبة ، وتعرف تلك البيعة ببيعة العقبة الأولى "بيعة النساء"، واجتمعوا وعاهدهم النبى ﷺ على ألا يشركوا لعبادة الله شيئاً ولا يسرقوا ولايزنوا ولا يقتلون الأولاد ولا يأتون ببهتان ولا يعصون النبىﷺ، وبعث معهم الرسولﷺ مصعب بن عمير بن هاشم بن مناف بن عبد الدار وأسعد بن زرارة ليقرئهم القرآن ويدعوهم إلى عبادة الله، وأصبح الإسلام بين الرجال والنساء وفى كل دار بيثرب.

بيعة العقبة الثانية:

وفى العام التالى الموافق الثالث عشر من البعثة خرج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان من الأوس والخزرج، من المسلمين الذين أسلموا حديثاً قاصدين مكة، فقدم إليهم النبى ﷺ ومعه عمه العباس وكان على دين قومه، ولكنه صحب ابن أخيه ليتوثق له، وكان معه أبو بكر الصديق ﷺ وعلى بن أبى طالبﷺ وتحدث العباس إلى الأنصار وذكر لهم أن محمداً فى عز من قومه ومنعة فى بلده ولكنه فضل الإنحياز إلى أهل يثرب، وطلب منهم أن يتاعهدوا على حمايته ورد عليهم أحد رجال الخزرج وهو البراء بن معرور أنهم صادقون فى عزمهم وقام النبىﷺ ورغبهم فى الإسلام وتلا بعض آيات القرآن الكريم فقبلوا دعوته وبايعوه وتعاهدو له بالدفاع عنه ورحبوا بهجرته إلى مدينتهم.

فتبسم الرسولﷺ وقال: "**بل الدم الدم الهدم الهدم**" أنتم منى وأنا منكم وسالم من سالمتم وأحارب من حاربتم.

هجرة الرسول ﷺ من مكة على يثرب:

لما علمت قريش بنبأ تحالف الرسولﷺ مع عرب يثرب فى بيعة العقبة الثانية، اضطربت إضطراباً شديداً، واشتد أذاها على المسلمين، فأذن الرسول لأتباعه بمكة فى الهجرة إلى المدينة، وقال "**إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها**" ، فتجهزوا إليها فى ستر وخفاء وصاروا يتعاونون بالمال، وكان كل مهاجر من قريش وحلفائهم يستودع دوره وماله رجلاً من قومه ، وخرج المسلمون جماعة بعد جماعة، حتى لم يبق بالمدينة إلا رسول اللهﷺ وأبو بكر الصديق وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما ومن اعتقله المشركون كرهاً.

ولما بلغ قريش تأهب الرسول ﷺ الهجرة إلى يثرب اجتمع رجالها بدار الندوة يتشاورون فيما يصنعون فى أمره فاتفق رأيهم على قتله، فاعلنه الله بذلك وخرج من داره ليلاً بعد أن أمر على بن أبى طالبرضي الله عنه أن ينام على فراشه وقابل أبا بكر الصديق وأخبره أن الله قد أذن له فى الخروج من مكه، فطلب منه أن يصحبه فى هجرته، فأجابه إلى ما طلبه ومضى به إلى غار بجبل ثور.

كانت قريش تترقب حركات الرسولﷺ وانتدبت من تتبع أثره حتى وصل بعضهم إلى الغار، فأوجس أبو بكر خيفة وأخذ الرسولﷺ يهدأ من روعه.

فلما مضت ثلاث ليالى على الرسولﷺ وأبى بكر وهما بالغار وكانت أسماء بنت أبى بكر تأتى إليهما كل مساء بالطعام والشراب وعبد الله بن أبى بكر يأتى إليهما كل مساء بالأخبار وماتريد قريش أن تفعل.

وفى اليوم الرابع ارتحل النبى وأبو بكر بعد أن أستأجر دليلاً يسمى عبد الله بن أريقط[١] وصاحبهما أيضاً عامر بن فهيرة[٢] مولى أبى بكر الصديق إلى يثرب وصاروا فى طريق يثرب حتى بلغ قباء – على بعد ميلين من المدينة – فنزل الرسول ﷺ على بنى عمرو بن عوف وأقام عندهم أربعة أيام وأسس بقباء مسجداً، ثم خرج يوم الجمعة راكباً ناقته فلما أتى بنى سالم صلى الجمعة بمن معه من المسلمين وهم إذ ذاك مائة وهى أول جمعة أقامها الرسولﷺ فى الإسلام.

ركب الرسولﷺ على راحلته بعد صلاة الجمعة متوجهاً إلى يثرب وكان كلما مر على دار من دور الأنصار يدعونه إلى المقام عندهم قائلين: يارسول الله هلم إلى القوة والمنعة، فيقول خلو سبيلها (يعنى ناقته) فإنها مأمورة، ولم تزل ناقته سائرة به حتى أتت دار بنى مالك بن النجار وبركت فى مربد لغلامين يتيمين من بنى النجار، ثم نزل الرسولﷺ عنها وحمل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصارى رحله وأضافه فى داره، وأشترى الرسول ﷺ المربد بعشرة دنانير وأمر أن يبنى فى مكانه مسجد للمسلمين، ويبنى إلى جانبه مساكنه التى انتقل إليها بعد

---

(١) عبدالله بن اريقط : عبد الله بن أرَيقط الليثي الديلي هو دليل النبي محمد وأبي بكر الصديق ومرافقهما في طريق هجرتهما من مكة إلي مدينة استأجره ابو بكر ليكون دليلها في الرحلة كان ماهرا خريتا فطن علي دراية واسعة بأمور الصحراء. الدِّيار بكري: تاريخ الخميس ، ج١ ، ص٣٩٥.

(٢) عامر بن فهيرة : ولد عامر بن فهيرة التيمي سنة ٣٦ قبل الهجرة، وكنيته أبوعمرو من قبائل الأزد، كان مملوكا للطُّفيل بن عبد الله الأزدي. أسلم وهو مملوك، فاشتراه سيدنا أبو بكر من الطُّفَيل وأعتقه، وكان رفيق رسول الله ﷺ وأبي بكر في هجرتهما إلي المدينة. وهو من كتبة الوحى ، وشهد بدرا وأُحُد ، قُتل في يوم بئر مَعُونَة شهيدا على يد جبار بن سلمى الكلابي ، وهو ابن أربعين سنة . الواقدى : المغازى ، ج١، ص ٣٤٩ – ٣٥٢؛ الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة ، تعليق : محمد التونجي ، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع ، الرياض١٩٨٣م ، ج٢ ، ص ١٢٣.

أن استغرق بنائها سبعة أشهر قضاها فى ضيافة أبى أيوب الأنصارى، ومنذ هاجر النبىﷺ إلى يثرب أطلق عليها اسم المدينة وهو العام الذى هاجر فيه هو أول التاريخ الهجرى.

خريطة توضح هجرة النبىﷺ إلى المدينة [1]

(١) شوقى أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامى ،ط١٢، دار الفكر دمشق ٢٠٠٥، ص٢٩ .

١- تنظيم الحياة العامة فى مجتمع المدينة:

كان أول ما فعله النبى فى المدينة هو بناء مسجد اتخذ منه مكاناً للعبادة وإدارة دفة الأمور. فكان هذا المسجد بمثابة دار للحكومة الإسلامية(١).

وكانت الخطوة الحاسمة فى تكوين الأمة الإسلامية هو ما بدأ به الرسول من المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، فصار لكل مهاجر أخ من الأنصار، يشركه فى بعض ماله وداره، بل ويرث كل منهما الآخر، وذلك بقصد بث الطمائنينة فى قلوب المهاجرين، وإبعاد الإحساس بالغربة عن نفوسهم، وبذلك بدل النبي ﷺ نظام «الأحلاف» الذي كان سائدا في الجاهلية إلى نظام المؤاخاة (٢). وأظهر أهالي يثرب من المسلمين إخلاصًا عجيبا للنبى ﷺ وتطبيق أوامره وطبقوا سلوك الأخوة مع المهاجرين بحب وسعادة عجيبة ، وهو الأمر الذي امتدحه القرآن الكريم في قول الله تعالي: **{وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيهِمْ وَلا يجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيؤْثِرُونَ عَلَي أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ** "(٣) .

---

(١) ابن هشام : السيرة النبوية، ج١، ص ٤٩٦ ؛ ابن خلدون : العبر،ط٢، تحقيق خليل شحادة، دار الفكر، بيروت،١٩٨٨ م، ج٢، ٤٢١، ٤٢٢؛ محمد سهيل طقوش : تاريخ الخلفاء الراشدين، دار النفائس، بيروت٢٠٠٣م، ص٣١٩، ٣٢٠.

(٢) ابن عبد البر : الدرر، ص٨٨ -٩٠؛ ابن سيد الناس : عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم - بيروت١٩٩٣، ج١، ص ٢٣١ ، ٢٣٢؛ أحمد عجاج كرمي : الإدارة في عصر الرسول ﷺ، دار السلام ، القاهرة١٤٢٧هـ ، ص٧٧،٧٨.

(٣) سورة الحشر : الآية :٩ .

كما وضع النبى ﷺ أسس التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع الإسلامى فى المدينة وخاصة عندما فرضت الزكاة، فتيسرت سبل العيش على الفقراء من المسلمين.

وكان هذا الأمر يقتضى تنظيماً معيناً يحدد الحقوق والواجبات لكل عشيرة أو طائفة أو جماعة من سكان المدينة، فكتب الرسول كتابا بين فيه ذلك. وقد ورد نص هذا الكتاب أو الصحيفة عند ابن اسحاق، وعنه نقله ابن هشام .

والصحيفة تحدد العلاقات والحقوق والواجبات بين كل سكان المدينة، المقيمين فيها من قبل والمهاجرين الوافدين إليها، واعتبرتهم جميعا سواء ، وتحديد علاقتهم مع أعدائهم ، و كانت خطوة هامة في إعلان ميلاد دولة الإسلام بقيادة النبي ﷺ باعتراف جميع أطرافها بنص صريح هو: «وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلي الله عزّ وجلّ، وإلي محمد رسول اللهﷺ [١] .كانت الصحيفة من أكبر الأدلة على عبقرية الرسول ﷺ وبنودها تدل على حنكته السياسية ومقدرته الفائقة على سوس الناس بل الدنيا بأسرها [٢] .

و الصحيفة تتضمنت النواحى الآتية:

أولاً: إرساء مبدأ الوحدة الإسلامية:

فالمسلمون أمة واحدة فهم أمة واحدة من دون الناس.

ثانياً: تنظيم العلاقة بين المسلمين فى المدينة:

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن وثيقة المدينة أنظر :ابن هشام : السيرة النبوية، ج٢، ص١٠٦ - ١٠٨ ؛ السهيلي : الروض الأنف، ج٤، ص ٢٤٠- ٢٤٣ .

(٢)أبو زهرة : خاتم النبيين ﷺ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٤٢٥ هـ ، ج٢ ، ص٤٩٩.

١-فلا يتحالف بعضهم ضد البعض الآخر.

٢-التضامن والتعاون بين أفراد الجماعة الإسلامية لأن المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس.

٣-تنظيم مسائل السلم والصلح مع الأعداء فلا يحل لبعض المسلمين أن يسالموا أعداءهم دون البعض الآخر.

٤-التعاون ضد من يعتدى على المدينة فسكانها "بينهم النصر على من دهم يثرب".

٥-يتكافل المسلمون جميعا ضد من ظلم أو اعتدى أو أفسد ولو كان ابن أحدهم .

٦-عدم نصرة وعدم إيواء من يرتكب جريمة، فلا جوار لظالم أو معتدى أو مجرم

٧-من ارتكب جريمة قتل، فعليه القصاص إلا إذا رضى ولى القتيل بالدية، والمسلمون جميعا على القاتل حتى يقتص منه لأنه.

٨-ولضمان تحقيق ذلك أسندت الصحيفة السلطة القضائية للنبى، لأنه "ما كان من بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله.

ثالثاً: تحديد العلاقة مع قريش:

١-منع مشركى المدينة من إجارة مشركى مكة.

٢-منع المسلمين فى المدينة من إجارة قريش أو حلفائها.

٣-لقريش وحلفائها حق الصلح إذا طلبوه إلا من حارب منهم دين الإسلام. "فإذا دعوا إلى صلح يصالحونه، فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب فى الدين..."

رابعا: تنظيم العلاقة مع اليهود فى المدينة:

١-إقرار الحرية الدينية ليهود المدينة "فلليهود دينهم وللمسلمين دينهم مواليهم وأنفسهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يهلك إلا نفسه وأهل بيته".

٢-يتمتع اليهود بالمساواة التامة مع المسلمين فى الحقوق والواجبات "وانه من تبعنا عن يهود" فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم".

٣-يقوم اليهود بتمويل أنفسهم عند قتال من يعتدى على المدينة بل ويتكافل ويتضامن الطرفان (اليهود والمسلمون) فى الأنفاق حتى النصر ضد من يحارب أهل المدينة حسب نص الصحيفة "وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٤-التعايش السلمى بين الطرفين.

وبذلك كانت الصحيفة خطوة هامة في إعلان ميلاد دولة الإسلام بقيادة النبي ﷺ باعتراف جميع أطرافها بنص صريح هو: «وإنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلي الله عزّ وجلّ، وإلي محمد رسول اللهﷺ [١] .كانت الصحيفة من أكبر الانتصارات السياسية التي أحرزتها الحكومة الإسلامية بقيادة الرسول ﷺ [٢]ودلالة كبيرة على فطنة وعبقرية الرسولﷺ .

(١) لمزيد من التفاصيل عن وثيقة المدينة أنظر :ابن هشام : السيرة النبوية، ج٢، ص١٠٦ - ١٠٨ ؛ السهيلي : الروض الأنف، ج٤، ص ٢٤٠- ٢٤٣ ؛ محمد حميد الله : الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة ،ط٧، دار النفائس لبنان٢٠٠١م، ص ٥٧- ٦٢ .

(٢)أبو زهرة : خاتم النبيين ﷺ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٤٢٥ هـ ، ج٢ ، ص٤٩٩.

الفصل الثالث

الصراع بين مكة والمدينة

- غزوة بدر سنة ٢هـ.
- غزوة أحد سنة ٣هـ.
- غزوة الأحزاب (الخندق) ٥هـ.
- صلح الحديبية سنة ٦هـ.
- غزوة مؤته ٨هـ.
- فتح مكة ٨هـ.
- حجة الوداع سنة ١٠هـ.

الصراع بين مكة والمدينة :

لقد فرض الجهاد على المسلمين في السنة الثانية من الهجرة ، وذلك لعدة أسباب منها دفع الاعتداءات عن المسلمين من قبل الكفار ، وحماية للدين، وخصوصا أن مكة وأهلها قد بذلوا العديد من المحاولات لعدم وصول النبي ﷺإلي المدينة واتخذوا مواقف عدائية ضد النبىﷺ والمسلمين ، وقاموا بتحريض قادة المدينة عليهم لإخراجهم منها ، ولذلك خرجت السرايا والغزوات العسكرية الدفاعية أو الهجومية[١] بقيادة النبي ﷺ والصحابة (فبلغ عدد السرايا

(١) فقد احتوت الغزوات علي شتي صور وأشكال العمليات الحربية كما يلي : عمليات الإغارة ودوريات القتال والردع والتأثير المعنوي مثل:غزوة ودان – بواط – العشيرة – بدر الأولي – بني سليم – ذي أمر – بحران – ذات الرقاع – بدر الآخرة – دومة الجندل – بني المصطلق – بني لحيان – الحديبية – عمرة القضاء، الغزوات الدفاعية مثل: غزوة بدر الكبري – أحد – الخندق.، االغزوات الهجومية مثل: غزوة فتح مكة – غزوة حنين – تبوك، ، غزوات المطاردة مثل: غزوة السويق – حمراء الأسد – ذي قرد، ،غزوات الحصار والقتال في القري الحصينة مثل: غزوة بني قينقاع – بني النضير – بني قريظة – خيبر – الطائف. محمد جمال الدين محفوظ : تحليل نوعي وكمي لغزوات النبي صلي الله عليه وسلم، متاح علي الإنترنت : https://www.alukah.net/sharia/0/31155/#ixzz6PwUMEGWE

ثلاث وسبعين سرية[١] ، وبلغ عدد الغزوات (سبع وعشرون، وقيل ثمان وعشرون غزوة) [٢]

غزوة بدر: (١٧ رمضان ٢هـ/١٤ مارس ٦٢٤م):

سبق تلك الغزوة بشهرين سرية أرسلها الرسول ﷺ فى شهر رجب من السنة الثانية للهجرة، تضم ثمانية من المهاجرين، وعلى رأسها عبد الله بن جحش وأمره أن يتبع تعليماته فى كتاب أمره ألا يفضه إلا بعد مسيرة يومين وكانت هذه التعليمات تقضى أن تنزل تلك السرية فى مكان يسمى نخلة بين مكة والطائف، وأن ترصد أخبار قريش.

تلى ذلك فى شهر رمضان أن ندب الرسول ﷺ نفراً من المسلمين للوقوف على أخبار قافلة لقريش يقودها أبو سفيان بن حرب بن أمية، وكانت قادمة من الشام إلى مكة، وكان هذا هو السبب المباشر لغزوة بدر الكبرى.

ذلك أن أبا سفيان أرسل إلى قريش يخبرها بتعرض المسلمين لتجارتها وفى نفس الوقت اتخذ أبو سفيان لقافلته طريقاً آخر على ساحل البحر حتى نجا بها، وأرسل إلى قريش يخبرها بذلك ويطلب منها العودة إلى مكة وكانت قريش قد تملكها الغضب من المسلمين واشتد بها الخوف على تجارتها وخافت أن

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن سرايا النبيﷺ أنظر :الواقدي : المغازي، ج١، ص٩- ١٠٧٩ الطبري : تاريخ الرسل والملوك ، ج٢، ص ١١-٥٥؛ نزار محمود قاسم : الأطلس الجغرافي الإلكتروني لسرايا النبيﷺ متاحاعلي الإنترنت : http://www.islamsyria.com/portal/uploads/CMS/maktabah/hgh;gshg[yvhtd.pdf.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن غزوات الرسول أنظر: ابن اسحاق : السيرة، ص٣٠٣- ٣٢٥؛ ابن حبان : السيرة النبوية ج١، ص١٥٢- ٣٦٦؛ الخركوشي : شرف المصطفي، ج٣، ص١٣-٧٨؛ ابن حزم : جوامع السيرة النبوية، ص٧٧ -٢٠٠.

تلاقى مصير القافلة السابقة، لذلك أرادت أن تظهر لمحمد مدى قوتها، فزحفت فى جيش يبلغ عدده ما بين التسعمائة والألف، بينما كان الرسولﷺ ومن معه من المهاجرين والأنصار فى عدد قليل لا يزيد عن ثلاثمائة وخمس رجال.

عقد الرسولﷺ مجلس الحرب لأخذ الرأى والمشورة، لأنه أراد أن يستوثق من الأنصار وكان قد عاهدهم على الدفاع عنه داخل بلدهم يثرب وفى هذا المجلس أيد الأنصار خطته فى حرب قريش والتصدى لعدوانها وقالوا له فيما قالوا: "لو خضت بنا هذا البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد".

حديث القرآن والسنة النبوية عن غزوة "بدر الكبرى"

وقعت هذه الغزوة في اليوم –**السابع عشر من رمضان للسنة الثانية من الهجرة**– ،"**وسببها**":أن النبي –صلى الله عليه وسلم–ندب أصحابه للتعرض لقافلة قريش العائدة من الشام إلى مكة، ولم يكن يريد قتالا، ولكن القافلة التي كان يقودها أبوسفيان نجت بعد أن كان أرسل إلى قريش يستنفرها لحماية القافلة،فخرجت قريش في نحو من ألف مقاتل، منهم ستمائة دارع (لابس للدرع) ومائة فرس عليها مائة درع سوى دروع المشاة،وسبعمائة بعير،ومعهم النساء يضربن بالدفوف،ويغنين بهجاء المسلمين،أما المسلمون فكانت عدتهم ثلاثمائة وثلاثة عشر أو أربعة عشر رجلا، وأكثرهم من الأنصار، وكان معهم سبعون جملا، وفرسان أو ثلاثة أفراس فحسب، وكان يتعاقب النفر اليسير على الجمل الواحد فترة بعد أخرى، وقبل أن يخوض المعركة، أراد أن يستشير أصحابه، وخاصة الأنصار، في خوض المعركة، فأشار عليهم المهاجرون بخوضها، وتكلموا خيرا، ثم علم الأنصار أنه يريدهم، فقال له سعد بن معاذ وهو سيد الأنصارجميعا: يارسول الله قد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة،فامض يارسول الله لما أردت، فنحن معك،فوالذي بعثك بالحق لو

استعرضت بنا هذا البحر لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، ما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، وإنا لصبر عند الحرب،صدق عند اللقاء، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله. وقال غيره مثل ذلك، فسر الرسول صلى الله عليه وسلم لذلك، وقال: سيروا على بركة الله، وأبشروا، فإن الله وعدني إحدى الطائفتين،إما العير، وإما النفير، ثم سار الرسول صلى الله عليه وسلم حتى وصل أدنى ماء من بدر فنزل به، فقال الحباب بن المنذر: يارسول الله! هذا منزل أنزله الله تعالى: لا تتقدمه ولا تتأخر عنه،أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم بل هو الرأي والحرب والمكيدة، فأشار عليه الحباب بن المنذر أن يسير إلى مكان آخر هو أصلح وأمكن للمسلمين من قطع ماء بدر عن المشركين، فنهض الرسول ص، فنهض الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى وصلوا إلى المكان الذي أشار به الحباب، فأقاموا فيه، ثم أشار سعد بن معاذ أن يبني للرسول صلى الله عليه وسلم عريشا وراء صفوف المسلمين، فإن أعزهم الله كان ما أحب، وإلا جلس على ركائبه ولحق بمن في المدينة، فقد تخلف عنا أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم، ولو ظنوا أنك تلقى حربا لما تخلفوا عنك، فدعا له النبي صلى الله عليه وسلم، وأمر أن يبنى له العريش،ولما التقى الجمعان،أخذ الرسول يسوي صفوف المسلمين، ويحرضهم على القتال،ويرغبهم في الشهادة، وقال: «والذي نفسي بيده، لا يقاتلهم اليوم رجل، فيقتل صابرا محتسبا، مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة» ورجع إلى عريشه ومعه أبو بكر،ويحرسه سعد بن معاذ متوشحا بسيفه، وأخذ الرسول صلى الله عليه وسلم في الدعاء،ومن دعائه: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تهلك هذه العصابة (المؤمنون المحاربون) لا تعبد في الأرض» وأطال في سجوده حتى قال له أبو بكر: حسبك، فإن الله سينجز لك وعدك،ثم حمي القتال، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين، وقد قتل من المشركين نحو من السبعين، فيهم أشركهم أبو جهل وبعض زعمائهم، وأسر منهم نحو السبعين، ثم أمر بدفن القتلى جميعا، وعاد إلى المدينة، ثم استشار أصحابه في أمر الأسرى،فأشار عليه عمر بقتلهم،وأشار عليه أبو بكر بفدائهم،

فقبل الرسول صلى الله عليه وسلم مشورة أبي بكر، وافتدى المشركون أسراهم بالمال[١]،وقد نزل في معركة بدر آيات من كتاب الله الكريم أولاً ما ورد ذكره **سورة آل عمران :**

قوله تعالى{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣)إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ(١٢٤)بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥)وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦)} [٢]

التفسير :

هذا امتنان منه على عباده المؤمنين، وتذكير لهم بما نصرهم به يوم بدر وهم أذلة في قلة عَددهم وعُددهم مع كثرة عدد عدوهم وعُدده، وكانت وقعة بدر في السنة الثانية من الهجرة،خرج النبي–صلى الله عليه وسلم–من المدينة بثلاث مئة وبضعة عشر من أصحابه، ولم يكن معهم إلا سبعون بعيرا وفرسان لطلب عير لقريش قدمت من الشام،فسمع به المشركون فتجهزوا من مكة لفكاك عيرهم، وخرجوا في زهاء ألف مقاتل مع العدة الكاملة والسلاح العام والخيل الكثيرة، فالتقوا هم والمسلمون في ماء يقال له "بدر" بين مكة والمدينة فاقتتلوا، ونصر الله المسلمين نصرا عظيما، فقتلوا من المشركين سبعين قتيلا من صناديد المشركين وشجعانهم، وأسروا سبعين، واحتووا على معسكرهم ستأتي – إن شاء الله – القصة في سورة الأنفال، فإن ذلك موضعها، ولكن الله تعالى هنا أتى بها ليتذكر بها المؤمنون ليتقوا ربهم ويشكروه، فلهذا قال {فاتقوا الله لعلكم تشكرون} لأن من اتقى ربه فقد شكره، ومن ترك التقوى فلم يشكره، إذ تقول يا محمد للمؤمنين يوم بدر مبشرا لهم بالنصر. {ألن يكفيكم أن يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا}أي:من مقصدهم هذا،وهو وقعة بدر{يمددكم ربكم بخمسة

---

[١] السيرة النبوية دروس وعبر: مصطفى السباعى ٧٩/١:٨٢.

[٢] سورة آل عمران :آية.(126:123)

آلاف من الملائكة مسومين}أي:معلمين بعلامة الشجعان،فشرط الله لإمدادهم ثلاثة شروط:الصبر،والتقوى،وإتيان المشركين من فورهم هذا،فهذا الوعد بإنزال الملائكة المذكورين وإمدادهم بهم، وأما وعد النصر وقمع كيد الأعداء فشرط الله له الشرطين الأولين كما تقدم في قوله: {وإن تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئا}{وما جعله الله}أي: إمداده لكم بالملائكة {إلا بشرى}تستبشرون بها وتفرحون{ولتطمئن قلوبكم به وما النصر إلا من عند الله}فلا تعتمدوا على ما معكم من الأسباب، بل الأسباب فيها طمأنينة لقلوبكم، وأما النصر الحقيقي الذي لا معارض له، فهو مشيئة الله لنصر من يشاء من عباده، فإنه إن شاء نصر من معه الأسباب كما هي سنته في خلقه، وإن شاء نصر المستضعفين الأذلين ليبين لعباده أن الأمر كله بيديه، ومرجع الأمور إليه، ولهذا قال{عند الله العزيز} فلا يمتنع عليه مخلوق، بل الخلق كلهم أذلاء مدبرون تحت تدبيره وقهره {الحكيم} الذي يضع الأشياء مواضعها،وله الحكمة في إدالة الكفار في بعض الأوقات على المسلمين إدالة غير مستقرة.[١]

تحدثت سورة الأنفال عن غزوة بدر الكبرى:

قوله تعالى{كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ (٥) يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٦) وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ (٧) لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ (٨) إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (١٠) إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ (١١) إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي

---

[١] معالم التنزيل البغوى /٩٩، تيسير الكريم الرحمن :١٤٦/١.

قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ (١٢) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٣)}[١]

أولاً : سبب النزول:

قوله تعالى{كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ}

حِينَ خَرَجَ الرَّسُولُ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى الْقِتَالِ يَوْمَ بَدْرٍ كَانُوا كَارِهِينَ لِتِلْكَ الْمُقَاتَلَةِ عَلَى مَا سَنَشْرَحُ حَالَةَ تِلْكَ الْكَرَاهِيَةِ،فَلَمَّا قَالَ تَعَالَى: قُلِ الْأَنْفالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ كَانَ التَّقْدِيرُ أَنَّهُمْ رَضُوا بِهَذَا الْحُكْمِ فِي الْأَنْفَالِ وَإِنْ كَانُوا كَارِهِينَ لَهُ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ إِلَى الْقِتَالِ وَإِنْ كَانُوا كَارِهِينَ لَهُ وَهَذَا الْوَجْهُ أَحْسَنُ الْوُجُوهِ الْمَذْكُورَةِ هُنَا. [٢]

قوله تعالى{ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ ...}

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُمِائَةٍ وَسَبْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا،فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: (اللَّهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي. اللَّهُمَّ ائْتِنِي مَا وَعَدْتَنِي،اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ) فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ،فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ،كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ،فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ،فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:" إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ" فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ. [٣]

ثانياً: التفسير :

---

[١] سورة الأنفال :آية.(13:5)

[٢] مفاتيح الغيب: الرازى ٤٥٦/١٥.

[٣] الجامع لأحكام القرآن القرطبى ٣٧٠/٧.

قوله تعالى{كما أخرجك ربك} أيها الرسول{من بيتك}بالمدينة{بالحق}متلبساً به حيث خرجت بإذن الله {وان فريقا من المؤمنين لكارهون}لما علموا بخروج قريش لقتالهم،وكانت العاقبة خيراً عظيماً،هذه الحال مثل حالهم لما كرهوا نزع الغنائم من أيديهم وتوليك قسمتها بإذننا، على أعدل قسمة وأصحها وأنفعها فهذا الكلام في هذه الآية تضمنت تشبيه حال حاضرة بحال ماضيه حصلت في كل واحدة كراهة بعض المؤمنين، وكانت العاقبة في كل منهما خيراً والحمد لله، وقوله تعالى {يجادلونك في الحق بعدما تبين} أي يجادلونك في القتال بعدما أتضح لهم أن العير نجت وأنه لم يبق إلا النفير ولا بد من قتالها. وقوله تعالى{كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون}أي إلى الموت عياناً يشاهدونه أمامهم وذلك من شدة كراهيتهم لقتال لم يستعدوا له ولم يوطنوا أنفسهم لخوض معاركه،وقوله تعالى{وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين}أي اذكر يا رسولنا لهم الوقت الذي يعدكم الله تعالى فيه إحدى الطائفتين العير والنفير، وهذا في المدينة وعند السير أيضاً {أنها لكم} أي تظفرون بها، {وتودون} أي تحبون أن تكون {غير ذات الشوكة} وهي عير أبي سفيان {تكون لكم}،وذلك لأنها مغنم بلا مغرم لقلة عددها وعددها،والله يريد {أن يحق الحق}أي:يظهره بنصر أوليائه وهزيمة أعدائه، وقوله {بكلماته} أي التي تتضمن أمره تعالى إياكم بقتال الكافرين، وأمره الملائكة بالقتال معكم، وقوله {ويقطع دابر الكافرين}أي:بتسليطكم عليهم فتقتلوهم حتى لا تبقوا منهم غير من فر وهرب، وقوله {ليحق الحق} أي لينصره ويقرره وهو الإسلام {ويبطل الباطل} وهو الشرك{ولو كره}ذلك{المجرمون}أي:المشركون الذين أجرموا على أنفسهم فأفسدوها بالشرك،وعلى غيرهم أيضاً حيث منعوهم من قبول الإسلام وصرفوهم عنه بشتى الوسائل، تستغيثون: أي تطلبون الغوث من الله تعالى وهو النصر على أعدائكم مردفين:أي متتابعين بعضهم ردف بعض أي متلاحقين. وما جعله الله إلا بشرى: أي الإمداد

بالملائكة إلا بشرى لكم بالنصر. إذ يغشيكم النعاس: أي يغطيكم به والنعاس: نوم خفيف جداً.[١]

أمنة.: أي أمناً من الخوف الذي أصابكم لقلتكم وكثرة عدوكم،منه: أي من الله تعالى. رجز الشيطان: وسواسه لكم بما يؤلمكم ويحزنكم. وليربط على قلوبكم: أي يشد عليها بالصبر واليقين،ويثبت به الأقدام: أي بالمطر أقدامكم حتى لا تسوخ في الرمال،الرعب: الخوف والفزع،فاضربوا كل بنان: أي أطراف اليدين والرجلين حتى يعوقهم عن الضرب والمشي، شاقوا الله ورسوله: أي خالفوه في مراده منهم فلم يطيعوه وخالفوا رسوله.[٢]

قال تعالى{إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ (٤٢) إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٤٣) وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (٤٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥)}[٣]

التفسير :

قوله{إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم} تذكير لهم بساحة المعركة التي تجلت فيها آيات الله وظهر فيها إنعامه عليهم ليتهيئوا للشكر,وقوله تعالى {ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد} أي لو تواعدتم أنتم والمشركون على اللقاء في بدر للقتال لاختلفتم لأسباب تقتضي ذلك منها أنكم قلة وهم كثرة {ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولاً} أي محكوماً به في قضاء الله وقدره،

---

[١] أيسر التفاسير ٢٨٦/٢ ، مدارك التنزيل النسفى ٦٣١/١.

[٢] لباب التأويل :الخازن ٢٩٤/٢ ، تيسير الكريم الرحمن السعدى ٣١٥/١.

[٣] سورة الأنفال :آية.(45:42)

وهو نصركم وهزيمة عدوكم،وجمعكم من غير تواعد ولا اتفاق سابق. وقوله تعالى {ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حَيَّ عن بينة} هذا تعليل لفعل الله تعالى يجمعكم في وادي بدر للقتال وهو فعل ذلك ليحيا بالإيمان من حيى على بينة وعلم أن الله حق والإسلام حق والرسول حق والدار الآخرة حق حيث أراهم الله الآيات الدالة على ذلك، ويهلك من هلك بالكفر على بينة إذ أتضح له أن ما وسرُّوا ووطنوا أنفسهم للقتال،[١] وقوله: {ولو أراكهم كثيراً} أي في منامك وأخبرت به أصحابك لفشلتم أي جبنتم عن قتالهم، ولتنازعتم في أمر قتالهم {ولكن الله سلَّم} من ذلك فلم يريكهم كثيراً إنه تعالى عليم بذات الصدور ففعل ذلك لعلمه بما يترتب عليه من خير وشر،[٢] وقوله تعالى {وإذ يريكموهم} أي اذكروا أيها المؤمنون إذ يريكم الله الكافرين عند التقائكم بهم قليلاً في أعينكم كأنهم سبعون رجلاً أو مائة مثلاً ويقللكم سبحانه وتعالى في أعينهم حتى لا يهابوكم، وهذا كان عند المواجهة وقبل الالتحام أما بعد الالتحام فقد أرى الله تعالى الكافرين أراهم المؤمنين ضعفيهم في الكثرة وبذلك انهزموا كما جاء ذلك في سورة آل عمران في قوله {يرونهم مثليهم} وقوله تعالى {ليقضي الله أمراً كان مفعولاً} تعليل لتلك التدابير الإلهية لأوليائه لنصرتهم وإعزازهم وهزيمة أعدائهم وإذلالهم وقوله تعالى {إلى الله ترجع الأمور} إخبار منه تعالى بأن الأمور كلها تصير إليه فما شاء منها كان وما لم يشأ لم يكن خبراً كان أو غيراً[٣]، {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً} أي: طائفة من الكفار تقاتلكم{فَاثْبُتُوا} لقتالها، واستعملوا الصبر وحبس النفس على هذه الطاعة الكبيرة،التي عاقبتها العز والنصر واستعينوا على ذلك بالإكثار من ذكر الله{لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}أي: تدركون ما تطلبون من الانتصار على أعدائكم، فالصبر والثبات والإكثار من ذكر الله من أكبر الأسباب للنصر.[٤]

---

[١] المحرر الوجيز: ابن عطيه ٥٣٣/٢. ,الجامع لأحكام القرآن القرطبى ٢٣:٢١/٨

[٢] مفاتيح الغيب : الرازى ٤٨٨/١٥.

[٣] أيسر التفاسير:الجزائرى ٣١١٣:٣١٢/٢.

[٤] تيسير الكريم الرحمن : السعدى :٣٢٢/١.

حديث القرآن عن أسرى بدر

قوله تعالى{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ(٦٧)لَوْلَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٦٨)}[1]

أولاً : سبب النزول :

نزلت فِي أُسَارَى بدر؛ فَإِنَّهُ رُوِيَ: "أَن النَّبِي قتل سبعين يَوْم بدر، وَأسر سبعين من الْمُشْركين، ثمَّ إِنَّه اسْتَشَارَ أَصْحَابه فِي الْأُسَارَى، فَقَالَ أَبُو بكر – رَضِي الله عَنهُ – : هَؤُلَاءِ قَوْمك وأسرتك وَأَهْلك، اسْتَبْقِهِمْ لَعَلَّ الله أَن يهْدِيهم بك، وَخذ مِنْهُم الْفِدَاء؛فَيكون مَعُونَة للْمُسلمين،وَقَالَ عمر:هَؤُلَاءِ آذوك وَأَخْرَجُوك وَكَفرُوا بِمَا جِئْت بِهِ فَاضْرب أَعْنَاقهم. فَمَال الرَّسُول إِلَى قَول أبي بكر وَأحب مَا ذكره ،وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ" مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْض" ،فَأَحَلَّ اللَّهُ الْغَنِيمَةَ لَهُمْ.[2]

ثانياً: التفسير :

قوله{مَا كَانَ لِنَبِيٍّ} ما صح له ولا استقام {أَن يَكُونَ لَهُ أسرى} أَن تَكُونَ بصري {حتى يُثْخِنَ فِي الأرض} الإثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من الثخانة وهى الغلظ والكثافة يعنى حتى يذل الكفر بإشاعة القتل في أهله ويعز الإسلام بالاستيلاء والقهر ثم الأسر بعد ذلك روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بسبعين أسيراً فيهم العباس عمه وعقيل فاستشار النبي عليه السلام أبا بكر فيهم فقال قومك وأهلك استبقهم لعل الله يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها أصحابك وقال عمرو رضى الله عنه كذبوك وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء مكن علياً من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال عليه السلام مثلك يا أبا بكر كمثل إبراهيم حيث

---

[1] سورة الأنفال :آية(68:67) .

[2] الجامع لأحكام القرآن القرطبى ٤٦/٨ ,تفسير القرآن السمعانى ٢٧٩/٢

قال وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غفور رحيم ومثلك يا عمر كمثل نوح حيث قال رَبِّ لاَ تَذَرْ عَلَى الأرض مِنَ الكافرين ديارا ثم قال رسول الله–صلى الله عليه وسلم–لهم إن شئتم قتلتموهم،وإن شئتم فاديتموهم،واستشهد منكم بعدّتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد فلما أخذوا الفداء نزلت الآية وقوله تعالى {تريدون عرض الدنيا} هذا من عتابه تعالى لهم، إذ ما فادوا الأسرى إلا لأنهم يريدون حطام الدنيا وهو المال، وقوله {والله يريد الآخرة} فشتان ما بين مرادكم ومراد ربكم لكم تريدون العرض الفاني والله يريد لكم النعيم الباقي، وقوله تعالى {والله عزيز حكيم} أي غالب على أمره ينصر من توكل عليه وفوّض أمره إليه، حكيم في تصرفاته فلا يخذل أولياءه وينصر أعداءه.[١]

*** قَوْلُهُ تَعَالَى{ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ }[٢]**

سبب النزول:

نَزَلَتْ فِي قَتْلَى بَدْرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانُوا بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، ثَمَانِيَةً مِنَ الْأَنْصَارِ وَسِتَّةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ،وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا يَقُولُونَ لِلرَّجُلِ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَاتَ فُلَانٌ وَذَهَبَ عَنْهُ نَعِيمُ الدُّنْيَا وَلَذَّاتُهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ.[٣]

التفسير :

قوله{وَلا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أموات}نزلت في قتلى بدر من المسلمين وذلك أنَّهم كانوا يقولون لمَنْ يُقتل فِي سبيل الله:مات فلانٌ وذهب عنه نعيم الدُّنيا فقال الله تعالى:ولا تقولوا للمقتولين في سبيلي هم أمواتٌ{بل}هم {أحياء}لأنَّ أرواح الشُّهداء فِي أجواف طيرٍ خضرٍ تسرح في الجنَّة{ولكن لا تشعرون} بما هم فيه من النَّعيم والكرامة".[٤]

---

[١] أيسر التفاسير:الجزائرى ٣٢٩/٢. .لباب التأويل :الخازن ٢٣٦/٢، الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون :السمين الحلبى ٦٣٧/٥

[٢] سورةالبقرة:آية ١٥٤.

[٣] أسباب النزول: النيسابورى ٤٤/١ .

[٤] الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز:الواحدى ١٣٩/١.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا }[1] .

سبب النزول :

نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ تَكَلَّمُوا بِالْإِسْلَامِ وَلَمْ يُهَاجِرُوا وَأَظْهَرُوا الْإِيمَانَ وَأَسَرُّوا النِّفَاقَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ خَرَجُوا مَعَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ فَقُتِلُوا، فَضَرَبَتِ الْمَلَائِكَةُ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ، وَقَالُوا لَهُمْ مَا ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ.[2]

التفسير :

التوفي قبض الروح والملائكة ملك الموت وأعوانه {ظَالِمِى أَنفُسِهِمْ} حال من ضمير المفعول في توفاهم أي في حال ظلمهم أنفسهم بالكفر وترك الهجرة {قَالُواْ} أي الملائكة للمتوفّين {فِيمَ كُنتُمْ} أي في أي شيء كنتم في أمر دينكم ومعناه التوبيخ بأنهم لم يكونوا في شيء من الدين {قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ} عاجزين عن الهجرة {فِى الأرض}أرض مكة فأخرجونا كارهين {قَالُواْ} أي الملائكة موبخين لهم {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ الله واسعة فتهاجروا فِيهَا} أرادوا أنكم كنتم قادرين على الخروج من مكة إلى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من إظهار دينكم ومن الهجرة إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم–ونصب فنها جروا على جواب الاستفهام {فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مصيرا}،الآية تدل على أن من لم يتمكن من إقامة دينه في بلد كما يجب وعلم أنه يتمكن من إقامته في غيره حقت عليه المهاجرة وفي الحديث من فر بدينه من أرض إلى أرض وإن كان شبراً من الأرض استوجبت له الجنة وكان رفيق أبيه إبراهيم ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم.[3]

---

[1] سورة النساء :آية (٩٧).

[2] أسباب النزول :١٧٧/١.

[3] مدارك التنزيل : النسفى ٣٨٨/١،تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ٣٨٨/٢.

قَوْلُهُ تَعَالَى:{ وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا}[1]

سبب النزول :

أَخْبَرَنَا أَبُو حَسَّانَ الْمُزَنِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ هَارُونَ قَالَ: أَخْبَرَنَا إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْخُزَاعِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو الْوَلِيدِ الْأَزْرَقِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا جَدِّي قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: كَانَ بِمَكَّةَ نَاسٌ قَدْ دَخَلَهُمُ الْإِسْلَامُ وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا الْهِجْرَةَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ وَخُرِجَ بهم كرهًا فقتلوا، أنزل اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ}،إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ} إِلَى آخر الآية. قال: وكتب بِذَلِكَ مَنْ كَانَ بِالْمَدِينَةِ إِلَى مَنْ بِمَكَّةَ مِمَّنْ أَسْلَمَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي بَكْرٍ كان مَرِيضًا: إِلَى "الرَّوْحَاءِ" فَخَرَجُوا بِهِ، فَخَرَجَ يُرِيدُ الْمَدِينَةَ، فَلَمَّا بَلَغَ "الْحَصْحَاصَ" مَاتَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ}.[2]

التفسير :

قوله{وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأرض مراغماً} أَيْ: مهاجراً ومتحوّلاً {كثيراً وسعة} في الرِّزق {وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ} الآية نزلت في حبيب بن ضمرة اللَّيثي وكان شيخاً كبيراً خرج متوجِّهاً إلى المدينة فمات في الطَّريق فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو وافى المدينة لكان أتمَّ أجراً فأنزل الله تعالى هذه الآية وأخبر أنَّ مَنْ قصد طاعةً ثمَّ أعجزه العذر عن تمامها كتب الله ثواب تمام تلك الطَّاعة ومعنى {وقع أجره على الله} وجب ذلك بإيجابه .[3]

---

[1] سورة النساء:آية (١٠٠).

[2] أسباب النزول : ١٧٨/١ .

[3] الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز:الواحدى: ٢٨٤/١، الدر المصون السلمين الحلبى ٨٠/٤.

قَوْلُهُ تَعَالَى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[1]

سبب النزول :

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ قَالَ: لَمَّا هُزِمَ الْعَدُوُّ يَوْمَ "بَدْرٍ" وَاتَّبَعَتْهُمْ طَائِفَةٌ يَقْتُلُونَهُمْ وَأَحْدَقَتْ طَائِفَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَاسْتَوْلَتْ طَائِفَةٌ عَلَى الْعَسْكَرِ وَالنَّهْبِ، فَلَمَّا نَفَى اللَّهُ الْعَدُوَّ، وَرَجَعَ الَّذِينَ طَلَبُوهُمْ، قَالُوا: لَنَا النَّفَلُ؛ نَحْنُ طَلَبْنَا الْعَدُوَّ وَبِنَا نَفَاهُمُ اللَّهُ وَهَزَمَهُمْ، وَقَالَ الَّذِينَ أَحْدَقُوا بِرَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ بِأَحَقَّ بِهِ مِنَّا؛ نَحْنُ أَحْدَقْنَا بِرَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لَا يَنَالُ الْعَدُوُّ مِنْهُ غِرَّةً فَهُوَ لَنَا، وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَوْلَوْا عَلَى الْعَسْكَرِ وَالنَّهْبِ: وَاللَّهِ مَا أَنْتُمْ بِأَحَقَّ مِنَّا؛ نَحْنُ أَخَذْنَاهُ وَاسْتَوْلَيْنَا عَلَيْهِ فَهُوَ لَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} فَقَسَمَهُ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالسَّوِيَّةِ.[2]

التفسير :

{يسألونك عن الأنفال؟} الغنام فأخبرهم أنها {لله والرسول} فالله يحكم فيها بما يشاء والرسول يقسمها بينكم كما يأمره ربه وعليه فاتقوا الله تعالى بترك النزاع والشقاق، {وأصلحوا} ذات بينكم بتوثيق عرى المحبة بينكم وتصفية قلوبكم من كل ضغن أو حقد نشأ من جراء هذه الأنفال واختلافكم في قسمتها،{وأطيعوا الله ورسوله} في كل ما يأمرانكم به وينهيانكم عنه {إن كنتم مؤمنين} حقاً فامتثلوا الأمر واجتنبوا النهي.[3]

قَوْلُهُ تَعَالَى: { فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}. [4]

سبب النزول:

---

[1] سورة الأنفال :آية (١).

[2] أسباب النزول :٢٣٢/١.

[3] أيسر التفاسير: الجزائرى ٢٨٤/٢ ،تيسير الكريم الرحمن :السعدى ٣١٥/١.

[4] سورة الانفال:آية{١٧}

أَكْثَرُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ عَلَى أَنَّ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي رَمْيِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْقَبْضَةَ مِنْ حَصْبَاءِ الْوَادِي يَوْمَ "بَدْرٍ" حِينَ قَالَ لِلْمُشْرِكِينَ: شَاهَتِ الْوُجُوهُ وَرَمَاهُمْ بِتِلْكَ القبضة، فلم يبق عَيْنُ مُشْرِكٍ إِلَّا دَخَلَهَا مِنْهُ شَيْءٌ.[1]

التفسير :

يقول تعالى – لما انهزم المشركون يوم بدر، وقتلهم المسلمون – {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ} بحولكم وقوتكم {وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ} حيث أعانكم على ذلك بما تقدم ذكره وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} وذلك أن النبي–صلى الله عليه وسلم–وقت القتال دخل العريش وجعل يدعو الله، ويناشده في نصرته، ثم خرج منه، فأخذ حفنة من تراب، فرماها في وجوه المشركين، فأوصلها الله إلى وجوههم، فما بقي منهم واحد إلا وقد أصاب وجهه وفمه وعينيه منها، فحينئذ انكسر.

حدهم، وفتر زندهم، وبان فيهم الفشل والضعف، فانهزموا يقول تعالى لنبيه: لست بقوتك – حين رميت التراب – أوصلته إلى أعينهم، وإنما أوصلناه إليهم بقوتنا واقتدارنا. {وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا} أي: إن الله تعالى قادر على انتصار المؤمنين من الكافرين، من دون مباشرة قتال،ولكن الله أراد أن يمتحن المؤمنين، ويوصلهم بالجهاد إلى أعلى الدرجات، وأرفع المقامات،ويعطيهم أجرا حسنا وثوابا جزيلا،إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} يسمع تعالى ما أسر به العبد وما أعلن، ويعلم ما في قلبه من النيات الصالحة وضدها، فيقدر على العباد أقدارا موافقة لعلمه وحكمته ومصلحة عباده، ويجزي كلا بحسب نيته وعمله.[2]

قَوْلُهُ تَعَالَى:{**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ**}[3]

سبب النزول :

---

[1] أسباب النزول:١/٢٣٤.

[2] تيسير الكريم الرحمن ٣١٧/١،تيسير التفسير:القطان١٠١/٢.

[3] سورة التوبة :آية (١٧).

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ لَمَّا أُسِرَ الْعَبَّاسُ يَوْمَ بَدْرٍ أَقْبَلَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ فَعَيَّرُوهُ بِكُفْرِهِ بِاللَّهِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ، وَأَغْلَظَ عَلِيٌّ لَهُ الْقَوْلَ، فَقَالَ الْعَبَّاسُ: مَا لَكُمْ تَذْكُرُونَ مَسَاوِينَا وَلَا تَذْكُرُونَ، مَحَاسِنَنَا، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: أَلَكُمُ مَحَاسِنُ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّا لَنَعْمُرُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامِ، وَنَحْجُبُ الْكَعْبَةَ، وَنَسَقِي الْحَاجَّ، وَنَفُكُّ الْعَانِيَ؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ – عَزَّ وَجَلَّ – رَدًّا عَلَى الْعَبَّاسِ: {مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا} الْآيَةَ.[١]

التفسير :

قوله{مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ}ما صح لهم وما استقام{أن يعمروا مساجد الله}يعني المسجد الحرام{شاهدين على أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ}باعترافهم بعبادة الأصنام وهو حال من الواو في يَعْمُرُواْ والمعنى ما استقام لهم أن يجمعوا بين أمرين متضادين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته {أُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أعمالهم وَفِى النار هُمْ خالدون} دائمون.[٢]

– قَوْلُهُ تَعَالَى: { هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ}[٣]

سبب النزول :

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ الْحَارِثِ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو الشَّيْخِ الْحَافِظُ قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ قَالَ: أَخْبَرَنَا هِلَالُ بْنُ بِشْرٍ قَالَ: أَخْبَرَنَا يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ: أَخْبَرَنَا سُلَيْمَانُ التَّيْمِيُّ عَنْ أَبِي مِجْلَزٍ، عَنْ قيس عن عُبَادٍ، عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: فِينَا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ وَفِي مُبَارَزَتِنَا يَوْمَ بَدْرٍ: {هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا} إِلَى قَوْلِهِ {الْحَرِيقِ}.[٤]

التفسير :

---

[١] أسباب النزول: ١//٢٤٣.

[٢] مدارك التنزيل : النسفى : ٦٦٩/١، أنوار التنزيل : البيضاوى ٧٤/٣ .

[٣] سورةالحج :آيَةَ {١٩}.

[٤] أسباب النزول: ٣٠٨/١ .

{هذان خصمان} يعني: المؤمنين والكافرين {اختصموا في ربهم} في دينه {فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ} يلبسون مقطعات النيران {يصبُّ من فوقِ رؤوسهم الحميم} ماءٌ حارٌّ لو سقطت نقطٌ على جبال الدُّنيا أذابتها.[1]

قَوْلُهُ تَعَالَى: { وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[2]

سبب النزول :

عَنِ الزُّهْرِيِّ: أَنَّ رَجُلًا مِنْ قُرَيْشٍ أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَكَانَ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيٍّ أَسِيرًا، وَكَانَتْ لِعَبْدِ اللَّهِ جَارِيَةٌ يُقَالُ لَهَا "مُعَاذَةُ"، وَكَانَ الْقُرَشِيُّ الْأَسِيرُ يُرَاوِدُهَا عَنْ نَفْسِهَا، وَكَانَتْ تَمْتَنِعُ مِنْهُ لِإِسْلَامِهَا، وَكَانَ ابْنُ أُبَيٍّ يُكْرِهُهَا عَلَى ذَلِكَ وَيَضْرِبُهَا لِأَجْلِ أَنْ تَحْمِلَ مِنَ الْقُرَشِيِّ فَيَطْلُبَ فِدَاءَ وَلَدِهِ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} إِلَى قَوْلِهِ: {غَفُورٌ رَحِيمٌ} قَالَ أَغْفِرُ لَهُنَّ مَا أُكْرِهْنَ عَلَيْهِ. [3]

التفسير :

قوله{وليستعفف} وليعفَّ عن الحرام مَنْ لا يقدر على تزوُّج امرأةٍ بأن لا يملك المهر والنَّفقة {حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ} يطلبون {الكتاب} المكاتبة {مما ملكت أيمانكم} من عبيدكم وهو أن يطلب من مولاه أن يبيعه منه بمالٍ معلومٍ يُؤدِّيه إليه في مدَّةٍ معلومةٍ فإذا أدَّى ذلك عتق {فكاتبوهم} فأعطوهم ما يطلبون من الكتابة {إن علمتم فيهم خيراً} اكتساباً للمال يقدرون على أداء مال الكتابة {وآتوهم من مال الله الذي آتاكم} يعني: حطُّوا عنهم من المال الذي كاتبتموهم عليه ويستحبُّ ذلك للسيِّد وهو أن يحطَّ عنه ربع المال وقيل: المراد بهذا أن يُؤتوا سهمهم من الزَّكاة {ولا

---

[1] الوجيز: ٧٣١/١، لطائف الإشارات :القشيرى ٥٣٥/٢.

[2] سورة النور :آية(٣٣).

[3] أسباب النزول: ٣٢٧/١

تكرهوا فتياتكم} إماءكم {على البغاء} الزِّنا نزلت في عبد الله ابن أُبيٍّ وكانت له جوارٍ يكرههنَّ على الزِّنا ويأخذ منهنَّ أجراً معلوماً {إن أردن تحصناً} قيل: إنَّ هذا راجعٌ إلى قوله: {وَأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ}إن أردن تحصُّناً وقيل: إنْ بمعنى: إذ والمعنى: لا تكرهوهنَّ على الزِّنا إذ أردن التَّعفُّف عنه{لتبتغوا عرض الحياة الدنيا} يعني: ما يؤخذ من أجورهنَّ {ومن يكرههنَّ}على الزِّنا {فإنَّ الله من بعد إكراههنَّ} لهنَّ {غفور رحيم} والوزر على المُكْرِه .[١]

قَوْلُهُ تَعَالَى: {الم (١) أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ}[٢]

سبب النزول :

قَالَ مُقَاتِلٌ نَزَلَتْ فِي مِهْجَعٍ مَوْلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ كَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَ بَدْرٍ رَمَاهُ عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ بِسَهْمٍ فَقَتَلَهُ فَقَالَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَوْمَئِذٍ:"سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ مِهْجَعٌ،وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ يُدْعَى إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ"، فَجَزِعَ عَلَيْهِ أَبَوَاهُ وَامْرَأَتُهُ،فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ هَذِهِ الْآيَةَ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْمَشَقَّةِ فِي ذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.[٣]

التفسير:

قوله سبحانه وتعالى: الم أَحَسِبَ النَّاسُ يعني: أظنّ الناس أَنْ يُتْرَكُوا يعني: أن يمهلوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا أي: صدقنا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ يعني: لا يبتلون.[٤]

قوله تعالى{الم (١) غُلِبَتِ الرُّومُ (٢) فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (٣)}.[٥]

سبب النزول :

---

[١] الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز: الواحدى ٧٦٣/١، لباب التأويل: الخازن ٢٩٥/٣.

[٢] سورة العنكبوت :آية (٢:١).

[٣] أسباب النزول: ٣٤٠/١.

[٤] بحر العلوم :السمرقندى ٦٢٤/٢، النكت والعيون:الماوردى ٢٧٥/٤.

[٥] سورة الروم :آية (٣:١).

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ، فَأُعْجِبَ الْمُؤْمِنُونَ بِذَلِكَ فَنَزَلَتْ: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ} إِلَى قَوْلِهِ: {يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ} قَالَ: يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِظُهُورِ الرُّومِ عَلَى فَارِسَ.[١].

التفسير :

معنى الآية: أنه بلغ أهل مكة أنّ الملك كسرى هزم جَيْشَ الروم بأذْرِعَاتٍ وهي أدنى الأرض إلى مكة قاله عكرمة،فَسُرَّ بذلك كفارُ مكةَ فبشر الله تعالى المؤمنين بأن الرومَ سيَغْلِبونَ في بضْعِ سنين، فخرج أبو بكر رضي الله عنه إلى المسجد الحرام فقال للكفار: أسركم أن غُلِبَتِ الرُّوم؟ فإن نبيَّنا أخبرنا عن الله تعالى: أنهم سَيغْلبون في بضع سنين، فقال له أُبَيُّ بن خلف وأخوه أمية بن خلف: يا أبا بكر: تعالَ فَلْنَتَنَاحَبْ،أي: نتراهنْ في ذلك،فراهنهم أبو بكر على خمس قلائص «[٢]»،والأجل ثلاث سني، وذلك قبل أن يحرم القِمار، فأخبر النبيُّ صلى الله عليه وسلّم بذلك فقال له: إن البضع إلى التسع،ولكن زدهم في الرهن واستزدهم في الأجل،ففعل أبو بكرٍ ،فجعلوا القلائصَ مائةً،والأجل تسعةَ أعوامٍ،فَغَلَبَتْ الرومُ فارسَ فِي أَثْنَاءِ الأَجَلِ يوم بدر.[٣]

قَوْلُهُ تَعَالَى: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}. [٤]

سبب النزول :

عَنْ عِكْرِمَةَ قَالَ: لَقِيَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أَبَا جَهْلٍ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي أَمْنَعُ أَهْلِ الْبَطْحَاءِ، وَأَنَا الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ،قَالَ: فَقَتَلَهُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَأَذَلَّهُ وَعَيَّرَهُ بِكَلِمَتِهِ،وَنَزَلَ فِيهِ: {ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ}.[١]

---

[١] أسباب النزول: . ٣٤٤/١.

[٢] القلائص: جمع قلوص، هى كل أنثى من الإبل حين تركب،ينظر: «لسان العرب» ابن منظور: ٣٧٢/٢.

[٣] الجواهر الحسان : الثعالبى : ٣٠٥/٤:٣٠٦.

[٤] سورة الدخان:آية {٤٩}.

التفسير :

قوله{ذُقْ} هذا العذاب الأليم والعقاب الوخيم {إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} أي: بزعمك أنك عزيز ستمتنع من عذاب الله وأنك كريم على الله لا يصيبك بعذاب،فاليوم تبين لك أنك أنت الذليل المهان الخسيس. [٢].

قَوْلُهُ تَعَالَى:{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} [٣]

سبب النزول:

قَالَ مُقَاتِلٌ: كَانَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فِي الصُّفَّةِ وَفِي الْمَكَانِ ضِيقٌ وَذَلِكَ يَوْمَ الْجُمُعَة،وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يُكْرِمُ أَهْلَ بَدْرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَجَاءَ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ وَقَدْ سُبِقُوا إِلَى الْمَجْلِسِ، فَقَامُوا حِيَالَ النَّبِيِّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – على أرجلهم ينتظرون أَنْ يُوَسَّعَ لَهُمْ فَلَمْ يُفْسِحُوا لَهُمْ، وَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فَقَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ بَدْرٍ: "قُمْ يَا فُلَانُ وَأَنْتَ يَا فُلَانُ"، فَأَقَامَ مِنَ الْمَجْلِسِ بِقَدْرِ النَّفَرِ الَّذِي قَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى مَنْ أُقِيمَ مِنْ مَجْلِسِهِ وَعَرَفَ النَّبِيُّ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الْكَرَاهِيَةَ فِي وُجُوهِهِمْ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ لِلْمُسْلِمِينَ: أَلَسْتُمْ تَزْعُمُونَ أَنَّ صَاحِبَكُمْ يَعْدِلُ بَيْنَ النَّاسِ؟ فَوَاللَّهِ مَا عَدَلَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ: قَوْمٌ أَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ وَأَحَبُّوا الْقُرْبَ مِنْ نَبِيِّهِمْ أَقَامَهُمْ وَأَجْلَسَ مَنْ أَبْطَأَ عَنْهُمْ مَقَامَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ [٤].

التفسير :

---

[١] أسباب النزول: ٣٧٧/١

[٢] تيسير الكريم الرحمن: السعدى٧٧٤/١.

[٣] سورة المجادلة :آية{ ١١}

[٤] أسباب النزول: ٤١٢/١.

هذا تأديب من الله لعباده المؤمنين،إذا اجتمعوا في مجلس من مجالس مجتمعاتهم، واحتاج بعضهم أو بعض القادمين عليهم للتفسح له في المجلس، فإن من الأدب أن يفسحوا له تحصيلا لهذا المقصود،وليس ذلك بضار للجال شيئا، فيحصل مقصود أخيه من غير ضرر يلحقه هو،والجزاء من جنس العمل، فإن من فسح فسح الله له، ومن وسع لأخيه، وسع الله عليه،{وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا}أي:ارتفعوا وتنحوا عن مجالسكم لحاجة تعرض،{فَانْشُزُوا}أي: فبادروا للقيام لتحصيل تلك المصلحة، فإن القيام بمثل هذه الأمور من العلم والإيمان،والله تعالى يرفع أهل العلم والإيمان درجات بحسب ما خصهم الله به، من العلم والإيمان وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} فيجازي كل عامل بعمله، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.[1]

قَوْلُهُ تَعَالَى: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ}.[2]

سبب النزول :

نَزَلَتْ فِي النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ حِينَ قَالَ: {اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ} الْآيَةَ، فَدَعَا عَلَى نَفْسِهِ وَسَأَلَ الْعَذَابَ، فَنَزَلَ بِهِ مَا سَأَلَ يَوْمَ بَدْرٍ فَقُتِلَ صَبْرًا، وَنَزَلَ فِيهِ: {سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ} الْآيَةَ . [3]

التفسير :

قَوْله تَعَالَى: {سَأَلَ سَائل بِعَذَاب وَاقع} أَي: وَاقع أَي: دَعَا دَاع، وَالْآيَة نزلت فِي النَّضر بن الْحَارِث،قَوْله تَعَالَى: {بِعَذَاب وَاقع} " الْبَاء "صلَة وَمَعْنَاهُ: دَعَا دَاع، وَالْتمس ملتمس عذَابا من الله تَعَالَى.[4]

الأحاديث الواردة في غزوة بدر:

ورد عدة أحاديث فى السنة النبوية المطهرة عن الغزوة ومنها ما يلى :

---

[1] تيسير الكريم الرحمن :السعدى ٨٤٦/١،محاسن التأويل القاسمى:١٧٠/٩.

[2] سورة المعارج:آية(١).

[3] أسباب النزول:٤٤٥/١ .

[4] تفسير القرآن : السمعانى : ٤٤/٦، تيسير الكريم الرحمن :السعدى :٨٨٥/١، روح المعانى :الألوسى ٦٢/١٥.

١- عَنْ أَنَسٍ،أَنَّ رَسُولَ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–شَاوَرَ حِينَ بَلَغَهُ إِقْبَالُ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَ: فَتَكَلَّمَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ تَكَلَّمَ عُمَرُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: إِيَّانَا تُرِيدُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نُخِيضَهَا الْبَحْرَ لَأَخَضْنَاهَا، وَلَوْ أَمَرْتَنَا أَنْ نَضْرِبَ أَكْبَادَهَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ لَفَعَلْنَا،قَالَ: فَنَدَبَ رَسُولُ اللهِ–صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–النَّاسَ،فَانْطَلَقُوا حَتَّى نَزَلُوا بَدْرًا، وَوَرَدَتْ عَلَيْهِمْ رَوَايَا قُرَيْشٍ، وَفِيهِمْ غُلَامٌ أَسْوَدُ لِبَنِي الْحَجَّاجِ، فَأَخَذُوهُ،فَكَانَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَسْأَلُونَهُ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ،وَأَصْحَابِهِ،فَيَقُولُ:مَا لِي عِلْمٌ بِأَبِي سُفْيَانَ،وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ،وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ،فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ ضَرَبُوهُ،فَقَالَ: نَعَمْ،أَنَا أُخْبِرُكُمْ،هَذَا أَبُو سُفْيَانَ، فَإِذَا تَرَكُوهُ فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ مَا لِي بِأَبِي سُفْيَانَ عِلْمٌ، وَلَكِنْ هَذَا أَبُو جَهْلٍ، وَعُتْبَةُ، وَشَيْبَةُ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، فِي النَّاسِ، فَإِذَا قَالَ هَذَا أَيْضًا ضَرَبُوهُ، وَرَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ انْصَرَفَ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتَضْرِبُوهُ إِذَا صَدَقَكُمْ، وَتَتْرُكُوهُ إِذَا كَذَبَكُمْ»، قَالَ،فَقَالَ رَسُولُ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: «هَذَا مَصْرَعُ فُلَانٍ»، قَالَ: وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْأَرْضِ «هَاهُنَا،هَاهُنَا»،قَالَ: فَمَا مَاطَ أَحَدُهُمْ عَنْ مَوْضِعِ يَدِ رَسُولِ اللهِ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.[١]

٢- عَنْ قَتَادَةَ، حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ البَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ –صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–،فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ،أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ،وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ،اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ،قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى».[٢]

---

[١] صحيح البخارى : ك: الجهاد والسير ،باب غزوة بدر٣/١٤٠٣ ح رقم (١٧٧٩).

[٢] أخرجه البخارى:ك: الجهاد والسير ،ب: من أتاه سهم فى غرب فقتله٤/٢٠ ح رقم(٢٨٠٩).

٣- عَنْ مُعَاذِ بْنِ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ، عَنْ أَبِيهِ،وَكَانَ أَبُوهُ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-،فَقَالَ:" مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ، قَالَ: مِنْ أَفْضَلِ المُسْلِمِينَ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا،قَالَ: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ المَلاَئِكَةِ ".[١]

٤- ابْنُ عَبَّاسٍ، قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ يَشْتَدُّ فِي أَثَرِ رَجُلٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَمَامَهُ، إِذْ سَمِعَ ضَرْبَةً بِالسَّوْطِ فَوْقَهُ وَصَوْتَ الْفَارِسِ يَقُولُ: أَقْدِمْ حَيْزُومُ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُشْرِكِ أَمَامَهُ فَخَرَّ مُسْتَلْقِيًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَإِذَا هُوَ قَدْ خُطِمَ أَنْفُهُ، وَشُقَّ وَجْهُهُ، كَضَرْبَةِ السَّوْطِ فَاخْضَرَّ ذَلِكَ أَجْمَعُ، فَجَاءَ الْأَنْصَارِيُّ، فَحَدَّثَ بِذَلِكَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «صَدَقْتَ، ذَلِكَ مِنْ مَدَدِ السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ»، فَقَتَلُوا يَوْمَئِذٍ سَبْعِينَ، وَأَسَرُوا سَبْعِينَ.[٢]

٥- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ-عَزَّ وَجَلَّ- اطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ".[٣]

الدروس المستفادة من الغزوة :

أولاً: حقيقة النصر من الله تعالى:

إن حقيقة النصر في بدر كانت من الله تعالى تصديقاً لقوله: (وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)[٤]، وقوله تعالى: (وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلاَّ بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[٥]،

---

[١] أخرجه البخارى:ك: المغازى ،ب: شهود الملائكة بدراه/٨٠ ح رقم(٣٩٩٢).

[٢] أخرجه مسلم فى صحيحه ،ك:الجهاد والسير،ب:الإمداد بالملاكة فى غزوة بدروإباحة الغنام،١٣٨٣/٣ ح رقم (١٧٦٣).

[٣] أخرجه الإمام أحمد فى مسنده،مسند أبى هريرة-رضى الله عنه- ٣٢٢/١٣ح رقم (٧٩٤٠).

[٤] آل عمران: آية[١٢٦].

[٥] الأنفال آية (١٠).

والمعنى: ليس النصر إلا من عند الله دون غيره، و (العزيز) أى: ذو العزة التي لا ترام[١]،(الحكيم)،أى:الحكيم فيما شرعه من قتال الكفار مع القدرة على دمارهم وإهلاكهم بحوله وقوته سبحانه وتعالى.[٢]

ويستفاد من هاتين الآيتين: تعليم المؤمنين الاعتماد على الله وحده، وتفويض أمورهم إليه مع التأكيد على أن النصر من عنده وليس من الملائكة أو غيرهم.[٣]

ثانياً: مظاهر فضله على المؤمنين،وأن النصر الذي كان في بدر، وقتلهم المشركين، ورمي النبي صلى الله عليه وسلم المشركين بالتراب يوم بدر إنما كان في الحقيقة بتوفيق الله أولاً وبفضله ومعونته، وبهذه الآية الكريمة يربي القرآن المسلمين ويعلمهم الاعتماد عليه، قال تعالى: (فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلاءً حَسَنًا إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)[٤]،ولما بيَّن سبحانه وتعالى أن النصر كان من عنده، وضح بعض الحكم من ذلك النصر، قال تعالى: (لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُوا خَائِبِينَ – لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ)[٥]

ثالثاً: أمر سبحانه وتعالى المؤمنين أن يتذكروا دائما تلك النعمة العظيمة؛ نعمة النصر في بدر،ولا ينسوا من أذهانهم كيف كانت حالتهم قبل النصر، قال تعالى:(وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)[٦]

---

[١] انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤١١).

[٢] انظر: المرجع السابق (٢/ ٣٠٢) نقلاً عن حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم (١/ ٩٧ - ١٠٥).

[٣] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل : عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ١/٤٤١:٤٤٢.

[٤] سورة الأنفال: آية[١٧].

[٥] سورةآل عمران:آية[١٢٧، ١٢٨].

[٦] سورةالأنفال:آية[٢٦].

رابعاً: سُمي يوم بدر يوم الفرقان، فقد بدأت وانتهت بتدبير الله وتوجيهه وقيادته ومدده، فرقانًا بين الحق والباطل ، بمدلول أوحى به فى قوله تعالى: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ – لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)،فقدخرج المسلمين يريدون عير أبي سفيان واغتنام القافلة، فأراد الله لهم غير ما أرادوا، أراد لهم أن تفلت منهم قافلة أبي سفيان (غير ذات الشوكة)، وأن يلاقوا نفير أبي جهل (ذات الشوكة) ، وأن تكون معركة وقتالاً وأسرًا، ولا تكون قافلة وغنيمة ورحلة مريحة، وقد قال الله سبحانه: إنه صنع هذا (لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ) وكانت هذه إشارة لتقرير حقيقة كبيرة في المجتمع الإنساني بَيَّن منهج هذا الدين ذاته،بحق الحق وإبطال الباطل بالموقعة،وكان هذا النصر العملي فرقانًا واقعيًا في معرض بيان إرادته سبحانه من وراء المعركة،لبيان منهج حركي واقعي. [١]

خامساً : الولاء والبراء من فقه الإيمان:

رسمت غزوة بدر لأجيال الأمة صورًا مشرقة في الولاء والبراء،فالتقى الابن بأبيه والأخ بأخيه:

١ – كان أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة في صف المسلمين، وكان أبوه عتبة وأخوه الوليد وعمه شيبة في صف المشركين، وقد قتلوا جميعًا في المبارزة الأولى.

٢ – كان أبو بكر الصديق في صف المسلمين .. وكان ابنه عبد الرحمن في صف المشركين.

٣ – كان مصعب بن عمير حامل لواء المسلمين، وكان أخوه أبو عزيز بن عمير في صف المشركين، آثروا رضاء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم على حب الوالد والولد والأهل والعشيرة، فلا يعجب المسلم من ثناء الله تعالى على هذه المواقف

---

[١] **السيرة النبوية عرض وقائع وأحداث ٤٤٢/١:٤٤٣، ظلال القرآن:سيد قطب(٣/ ١٥٢٣، ١٥٢٤).**

الصادقة في قوله تعالى: (لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآَخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[1]

سادساً: ضرب الصحابة الكرام–رضوان الله عليهم– في بدر مُثلاً عليا لصدق الإيمان فكان شعارهم(أَحَدٌ،أَحَدٌ)،وهذا يعني أن القتال في سبيل عقيدة تتمثل بالعبودية للإله الواحد،وأما الآخرون فقتلوا تحت راية الكفر وقد أصيبوا جميعًا فنزل في حقهم قوله تعالى:(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا)[2].

أسباب انتصار المسلمين على قريش:

١- القيادة الموحدة فى المعركة.

٢- التعبئة الجيدة التى طبقها الرسول ﷺ، ولا تختلف كثيراً عن التعبئة الحديثة فى حروب الصحراء إذ كان لهم مقدمة ومؤخرة واستفاد من دوريات الاستطلاع، واستخدام أسلوب الصفوف فى القتال.

٣- العقيدة الراسخة لدى المسلمين حيث كان هدفهم إما النصر أو الشهادة.

٤- أن الله أمد المسلمين بالملائكة تقاتل معهم.

---

[1] سورة المجادلة:آية [٢٢].

[2] سورة النساء: آية[٩٧]السيرة النبوية عرض وقائع وأحداث : ١/٤٤٤:٤٤٦.

٥- المعنويات العالية لدى المسلمين حيث شجع الرسولﷺ أصحابه قبل القتال ورفع من معنوياتهم.

نتائج غزوة بدر:

١- تهديد طرق تجارة قريش والتى كانت عصب حياتهم.

٢- أضعفت هيبة مكة ونفوذها على العرب.

٣- زادت فى قوة الإسلام وعززت الدولة الإسلامية فى المدينة.

٤- دخول كثير من أهل المدينة فى الإسلام.

٥- إزدياد التضامن بين المهاجرين والأنصار.

٦- تشريع خمس الغنائم مما دعم بيت المال فى الإسلام.

٧- مقتل سبعين من المشركين من بينهم أبو جهل وأمية بن خلف.

٨- أسر سبعين من المشركين.

٩- استشهاد أربعة عشر من المسلمين.

يستفاد من غزوة بدر أن النصر ليس بالكثرة وأن الصبر والثبات يؤدى إلى النصر كما يستفاد أن الشورى واجبة فى التخطيط فى الحروب.

يهود بني قينقاع:

ومما كشف عن سوء نفوس اليهود وجرأتهم ووقاحتهم أن تعرض نفر من بني قينقاع لإمرأة مسلمة جاءت الي سوق بني قينقاع وجلست الي صائغ يهودي هناك في حلي لها . فجاء رجل من يهود بني قينقاع فجلس خلفها وهي لا تشعر ، ثم عقد طرف ثوبها الي ظهرها فلما قامت انكشفت عورتها فضج اليهود بالضحك عليها فأخذت الحمية رجل مسلم فوثب علي اليهودي وقتله وجاء بنو قينقاع علي المسلم فقتلوه ، ونبذوا العهد الذي كان بينهم وبين

الرسول (ص) ، وكان هذا استفزازاً صريحاً للمسلمين وإعلاناً لهم بالحرب ، وتحصنوا في حصونهم واستعدوا للقتال، عندئذ كان علي المسلمين قبول التحدي ، وتلقين المعتدين الدرس فخرج اليهم الرسول (ص) بجند الإسلام وحاصرهم في منازلهم خمس عشرة ليلة ٦٢٤م ، فَذُلوا ورفعوا راية التسليم ثم نزلوا علي حكمك الرسول (ص) فأمر بإجلائهم عن المدينة فتوجهوا الي أذرعات بالشام ، وغنم المسلمون ما كان لهم من مال وسلاح ، وكان الذي تولي اخراجهم من المدينة عبادة بن *** .

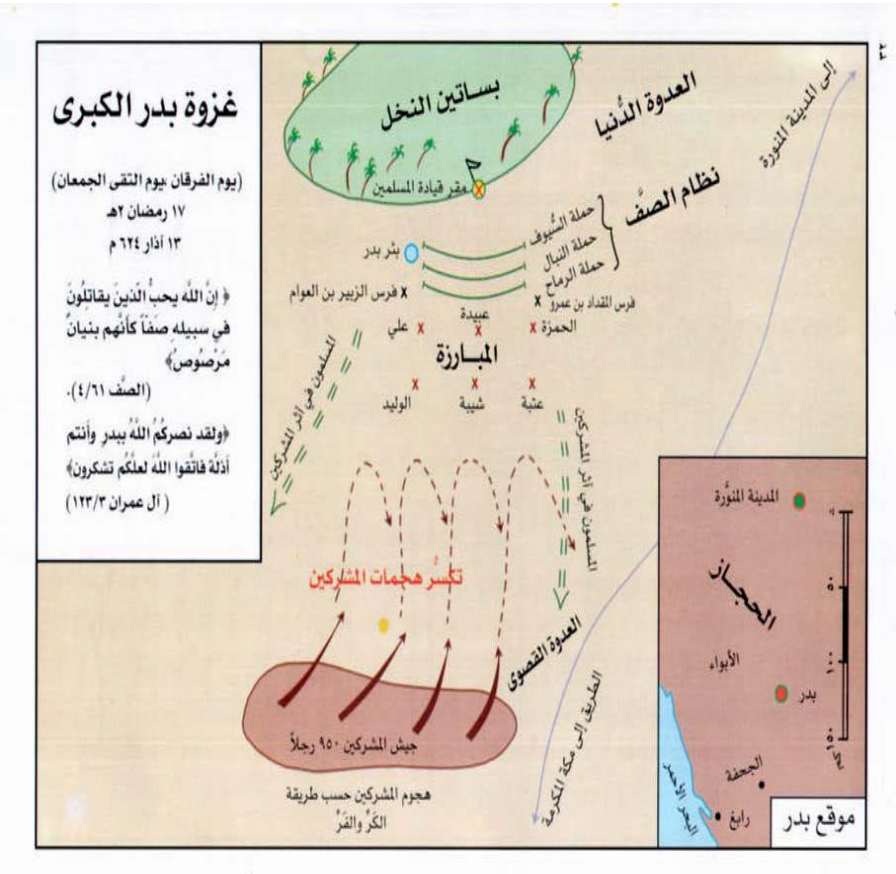

خريطة توضح غزوة بدر الكبرى [١]

(١) شوقى أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامى ، ص٣٢ .

٢-غزوة أُحد: (شوال ٣هـ/مارس ٦٢٥م).

استعدت قريش طوال عام كامل لتلك الموقعة، وعبأت قواتها واستعانت بحلفائها من ثقيف وتهامة وكنانة وبالأحابيش، ولما أتمت استعدادها خرجت فى ثلاثة آلاف مقاتل بين فارس وراجل بقيادة أبى سفيان بن حرب بن أمية، وزحفت نحو المدينة وعسكرت فى وادى يطل عليه جبل أحد شمالى المدينة،

حديث القرآن الكريم والسنة النبوية عن "غزوة أحد"

حدثت هذه الغزوة **يوم السبت لخمس عشرة خلت من شوال في العام الثالث للهجرة،و"سببها"**أن قريشا أرادت أن تثأر ليوم بدر،فما زالت تستعد حتى تجهزت لغزو الرسول-صلى الله عليه وسلم-في المدينة، فخرجت في ثلاثة آلاف مقاتل، ما عدا الأحابيش فيهم سبعمائة دارع ومائتا فارس، ومعهم سبع عشرة امرأة، فيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان،وقد قتل أبوها يوم بدر، ثم ساروا حتى وصلوا بطن الوادي من قبل أحد (وهو جبل مرتفع يقع شمال المدينة على بعد ميلين منها) مقابل المدينة، وكان من رأي الرسول وعدد من الصحابة ألا يخرج المسلمون إليهم، بل يظلون في المدينة، فإن هاجمهم المشركون صدوهم عنها، ولكن بعض شباب المسلمين وبعض المهاجرين والأنصار، وخاصة من لم يحضر منهم معركة بدر ولم يحصل له شرف القتال فيها، تحمسوا للخروج إليهم ومنازلتهم في أماكنهم، فنزل الرسول صلى الله عليه وسلم عند رأيهم،ودخل بيته ولبس لأمته (درعه)، وألقى الترس في ظهره، وأخذ قناته بيده،ثم خرج إلى المسلمين، وهو متقلد سيفه، فندم الذين أشاروا عليه بالخروج إذ كانوا سببا في حمله على خلاف رأيه، وقالوا للرسول: ما كان لنا أن نخالفك فاصنع ما شئت أو اقعد إن شئت، فأجابهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «ما كان ينبغي لنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يحكم الله بينه وبين عدوه»، ثم خرج والمسلمون معه في نحو ألف بينهم مائة دارع وفرسان ولما تجمع المسلمون للخروج، رأى الرسول جماعة من

اليهود يريدون أن يخرجوا مع عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين للخروج مع المسلمين، فقال الرسول: «أو قد أسلموا؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: مروهم فليرجعوا؛ فإنا لا نستعين بالمشركين على المشركين»، وفي منتصف الطريق انخذل عن المسلمين عبد الله بن أبي بن سلول ومعه ثلاثمائة من المنافقين، فبقي عدد المسلمين سبعمائة رجل فحسب، ثم مضى الرسول حتى وصل إلى ساحة أحد، فجعل ظهره للجبل ووجهه للمشركين، وصف الجيش، وجعل على كل فرقة منه قائدا، واختار خمسين من الرماة، على رأسهم عبد الله بن جبير الأنصاري ليحموا ظهر المسلمين من التفاف المشركين وراءهم، وقال لهم: «احموا ظهورنا، لا يأتونا من خلفنا، وارشقوهم بالنبل؛ فإن الخيل لا تقوم على النبل، إنا لا نزال غالبين ماثبتم مكانكم، اللهم إني أشهدك عليهم» وقال لهم في رواية أخرى: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم أو ظاهرناهم وهم قتلى، فلا تبرحوا مكانكم حتى أرسل إليكم»، ثم ابتدأ القتال، ونصر الله المؤمنين على أعدائهم، فقتلوا منهم عددا، ثم ولوا الأدبار، فانغمس المسلمون في أخذ الغنائم التي وجدوها في معسكر المشركين، ورأى ذلك من وراءهم من الرماة فقالوا: ماذا نفعل وقد نصر الله رسوله؟ ثم فكروا في ترك أمكنتهم لينالهم نصيب من الغنائم، فذكرهم رئيسهم عبد الله بن جبير بوصية الرسول، فأجابوا بأن الحرب قد انتهت، ولا حاجة للبقاء حيث هم، فأبى عبد الله ومعه عشرة آخرون أن يغادروا أمكنتهم، ورأى خالد بن الوليد وكان قائد ميمنة المشركين خلو ظهر المسلمين من الرماة، فكرَّ عليهم من خلفهم، فما شعر المسلمون إلا والسيوف تناوشهم من هنا وهناك، فاضطرب حبلهم، وأشيع أن الرسول قد قتل، ففر بعضهم عائدا إلى المدينة، واستطاع المشركون أن يصلوا إلى الرسول، فأصابته حجارتهم حتى وقع وأغمي عليه، فشج وجهه، وخدشت ركبتاه، وجرحت شفته السفلى، وكسرت الخوذة على رأسه، ودخلت حلقتان من حلقات المِغفر في وجنته، وتكاثر المشركون على الرسول يريدون قتله، فثبت صلى الله عليه وسلم وثبت معه نفر من المؤمنين، منهم: أبو دجانة، تترس على الرسول ليحميه من

نبال المشركين، فكان النبل يقع على ظهره، ومنهم سعد بن أبي وقاص رمى يومئذ نحو ألف سهم، ومنهم: نسيبة أم عمارة الأنصارية، تركت سقاء الجرحى، وأخذت تقاتل بالسيف، وترمي بالنبل، دفاعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أصابها في عنقها، فجرحت جرحا عميقا، وكان معها زوجها وابناها، فقال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: «بارك الله عليكم أهل بيت» فقالت له نسيبة: ادع الله أن نرافقك في الجنة، فقال: «اللهم اجعلهم رفقائي في الجنة» فقالت رضي الله عنها بعد ذلك: «ما أبالي ما أصابني من أمر الدنيا» وقد قال صلى الله عليه وسلم في حقها: «ما التفت يمينا وشمالا يوم أحد، إلا ورأيتها تقاتل دوني» وقد جرحت يومئذ اثني عشر جرحا، ما بين طعنة برمح وضربة بسيف، وقد حاول في ساعة الشدة أن يصل أبي بن خلف إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ليقتله، وأقسم ألا يرجع عن ذلك، فأخذ عليه السلام حربة ممن كانوا معه، فسددها في نحره، فكانت سبب هلاكه، وهو الوحيد الذي قتله صلى الله عليه وسلم في جميع معاركه الحربية،ثم استطاع صلى الله عليه وسلم الوقوف والنهوض على أكتاف طلحة بن عبيد الله،فنظر إلى المشركين، فرأى جماعة منهم على ظهر الجبل، فأرسل من ينزلهم قائلا: «لا ينبغي لهم أن يعلونا، اللهم لا قوة لنا إلا بك» وانتهت المعركة، وقال أبو سفيان مظهرا تشفيه والمشركين من هزيمتهم يوم بدر: يوم بيوم بدر،وممن قتل في هذه المعركة حمزة عم الرسول صلى الله عليه وسلم، ومثلت به هند زوج أبي سفيان، واحتزت قلبه ومضغته، فرأت له مرارة ثم لفظته، وقد حزن الرسول صلى الله عليه وسلم لمشهده حزنا عظيما فقال: «لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلا منهم، ولكن الله نهى عن المُثلة بعد ذلك»،وقد بلغ عدد قتلى المسلمين في هذه المعركة نحوا من السبعين، وقتلى المشركين ثلاثة وعشرين،**وقد أنزل الله-جل وعلا- في هذه المعركة عدة آيات قرآنية**

وأحاديث نبوية بَيَّنت وما تم من الطرفين فى إطار تاريخى ليكون درساً للمسلمين في كل زمان ومكان[1]،وقد جاء الحديث عن أحد فى سورة آل عمران :

قال تعالى{ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١)إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٢٢) وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٢٣) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (١٢٧) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٢٩) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٣٠) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ(١٣٣)الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (١٣٦) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ

---

[1] **السيرة النبوية دروس وعبر: مصطفى السباعى : ٨٢/١:٨٦.**

لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (١٤١) أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣) وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (١٤٤) وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (١٤٥) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (١٤٩) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (١٥٠) سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (١٥١) وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ

إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ (١٥٧) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (١٦٣) لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤) أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١٦٨) وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَ حْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢)الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ

(١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٧٥) وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٩)}[١]

أولاً :سبب نزول الآيات

هذه الآيات نزلت في وقعة "أُحد" وقصتها مشهورة في السير والتواريخ، ولعل الحكمة في ذكرها في هذا الموضع، وأدخل في أثنائها وقعة "بدر" لما أن الله تعالى قد وعد المؤمنين أنهم إذا صبروا واتقوا نصرهم، ورد كيد الأعداء عنهم وحاصل قضية "أحد" وإجمالها أن المشركين لما رجع فلهم من "بدر" إلى مكة، وذلك في سنة اثنتين من الهجرة، استعدوا بكل ما يقدرون عليه من العدد بالأموال والرجال والعدد، حتى اجتمع عندهم من ذلك ما جزموا بحصول غرضهم وشفاء غيظهم، ثم وجهوا من مكة للمدينة في ثلاثة آلاف مقاتل، حتى نزلوا قرب المدينة، فخرج النبي -صلى الله عليه وسلم- إليهم هو وأصحابه بعد المراجعة والمشاورة حتى استقر رأيهم على الخروج، وخرج في ألف، فلما ساروا قليلا رجع عبد الله بن أبي المنافق بثلث الجيش ممن هو على مثل طريقته، وهمت طائفتان من المؤمنين أن يرجعوا وهم بنو سلمة وبنو حارثة فثبتهم الله، فلما وصلوا إلى أحد رتبهم النبي صلى الله عليه وسلم في مواضعهم وأسندوا ظهورهم إلى أحد، ورتب النبي صلى الله عليه وسلم خمسين رجلا من أصحابه في خلة في جبل "أحد" وأمرهم أن يلزموا مكانهم ولا يبرحوا منه ليأمنوا أن

---

[١] سورة آل عمران :آية (١٢١:١٧٩).

يأتيهم أحد من ظهورهم، فلما التقى المسلمون والمشركون انهزم المشركون هزيمة قبيحة وخلفوا معسكرهم خلف ظهورهم، واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون، فلما رآهم الرماة الذين جعلهم النبي -صلى الله عليه وسلم- في الجبل، قال بعضهم لبعض: الغنيمة، ما يقعدنا هاهنا والمشركون قد انهزموا، ووعظهم أميرهم عبد الله بن جبير عن المعصية فلم يلتفتوا إليه، فلما أخلوا موضعهم فلم يبق فيه إلا نفر يسير، منهم أميرهم عبد الله بن جبير، جاءت خيل المشركين من ذلك الموضع واستدبرت المسلمين وقاتلت ساقتهم، فجال المسلمون جولة ابتلاهم الله بها وكفر بها عنهم، وأذاقهم فيها عقوبة المخالفة، فحصل ما حصل من قتل من قتل منهم، ثم إنهم انحازوا إلى رأس جبل "أحد" وكف الله عنهم أيدي المشركين وانكفأوا إلى بلادهم، ودخل رسول الله-صلى الله عليه وسلم-وأصحابه المدينة.[1]

ثانياً: التفسير:

قوله{وَإِذْ غَدَوْتَ}:أي: واذكر إذ غدوت،والغدو:الذهاب أول النهار {مِنْ أَهْلِكَ} : أهل الرجل زوجه وأولاده. ومن لابتداء الغاية إذ خرج صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صباح السبت من بيته إلى أحد حيث نزل المشركون به يوم الأربعاء{تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ} : تنزل المجاهدين الأماكن التي رأيتها صالحة للنزول فيها من ساحة المعركة{هَمَّتْ}:حدثت نفسها بالرجوع إلى المدينة وتوجهت إرادتها إلى ذلك{طَائِفَتَانِ}:هما بنو سلمة، وبنو حارثة من الأنصار {تَفْشَلا} : تضعفا وتعودا إلى ديارهما تاركين الرسول ومن معه يخوضون المعركة وحدهم،{وَاللهُ وَلِيُّهُمَ} :متولي أمرهما وناصرهما ولذا عصمهما من ترك السير إلى المعركة،{بِبَدْرٍ} : بدر اسم رجل وسمي المكان به؛ لأنه كان له فيه ماء وهو الآن قرية تبعد عن المدينة النبوية بنحو من مائة وخمسين ميلاً "كيلو متر"،{وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ} : لقلة عددكم وعُددِكُم وتفوق العدو عليكم.[2]

---

[1] تيسير الكريم الرحمن : السعدى ١/ ١٤٥ .

[2] مدارك التنزيل :النسفى ٢٨٨/١، تفسير القرآن :السمعانى ٣٥٢/١.

قوله تعالى{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةُ مُسَوِّمِينَ (١٢٥)وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١٢٦) لِيَقْطَعَ طَرَفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ ١٢٧}[1]

التفسير

{إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ}يوم بدر{أَلَن يَكْفِيَكُمْ}الكفاية: قدر سد الخَلَّة، والاكتفاء: الاقتصار عليه. {يُمِدَّكُمْ} الإمداد: إعطاء الشيء حالاً بعد حال، من الإمداد: وهو الزيادة، ومنه مد الماء، {فَوْرِهِمْ} وجههم، أو غضبهم من فور القِدْر وهو غليانها، ومنه فور الغضب، {مُسَوِّمِينَ} بالفتح أرسلوا خيلهم في المرعى، وبالكسر سوموها بغلام في نواصيها وأذنابها، أو نزلوا على خير بلق وعليهم عمائم صفر. وكانوا خمسة آلاف عند الحسن، وعند غيره ثمانية آلاف قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - لم تقاتل الملائكة إلا يوم بدر،{وَمَا جعله الله إِلَّا بشرى لكم} أَي: بِشَارَة لكم {ولتطمئن قُلُوبكُمْ بِهِ " أَي: بوعده النُّصْرَة {وَمَا النَّصْر إِلَّا من عِنْد الله الْعَزِيز الْحَكِيم} يَعْنِي: (لَا) تختلوا بالنصرة عَن الْمَلَائِكَة والجند، واعرفوا [أَن] النَّصْر من عِنْد الله.{لِيَقْطَعَ} يوم بدر {طَرَفاً} منهم بقتل صناديدهم وقادتهم إلى الكفر، أو يوم أُحد قُتل منهم ثمانية عشر رجلاً، وقال: {طَرَفاً} ، لأنهم كانوا أقرب إلى المؤمنين من الوسط،{يَكْبِتَهُمْ} يخزيهم،أو الكبت: الصرع على الوجه قاله الخليل {خَآئِبِينَ} الخيبة لا تكون إلا بعد أمل، واليأس قد يكون قبل الأمل[2]

قوله تعالى {لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (١٢٨) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ(١٢٩)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ

---

[1] سورة آل عمران :آية (١٢٤:١٢٧).

[2] تفسير القرآن السمعانى :٣٥٤/١ ،بحر العلوم للسمرقندى : ٢٤٤/١: ٢٤٩.

تُفْلِحُونَ(١٣٠)وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (١٣١) وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٣٢)}[١]

سبب النزول:

أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ إبراهيم الفارسي قال: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بن عمرويه قال: أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بن محمد قال: أَخْبَرَنَا مُسْلِمُ بن الحجاج قال: حدثنا القعنبي قال: حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ وَجَعَلَ يَسِيلُ الدَّمُ عَنْهُ وَيَقُولُ: "كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَّتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ}.[٢]

التفسير:

قوله{الأَمْرِ} : الشأن والمراد هنا توبة الله على الكافرين أو تعذيبهم. رشَيْءٌ} : شيء نكرة متوغلة في الإبهام. وأصل الشيء: ما يعلم ويخبر به. {أَوْ} : هنا بمعنى حتى، أي: فاصبر حتى يتوب عليهم أو يعذبهم،{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ} : أي: مالكاً وخلقاً وعبيداً يتصرف كيف يشاء ويحكم كما يريد. {لا تَأْكُلُوا الرِّبا} : لا مفهوم للأكل بل كل تصرف بالربا حرام سواء كان أكلاً أو شرباً أو لباساً. {الرِّبا} : لغة: الزيادة، وفي الشرع نوعان: ربا فضل وربا نسيئة، ربا الفضل: يكون في الذهب والفضة والبر والشعير والتمر والملح فإذا بيع الجنس بمثله يحرم الفضل أي الزيادة ويحرم التأخير، وربا النسيئة: هو أن يكون على المرء دين إلى أجل فيحل الأجل ولم يجد سداداً لدينه فيقول له أخرني وزد في الدين،{أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً} : لا مفهوم لهذا؛ لأنه خرج مخرج الغالب، إذ الدرهم الواحد حرام كالألف، وإنما كانوا في الجاهلية يؤخرون الدين ويزيدون مقابل التأخير حتى يتضاعف الدين فيصبح أضعافاً كثيرة. {تُفْلِحُونَ} : تنجون من العذاب وتظفرون بالنعيم المقيم في الجنة،{أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} : هيئت وأحضرت للمكذبين لله ورسوله -

---

[١] سورة آل عمران :آية (١٢٨:١٣٢).

[٢] أسباب النزول :النيسابوري : ١٢٢/١.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} : لترحموا فلا تُعذبوا بما صدر منكم من ذنب المعصية .[١]

قوله تعالى{وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٣)الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٣٤) وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (١٣٥) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ}[٢]

سبب النزول :

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً} الْآيَةَ {١٣٥}.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ الْكَلْبِيِّ: إِنَّ رَجُلَيْنِ أَنْصَارِيًّا وَثَقَفِيًّا آخَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيْنَهُمَا، فَكَانَا لَا يَفْتَرِقَانِ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، وَخَرَجَ مَعَهُ الثَّقَفِيُّ وَخَلَّفَ الْأَنْصَارِيَّ فِي أَهْلِهِ وَحَاجَتِهِ، وَكَانَ يَتَعَاهَدُ أَهْلَ الثَّقَفِيِّ، فَأَقْبَلَ ذَاتَ يَوْمٍ فَأَبْصَرَ امْرَأَةَ صَاحِبِهِ قَدِ اغْتَسَلَتْ وَهِيَ نَاشِرَةٌ شَعْرَهَا، فَوَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ، فَدَخَلَ وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ حَتَّى انْتَهَى إليها، فذهب ليقبلها فَوَضَعَتْ كَفَّهَا عَلَى وَجْهِهَا، فَقَبَّلَ ظَاهِرَ كَفِّهَا ثُمَّ نَدِمَ وَاسْتَحْيَا، فَأَدْبَرَ رَاجِعًا فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! خُنْتَ أَمَانَتَكَ، وَعَصَيْتَ رَبَّكَ، وَلَمْ تُصِبْ حَاجَتَكَ، قَالَ: فَنَدِمَ عَلَى صَنِيعِهِ، فَخَرَجَ يَسِيحُ فِي الْجِبَالِ وَيَتُوبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنْ ذَنْبِهِ حَتَّى وَافَى الثَّقَفِيَّ، فَأَخْبَرَتْهُ أَهْلُهُ بِفِعْلِهِ، فَخَرَجَ يَطْلُبُهُ حَتَّى دُلَّ عَلَيْهِ، فَوَافَقَهُ سَاجِدًا وَهُوَ يَقُولُ: رَبِّ ذَنْبِي ذَنْبِي! قَدْ خُنْتُ أَخِي، فَقَالَ لَهُ: يا فلان ثم فَانْطَلِقْ إِلَى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فسله عَنْ ذَنْبِكَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لك فرجًا وتوبًا، فَأَقْبَلَ مَعَهُ حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ عِنْدَ صَلَاةِ الْعَصْرِ نَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِتَوْبَتِهِ، فَتَلَا عَلَيْهِمَا رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

---

[١] أيسر التفاسير ١/٣٧٤:٣٧٥ ،مدارك التنزيل :النسفى ١/٢٩٠:٢٩٢.

[٢] سورة آل عمران :آية (١٣٣:١٣٦).

وَسَلَّمَ - {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً} إِلَى قَوْلِهِ: {وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ} فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخَاصٌّ هَذَا لِهَذَا الرَّجُلِ أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً؟ قَالَ: "بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةً".[1]

التفسير:

{وَسَارِعُوا}: المسارعة إلى الشيء المبادرة إليه بدون توانٍ ولا تراخ. {إِلَى مَغْفِرَةٍ} :المغفرة: ستر الذنوب وعدم المؤاخذة بها. والمراد هنا: المسارعة إلى التوبة بترك الذنوب، وكثرة الاستغفار وفي الحديث: "ما من رجل يذنب ذنباً ثم يتوضأ ثم يصلي ويستغفر الله إلا غفر له" {وَجَنَّةٍ} : الجنة دار النعيم فوق السموات، والمسارعة إليها تكون بالإكثار من الصالحات،{أُعِدَّتْ}: هيئت وأحضرت فهي موجودة الآن مهيأة. {لِلْمُتَّقِينَ} : المتقون هم الذين اتقوا الله تعالى فلم يعصوه بترك واجب ولا فعل محرم، وإن حدث منهم ذنب تابوا منه فوراً، {الَّذِينَ يُنْفِقُونَ} فِي طَاعَة اللَّه {فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء} الْيُسْر وَالْعُسْر {وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظ} الْكَافِينَ عَنْ إمْضَائِهِ مَعَ الْقُدْرَة {وَالْعَافِينَ عَنْ النَّاس} مِمَّنْ ظَلَمَهُمْ أَيْ التَّارِكِينَ عُقُوبَتهمْ {وَاَللَّه يُحِبّ الْمُحْسِنِينَ} بِهَذِهِ الْأَفْعَال أَيْ يُثِيبهُمْ، {وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَة} ذَنْبًا قَبِيحًا كَالزِّنَا {أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسهمْ} بِمَا دُونه كَالْقُبْلَةِ {ذَكَرُوا اللَّه} أَيْ وَعِيده {فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ} أَيْ لَا {يَغْفِر الذُّنُوب إِلَّا اللَّه وَلَمْ يُصِرُّوا} يُدَاوِمُوا {عَلَى مَا فَعَلُوا} بَلْ أَقْلَعُوا عَنْهُ {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أَنَّ الَّذِي أَتَوْهُ مَعْصِيَة{أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَة مِنْ رَبّهمْ وَجَنَّات تَجْرِي مِنْ تَحْتهَا الْأَنْهَار خَالِدِينَ فِيهَا} حَال مُقَدَّرَة أَيْ مُقَدَّرِينَ الْخُلُود فِيهَا إِذَا

دَخَلُوهَا{وَنِعْمَ أَجْر الْعَامِلِينَ} بِالطَّاعَةِ هَذَا الْأَجْر.[2]

قوله تعالى{ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(١٣٧)هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ (١٣٨) وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣٩) إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ

---

[1] أسباب النزول :النيسابوري :١٢٣:١٢٤.

[2] تفسير الجلالين ٨٥/١، تفسير القرآن العز بن عبدالسلام ٢٨٤/١.

وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (١٤٠) وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ}[1]

سبب النزول:

- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا} الْآيَةَ {١٣٩}.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ:انْهَزَمَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يوم أُحُد، فبينما هُمْ كَذَلِكَ إِذْ أَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ بِخَيْلِ الْمُشْرِكِينَ يُرِيدُ أَنْ يَعْلُوَ عَلَيْهِمُ الْجَبَلَ، فَقَالَ النَّبِيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "اللَّهُمَّ لَا يَعْلُونَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ لَا قُوَّةَ لَنَا إِلَّا بِكَ، اللَّهُمَّ لَيْسَ يَعْبُدُكَ بِهَذِهِ الْبَلْدَةِ غَيْرُ هَؤُلَاءِ النَّفَرِ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَاتِ، وَثَابَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ رُمَاةٌ، فَصَعِدُوا الْجَبَلَ وَرَمَوْا خَيْلَ الْمُشْرِكِينَ حَتَّى هَزَمُوهُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ}.[2]

- قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ} الْآيَةَ {١٤٠}.

قَالَ رَاشِدُ بْنُ سَعْدٍ: لَمَّا انْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ كَئِيبًا حَزِينًا يَوْمَ أُحُدٍ، جَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تَجِيءُ بِزَوْجِهَا وَابْنِهَا مَقْتُولَيْنِ وَهِيَ تَلْتَدِمُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "أَهَكَذَا يُفْعَلُ بِرَسُولِكَ؟ " فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ} الْآيَةَ.[3]

التفسير:

{قَدْ خَلَتْ} مَضَتْ {مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَن} طَرَائِق فِي الْكُفَّار بِإِمْهَالِهِمْ ثُمَّ أَخَذَهُمْ {فَسِيرُوا} أَيّهَا الْمُؤْمِنُونَ {فِي الْأَرْض فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَة الْمُكَذِّبِينَ} الرُّسُل أَيْ آخِر أَمْرهمْ مِنْ الْهَلَاك فَلَا تَحْزَنُوا لِغَلَبَتِهِمْ فَأَنَا أُمْهِلهُمْ لِوَقْتِهِمْ،{هَذَا} الْقُرْآن {بَيَان لِلنَّاسِ} كُلّهمْ {وَهُدًى} مِنْ الضَّلَالَة {وَمَوْعِظَة لِلْمُتَّقِينَ} مِنْهُمْ{وَلَا تَهِنُوا} تَضْعُفُوا عَنْ قِتَال الْكُفَّار{وَلَا تَحْزَنُوا}عَلَى مَا أَصَابَكُمْ بِأُحُدٍ {وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ} بِالْغَلَبَةِ عَلَيْهِمْ {إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} حَقًّا وَجَوَابه دَلَّ عَلَيْهِ مَجْمُوع مَا قَبْله، {إِنْ يَمْسَسْكُمْ} يُصِبْكُمْ بِأُحُدٍ {قَرْح} بِفَتْحِ الْقَاف

---

[1] سورة آل عمران :آية (١٣٧:١٤١).

[2] أسباب النزول :النيسابوري : ١٢٤/١:١٢٥.

[3] أسباب النزول :النيسابوري : ١٢٥/١.

وَضَمّهَا جَهْد مِنْ جُرْح وَنَحْوه {فَقَدْ مَسَّ الْقَوْم}الْكُفَّار{قَرْح مِثْله} بِبَدْرٍ {وَتِلْكَ الْأَيَّام نُدَاوِلهَا} نُصَرِّفهَا {بَيْن النَّاس}يَوْمًا لِفِرْقَةٍ وَيَوْمًا لِأُخْرَى لِيَتَّعِظُوا {وَلِيَعْلَم اللَّه}عِلْم ظُهُور {الَّذِينَ آمَنُوا} أَخْلَصُوا فِي إِيمَانهمْ مِنْ غَيْرهمْ{وَيَتَّخِذ مِنْكُمْ شُهَدَاء} يُكْرِمهُمْ بِالشَّهَادَةِ {وَاَللَّه لَا يُحِبّ الظَّالِمِينَ}الْكَافِرِينَ،أَيْ:يُعَاقِبهُمْ وَمَا يُنْعِم بِهِ عليهم استدراج،{وَلِيُمَحِّص اللَّه الَّذِينَ آمَنُوا}يُطَهِّرهُمْ مِنْ الذُّنُوب بما يصيبهم {ويمحق} يهلك {الكافرين}.[1]

قوله تعالى{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤)وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (١٤٣)وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ(١٤٤)وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ(١٤٥)}[2]

سبب النزول:

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلا رَسُولٌ} الآيات {١٤٤}.

قَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ انْهَزَمَ النَّاسُ، فَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: قَدْ أُصِيبَ مُحَمَّدٌ فَأَعْطُوهُمْ بِأَيْدِيكُمْ، فَإِنَّمَا هم إخوانكم، وقاد بَعْضُهُمْ: إِنْ كَانَ مُحَمَّدٌ أُصِيبَ ألا ما تَمْضُونَ عَلَى مَا مَضَى عَلَيْهِ نَبِيُّكُمْ حَتَّى تَلْحَقُوا بِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذَلِكَ: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ} إِلَى {وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا} لِقَتْلِ نَبِيِّهِمْ إِلَى قَوْلِهِ: {فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا}.[3]

التفسير:

---

[1] تفسير الجلالين ٨٥/١، أنوار التنزيل :البيضاوى ٣٩/٢.

[2] سورة آل عمران :آية (١٤٢:١٤٥).

[3] أسباب النزول: ١٢٥/١.

قوله :{أَمْ} بَلْ {حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّة ولما} لم {يَعْلَم اللَّه الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ} عِلْم ظُهُور {وَيَعْلَم الصَّابِرِينَ} فِي الشَّدَائِد، {وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ} فِيهِ حَذْف إِحْدَى التَّاءَيْنِ فِي الْأَصْل {الْمَوْت مِنْ قَبْل أَنْ تَلْقَوْهُ حَيْثُ قُلْتُمْ لَيْتَ لَنَا يَوْمًا كَيَوْمِ بَدْر لِنَنَالَ مَا نَالَ شُهَدَاؤُهُ {فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ} أَيْ سَبَبه الْحَرْب {وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ} أَيْ بُصَرَاء تَتَأَمَّلُونَ الْحَال كَيْفَ هِيَ فَلِمَ انْهَزَمْتُمْ وَنَزَلَ فِي هَزِيمَتهمْ لَمَّا أُشِيعَ أَنَّ النَّبِيّ قُتِلَ وَقَالَ لَهُمْ الْمُنَافِقُونَ إِنْ كَانَ قُتِلَ فَارْجِعُوا إِلَى دينكم ، {وَمَا مُحَمَّد إِلَّا رَسُول قَدْ خَلَتْ مِنْ قبله الرسل أفإين مَاتَ أَوْ قُتِلَ}كَغَيْرِهِ {انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابكُمْ}رَجَعْتُمْ إِلَى الْكُفْر وَالْجُمْلَة الْأَخِيرَة مَحَلّ الِاسْتِفْهَام الْإِنْكَارِيّ أَيْ مَا كَانَ مَعْبُودًا فَتَرْجِعُوا {وَمَنْ يَنْقَلِب عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرّ اللَّه شَيْئًا} وَإِنَّمَا يَضُرّ نَفْسه {وَسَيَجْزِي اللَّه الشَّاكِرِينَ} نِعَمه بالثبات،{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوت إِلَّا بِإِذْنِ اللَّه}بِقَضَائِهِ{كِتَابًا}مَصْدَر أَيْ كَتَبَ اللَّه ذَلِكَ {مُؤَجَّلًا} مُؤَقَّتًا لَا يَتَقَدَّم وَلَا يَتَأَخَّر فَلِمَ انْهَزَمْتُمْ وَالْهَزِيمَة لَا تَدْفَع الْمَوْت وَالثَّبَات لَا يَقْطَع الْحَيَاة {وَمَنْ يُرِدْ} بِعَمَلِهِ {ثَوَاب الدُّنْيَا} أَيْ جَزَاءَهُ مِنْهَا {نُؤْتِهِ مِنْهَا} مَا قُسِمَ لَهُ وَلَا حَظّ لَهُ فِي الْآخِرَة {وَمَنْ يُرِدْ ثَوَاب الْآخِرَة نُؤْتِهِ مِنْهَا} أَيْ من ثوابها {وسنجزي الشاكرين}. [1]

قوله تعالى{وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ(١٤٦)وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ(١٤٧)فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ(١٤٨)يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ(١٤٩)بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ(١٥٠)سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ} [2]

سبب النزول:

---

[1] تفسير الجلالين ٨٦/١، الدر المصون :السمين الحلبى ٣٩٨/٣:٤١٨.

[2] سورة آل عمران : آية (١٤٦:١٥١).

قَوْلُهُ تَعَالَى: {سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ} الْآيَةَ {١٥١}.

قَالَ السُّدِّيُّ: لَمَّا ارْتَحَلَ أبو سفيان والمشركين يَوْمَ أُحُدٍ مُتَوَجِّهِينَ إِلَى مَكَّةَ، انْطَلَقُوا حَتَّى بَلَغُوا بَعْضَ الطَّرِيقِ ثُمَّ إِنَّهُمْ نَدِمُوا وَقَالُوا: بِئْسَ مَا صَنَعْنَا قَتَلْنَاهُمْ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ تَرَكْنَاهُمْ، ارْجِعُوا فَاسْتَأْصِلُوهُمْ، فَلَمَّا عَزَمُوا عَلَى ذَلِكَ أَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ حَتَّى رَجَعُوا عَمَّا عَزَمُوا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.[١]

التفسير:

هذا تسلية للمؤمنين، وحث على الاقتداء بهم، والفعل كفعلهم، وأن هذا أمر قد كان متقدما، لم تزل سنة الله جارية بذلك، فقال: {وكأين من نبي} أي: وكم من نبي {قاتل معه ربيون كثير}أي: جماعات كثيرون من أتباعهم، الذين قد ربتهم الأنبياء بالإيمان والأعمال الصالحة، فأصابهم قتل وجراح وغير ذلك{فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا} أي: ما ضعفت قلوبهم، ولا وهنت أبدانهم، ولا استكانوا،أي: ذلوا لعدوهم،بل صبروا وثبتوا، وشجعوا أنفسهم، ولهذا قال: {والله يحب الصابرين}، فقال: {وما كان قولهم} أي: في تلك المواطن الصعبة{إلا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا} والإسراف: هو مجاوزة الحد إلى ما حرم،علموا أن الذنوب والإسراف من أعظم أسباب الخذلان، وأن التخلي منها من أسباب النصر،فسألوا ربهم مغفرتها. ثم إنهم لم يتكلوا على ما بذلوا جهدهم به من الصبر، بل اعتمدوا على الله، وسألوه أن يثبت أقدامهم عند ملاقاة الأعداء الكافرين، وأن ينصرهم عليهم، فجمعوا بين الصبر وترك ضده، والتوبة والاستغفار، والاستنصار بربهم، لا جرم أن الله نصرهم، وجعل لهم العاقبة في الدنيا والآخرة، ولهذا قال: {فآتاهم الله ثواب الدنيا} من النصر والظفر والغنيمة، {وحُسن ثواب الآخرة} وهو الفوز برضا ربهم، والنعيم المقيم الذي قد سلم من جميع المنكدات، وما ذاك إلا أنهم أحسنوا له الأعمال، فجازاهم بأحسن الجزاء، فلهذا قال:{والله يحب المحسنين}في عبادة الخالق ومعاملة الخلق، ومن الإحسان أن يفعل عند جهاد الأعداء،{يأيها الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا} فِيمَا

---

[١] أسباب النزول : ١٢٥/١.

يأمرونكم به {يردكم}إلى الكفر {على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين}{بَلْ اللَّه مَوْلَاكُمْ} نَاصِركُمْ {وَهُوَ خَيْر النَّاصِرِينَ} فأطيعوه دونهم،{سَنُلْقِي فِي قُلُوب الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْب}بِسُكُونِ الْعِين وَضَمّهَا الْخَوْف وَقَدْ عَزَمُوا بَعْد ارْتِحَالهمْ مِنْ أُحُد عَلَى الْعَوْد وَاسْتِئْصَال الْمُسْلِمِينَ فَرَعَبُوا وَلَمْ يَرْجِعُوا {بِمَا أَشْرَكُوا} بِسَبَبِ إِشْرَاكهمْ {بِاَللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّل بِهِ سُلْطَانًا} حُجَّة عَلَى عِبَادَته وَهُوَ الْأَصْنَام {وَمَأْوَاهُمْ النَّار وَبِئْسَ مَثْوَى} مَأْوَى {الظَّالِمِينَ} الكافرين .[1]

قوله تعالى{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (١٥٢) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٥٣)}[2]

سبب النزول:

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ} الْآيَةَ {١٥٢}.

قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى الْمَدِينَةِ وَقَدْ أُصِيبُوا بِمَا أُصِيبُوا يَوْمَ أُحُدٍ، قَالَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: مِنْ أَيْنَ أَصَابَنَا هَذَا وَقَدْ وَعَدَنَا اللَّهُ النَّصْرَ؟فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ} الْآيَةَ إِلَى قَوْلِهِ:{مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا} يَعْنِي الرُّمَاةَ الَّذِينَ فَعَلُوا مَا فَعَلُوا يَوْمَ أُحُدٍ.[3]

التفسير:

قوله:{وَلَقَدْ صَدَقَكُمْ اللَّه وَعْده}إِيَّاكُمْ بِالنَّصْرِ{إِذْ تَحُسُّونَهُمْ}تَقْتُلُونَهُمْ {بِإِذْنِهِ} بِإِرَادَتِهِ {حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ} جبنتم عن القتال {وَتَنَازَعْتُمْ} اخْتَلَفْتُمْ {فِي الْأَمْر} أَيْ أَمْر النَّبِيّ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بِالْمُقَامِ فِي سَفْح الْجَبَل لِلرَّمْيِ فَقَالَ بَعْضكُمْ نَذْهَب فَقَدْ نُصِرَ أَصْحَابنَا

---

[1] تيسير الكريم الرحمن :السعدى ٩٥/١ ، تفسير الجلالين ٨٧/١.

[2] سورة آل عمران :آية (١٥٢:١٥٣).

[3] أسباب النزول : النيسابورى ١٢٥/١:١٢٦.

وَبَعْضكُمْ لَا نُخَالِف أَمْر النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {وَعَصَيْتُمْ} أَمْره فَتَرَكْتُمْ الْمَرْكَز لِطَلَبِ الْغَنِيمَة {مِنْ بَعْد مَا أَرَاكُمْ} اللَّه {ما تحبون} من النصر وَجَوَاب إِذَا دَلَّ عَلَيْهِ مَا قَبْله أَيْ منعكم نصره {مِنْكُمْ مَنْ يُرِيد الدُّنْيَا} فَتَرَكَ الْمَرْكَز لِلْغَنِيمَةِ {وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيد الْآخِرَة} فَثَبَتَ بِهِ حَتَّى قُتِلَ كَعَبْدِ اللَّه بْن جُبَيْر وَأَصْحَابه {ثُمَّ صَرَفَكُمْ} عَطْف عَلَى جَوَاب إِذَا الْمُقَدَّر رَدَّكُمْ لِلْهَزِيمَةِ {عَنْهُمْ}أَيْ الْكُفَّار{لِيَبْتَلِيَكُمْ}لِيَمْتَحِنكُمْ فَيَظْهَر الْمُخْلِص مِنْ غَيْره {وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ}مَا ارْتَكَبْتُمُوهُ {وَاَللَّه ذُو فَضْل عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} بِالْعَفْوِ، اذكروا {إذ تصعدون} تَبْعُدُونَ فِي الْأَرْض هَارِبِينَ {وَلَا تَلْوُونَ} تَعْرُجُونَ {عَلَى أَحَد وَالرَّسُول يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ} أَيْ مِنْ وَرَائِكُمْ يَقُول إِلَيَّ عِبَاد اللَّه {فَأَثَابَكُمْ} فَجَازَاكُمْ {غَمًّا} بِالْهَزِيمَةِ {بِغَمٍّ} بِسَبَبِ غَمّكُمْ لِلرَّسُولِ بِالْمُخَالَفَةِ وَقِيلَ الْبَاء بِمَعْنَى عَلَى أَيْ مُضَاعَفًا على غم فوت الغنيمة {لكيلا} متعلق بعفا أَوْ بِأَثَابَكُمْ فَلَا زَائِدَة {تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ} مِنْ الْغَنِيمَة {وَلَا مَا أَصَابَكُمْ} مِنْ القتل والهزيمة {والله خبير بما تعملون}.[1]

قوله تعالى{ ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (١٥٤) إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ (١٥٥) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (١٥٦)وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}[2]

---

[1] تفسير القرآن العظيم : ابن كثير ١٥٨/٢، تفسير الجلالين ٨٨/١.

[2] سورة آل عمران :آية (١٥٤:١٥٧).

التفسير:

قوله{ثم أنزل عليكم مِنْ بَعْد الْغَمّ أَمَنَة} أَمْنًا {نُعَاسًا} بَدَل {يَغْشَى} بِالْيَاءِ وَالتَّاء {طَائِفَة مِنْكُمْ} وَهُمْ الْمُؤْمِنُونَ فَكَانُوا يَمِيدُونَ تَحْت الحجف وَتَسْقُط السُّيُوف مِنْهُمْ {وَطَائِفَة قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسهمْ} أَيْ حَمَلَتْهُمْ عَلَى الْهَمّ فَلَا رَغْبَة لَهُمْ إِلَّا نَجَاتهَا دُون النَّبِيّ وَأَصْحَابه فَلَمْ يَنَامُوا وَهُمْ الْمُنَافِقُونَ {يَظُنُّونَ بِاَللَّهِ} ظَنًّا {غَيْر} الظَّنّ {الْحَقّ ظَنَّ} أَيْ كَظَنِّ{الْجَاهِلِيَّة} حَيْثُ اعْتَقَدُوا أَنَّ النَّبِيّ قُتِلَ أَوْ لَا يُنْصَر {يَقُولُونَ هَلْ} مَا {لَنَا مِنْ الْأَمْر} أَيْ النَّصْر الَّذِي وُعِدْنَاهُ {مِنْ شَيْء قُلْ} لَهُمْ {إِنَّ الْأَمْر كُلّه} بِالنَّصْبِ تَوْكِيدًا وَالرَّفْع مُبْتَدَأ وَخَبَره {لِلَّهِ} أَيْ الْقَضَاء لَهُ يَفْعَل مَا يَشَاء {يُخْفُونَ فِي أَنْفُسهمْ مَا لَا يُبْدُونَ} يُظْهِرُونَ {لَك يَقُولُونَ} بَيَان لِمَا قَبْله {لَوْ كَانَ لَنَا مِنْ الْأَمْر شيء ما قتلنا ها هنا} أَيْ لَوْ كَانَ الِاخْتِيَار إلَيْنَا لَمْ نَخْرُج فَلَمْ نُقْتَل لَكِنْ أُخْرِجنَا كَرْهًا {قُلْ} لَهُمْ {لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتكُمْ} وَفِيكُمْ مَنْ كَتَبَ اللَّه عَلَيْهِ الْقَتْل{لَبَرَزَ} خَرَجَ {الَّذِينَ كُتِبَ} قُضِيَ {عَلَيْهِمْ الْقَتْل} مِنْكُمْ {إِلَى مَضَاجِعهمْ} مَصَارِعهمْ فَيُقْتَلُوا وَلَمْ يُنْجِهِمْ قُعُودهمْ لِأَنَّ قَضَاءَهُ تَعَالَى كَائِن لَا مَحَالَة {و} فَعَلَ مَا فَعَلَ بِأُحُدٍ {لِيَبْتَلِيَ} يَخْتَبِر {اللَّه مَا فِي صُدُوركُمْ} قُلُوبكُمْ مِنْ الْإِخْلَاص وَالنِّفَاق {وَلِيُمَحِّص} يُمَيِّز {مَا فِي قُلُوبكُمْ وَاَللَّه عَلِيم بِذَاتِ الصُّدُور} بِمَا فِي الْقُلُوب لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْء وَإِنَّمَا يَبْتَلِي لِيُظْهِر لِلنَّاسِ {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ} عَنْ الْقِتَال {يَوْم الْتَقَى الْجَمْعَانِ} جَمْع الْمُسْلِمِينَ وَجَمْع الْكُفَّار بِأُحُدٍ وَهُمْ الْمُسْلِمُونَ إِلَّا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا {إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمْ}أَزَلّهُمْ {الشَّيْطَان} بِوَسْوَسَتِهِ {بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا} مِنْ الذُّنُوب وَهُوَ مُخَالَفَة أَمْر النَّبِيّ {وَلَقَدْ عَفَا اللَّه عَنْهُمْ إِنَّ اللَّه غَفُور} لِلْمُؤْمِنِينَ {حليم} لا يعجل على العصاة {يأيها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا} أَيْ الْمُنَافِقِينَ {وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ} أَيْ فِي شَأْنهمْ {إِذَا ضَرَبُوا} سَافَرُوا {فِي الْأَرْض} فَمَاتُوا {أَوْ كَانُوا غُزًّى} جَمْع غَازٍ فَقُتِلُوا {لَوْ كَانُوا عِنْدنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا} أَيْ لَا تَقُولُوا كَقَوْلِهِمْ {لِيَجْعَل اللَّه ذَلِكَ} الْقَوْل فِي عَاقِبَة أَمْرهمْ {حَسْرَة فِي قُلُوبهمْ وَاَللَّه يُحْيِي وَيُمِيت} فَلَا يَمْنَع عَنْ الْمَوْت قُعُود {وَاَللَّه بِمَا تَعْمَلُونَ} بِالتَّاءِ وَالْيَاء {بَصِير} فَيُجَازِيكُمْ بِهِ {وَلَئِنْ} لَام قَسَم {قُتِلْتُمْ فِي سَبِيل اللَّه} أَيْ الْجِهَاد {أَوْ مُتُّمْ} بِضَمِّ الْمِيم وَكَسْرهَا مِنْ مَاتَ يَمُوت أَيْ أَتَاكُمْ الْمَوْت فِيهِ {لَمَغْفِرَة} كَائِنَة

{مِنْ اللَّه} لِذُنُوبِكُمْ {وَرَحْمَة} مِنْهُ لَكُمْ عَلَى ذَلِكَ وَاللَّام وَمَدْخُولهَا جَوَاب الْقَسَم وَهُوَ فِي مَوْضِع الْفِعْل مُبْتَدَأ خَبَره {خَيْر مما تجمعون} مِنْ الدُّنْيَا .[1]

قوله تعالى{وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (١٥٨) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١٦٠) وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (١٦١) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (١٦٢) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ}[2]

سبب النزول:

قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ} الْآيَةَ {١٦١}.

قَالَ الْكَلْبِيُّ وَمُقَاتِلٌ: نزلت حين ترك الرُّمَاةُ الْمَرْكَزَ يَوْمَ أُحُدٍ طَلَبًا لِلْغَنِيمَةِ، وَقَالُوا: نَخْشَى أَنْ يَقُولَ رسول الله صلى الله عيه وسلم: "مَنْ أَخَذَ شَيْئًا فَهُوَ لَهُ"، وَأَنْ لَا يُقَسِّمَ الْغَنَائِمَ كَمَا لَمْ يُقَسِّمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "ظَنَنْتُمْ أَنَّا نَغُلُّ وَلَا نُقَسِّمُ لَكُمْ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.[3]

التفسير:

قوله:{وَلَئِنْ} لَام قَسَم {مُتُّمْ} بِالْوَجْهَيْنِ {أَوْ قُتِلْتُمْ} فِي الْجِهَاد وَغَيْره {لَا إِلَى اللَّه} لَا إِلَى غَيْره {تُحْشَرُونَ} فِي الْآخِرَة فَيُجَازِيكُمْ {فَبِمَا رَحْمَة مِنْ اللَّه لِنْت} يَا مُحَمَّد {لَهُمْ} أَيْ سَهَّلْت أَخْلَاقك إذْ خَالَفُوك {وَلَوْ كنت فظا} سيء الْخُلُق{غَلِيظ الْقَلْب}جَافِيًا فَأَغْلَظْت لَهُمْ {لَانْفَضُّوا} تَفَرَّقُوا {مِنْ حَوْلك فَاعْفُ} تَجَاوَزْ {عَنْهُمْ} مَا أَتَوْهُ {وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ} ذُنُوبهمْ

---

[1] تفسير الجلالين ٨٩/١ ، الجواهر الحسان :الثعالبى ١٢٥/٢:١٢٩.

[2] سورة آل عمران : آية (١٥٨:١٦٣).

[3] أسباب النزول: النيسابورى : ١٢٦/١٢٧.

حَتَّى أَغْفِر لَهُمْ {وَشَاوِرْهُمْ} اسْتَخْرِجْ آرَاءَهُمْ {فِي الْأَمْر}أَيْ:شَأْنك مِنْ الْحَرْب وَغَيْره تَطْيِيبًا لِقُلُوبِهِمْ وَلِيُسْتَنّ بِك وَكَانَ -صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَثِير الْمُشَاوَرَة لَهُمْ فَإِذَا عَزَمْت عَلَى إمْضَاء مَا تُرِيد بَعْد الْمُشَاوَرَة {فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّه} ثِقْ بِهِ لَا بِالْمُشَاوَرَةِ {إنَّ اللَّه يُحِبّ الْمُتَوَكِّلِينَ} عَلَيْهِ إنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّه} يُعِنْكُمْ عَلَى عَدُوّكُمْ كَيَوْمِ بَدْر {فَلَا غَالِب لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ} يَتْرُك نَصْرَكُمْ كَيَوْمِ أُحُد {فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْده} أَيْ بَعْد خِذْلَانه أَيْ لَا نَاصِر لَكُمْ {وَعَلَى اللَّه لَا غَيْره {فَلْيَتَوَكَّلْ} ليثق {المؤمنون} وَنَزَلَتْ لَمَّا فُقِدَتْ قَطِيفَة حَمْرَاء يَوْم أُحُد فَقَالَ بَعْض النَّاس لَعَلَّ النَّبِيّ أَخَذَهَا {وَمَا كان} ما يَنْبَغِي {لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلّ} يَخُون فِي الْغَنِيمَة فَلَا تَظُنُّوا بِهِ ذَلِكَ وَفِي قِرَاءَة بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ أَنْ يُنْسَب إلَى الْغُلُول {وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْم الْقِيَامَة} حَامِلًا لَهُ عَلَى عُنُقه {ثُمَّ تُوَفَّى كُلّ نَفْس} الْغَالّ وَغَيْره جَزَاء {مَا كَسَبَتْ} عَمِلَتْ {وَهُمْ لَا يظلمون} شيئا {أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَان اللَّه} فَأَطَاعَ وَلَمْ يَغُلّ {كَمَنْ بَاءَ} رَجَعَ {بِسَخَطٍ مِنْ اللَّه} لِمَعْصِيَتِهِ وَغُلُوله {وَمَأْوَاهُ جَهَنَّم وَبِئْسَ الْمَصِير} الْمَرْجِع هِيَ {هُمْ دَرَجَات} أَيْ أَصْحَاب دَرَجَات {عِنْد اللَّه} أي مختلفوا الْمَنَازِل فَلِمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانه الثَّوَاب وَلِمَنْ بَاءَ بِسَخَطِهِ الْعِقَاب {وَاَللَّه بَصِير بِمَا يَعْمَلُونَ}فَيُجَازِيهِمْ به".[1]

قوله تعالى{ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (١٦٤) أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (١٦٧) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ }[2]

---

[1] تفسير الجلالين ٨٩/١، روح المعانى :الأولوسى ٣٠٥/٢.

[2] سورة آل عمران :آية (١٦٤:١٦٨).

سبب النزول:

قَوْلُهُ تَعَالَى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ} الْآيَةَ {١٦٥}.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ مِنَ الْعَامِ الْمُقْبِلِ عُوقِبُوا بِمَا صَنَعُوا يَوْمَ بَدْرٍ مِنْ أَخْذِهِمُ الْفِدَاءَ،فَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَفَرَّ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَّتُهُ وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ، وَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ} إِلَى قَوْلِهِ: {قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ} قال: يأخذكم الْفِدَاءَ.[1]

التفسير:

قوله{لَقَدْ مَنَّ اللَّه عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسهمْ} أَيْ عَرَبِيًّا مِثْلهمْ لِيَفْهَمُوا عَنْهُ وَيَشْرُفُوا بِهِ لَا مَلَكًا وَلَا عجميا {يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاته} الْقُرْآن {وَيُزَكِّيهِمْ} يُطَهِّرهُمْ مِنْ الذُّنُوب {وَيُعَلِّمهُمْ الْكِتَاب} الْقُرْآن {وَالْحِكْمَة} السُّنَّة {وَإِنْ} مُخَفَّفَة أَيْ إِنَّهُمْ {كَانُوا مِنْ قَبْل} أَيْ قَبْل بَعْثه {لَفِي ضَلَال مُبِين} بَيِّن {أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَة} بِأُحُدٍ بِقَتْلِ سَبْعِينَ مِنْكُمْ {قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا} بِبَدْرٍ بِقَتْلِ سَبْعِينَ وَأَسْر سَبْعِينَ مِنْهُمْ {قُلْتُمْ} مُتَعَجِّبِينَ {أَنَّى} مِنْ أَيْنَ لَنَا {هَذَا} الْخِذْلَان وَنَحْنُ مُسْلِمُونَ وَرَسُول اللَّه فِينَا وَالْجُمْلَة الْأَخِيرَة مَحَلّ الِاسْتِفْهَام الْإِنْكَارِيّ {قُلْ} لَهُمْ {هُوَ مِنْ عِنْد أَنْفُسكُمْ} لِأَنَّكُمْ تَرَكْتُمْ الْمَرْكَز فَخُذِلْتُمْ {إِنَّ اللَّه عَلَى كُلّ شَيْء قَدِير} وَمِنْهُ النَّصْر وَمَنْعه وَقَدْ جَازَاكُمْ بِخِلَافِكُمْ {وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْم الْتَقَى الْجَمْعَانِ} بِأُحُدٍ {فَبِإِذْنِ اللَّه} بِإِرَادَتِهِ {وَلِيَعْلَم} عِلْم ظُهُور {الْمُؤْمِنِينَ} حَقًّا {وليعلم الذين نافقوا و} الذين {قِيلَ لَهُمْ} لَمَّا انْصَرَفُوا عَنْ الْقِتَال وَهُمْ عَبْد اللَّه بْن أُبَيٍّ وَأَصْحَابه {تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيل اللَّه} أَعْدَاءَهُ {أَوْ ادْفَعُوا} عَنَّا الْقَوْم بِتَكْثِيرِ سَوَادكُمْ إِنْ لَمْ تُقَاتِلُوا {قَالُوا لَوْ نَعْلَم} نُحْسِن {قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ} قَالَ تَعَالَى تَكْذِيبًا لَهُمْ {هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمئِذٍ أَقْرَب مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ} بِمَا أَظْهَرُوا مِنْ خِذْلَانهمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَكَانُوا قَبْل أَقْرَب إِلَى الْإِيمَان مِنْ حَيْثُ الظَّاهِر {يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبهمْ} وَلَوْ عَلِمُوا قِتَالًا لَمْ يَتَّبِعُوكُمْ {وَاَللَّه أَعْلَم بِمَا يَكْتُمُونَ} مِنْ النِّفَاق {الَّذِينَ} بَدَل مِنْ الَّذِينَ قَبْله أَوْ نَعْت

[1] أسباب النزول :١/١٢٧:١٢٨.

{قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ} فِي الدِّين {و} قَدْ {قَعَدُوا} عَنْ الْجِهَاد {لَوْ أَطَاعُونَا} أَيْ شُهَدَاء أُحُد أو إخواننا في القعود {ما قتلوا قُلْ} لَهُمْ {فَادْرَءُوا} ادْفَعُوا {عَنْ أَنْفُسكُمْ الْمَوْت إنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} فِي أَنَّ الْقُعُود يُنْجِي مِنْهُ وَنَزَلَ فِي الشُّهَدَاء ". [1]

قوله تعالى{ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (١٦٩) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (١٧١) الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَ حْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ (١٧٢) الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ (١٧٤) إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}[2]

سبب النزول:

- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا} {١٦٩} .

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بن يحيى قال: أَخْبَرَنَا أَبُو سَعِيدٍ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أحمد الخلالي قال: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدَانَ بْنِ يزيد البجلي قال: حَدَّثَنَا أبو كريب قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ،عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ،عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللَّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ مُعَلَّقَةٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَمَقِيلِهِمْ قَالُوا:مَنْ يُبَلِّغُ إِخْوَانَنَا عَنَّا أَنَّا فِي الْجَنَّةِ نُرْزَقُ،لِئَلَّا يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ

---

[1] تفسير الجلالين ١/ ٩٠ ، فتح القدير: الشوكانى ١/ ٤٥٠:٤٥٤.

[2] سورة آل عمران :آية (١٦٩:١٧٤).

وَلَا يَنْكُلُوا فِي الْحَرْبِ"، فَقَالَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-: "أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ"، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}.[1]

- قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} الْآيَةَ {١٧٢}.

أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بن إبراهيم المقري قال: أَخْبَرَنَا شُعَيْبُ بن محمد قال: أَخْبَرَنَا مَكِّيُّ بن عبدان قال: حَدَّثَنَا أبو الأزهر قال: حدثنا روح قال: حَدَّثَنَا أَبُو يُونُسَ الْقُشَيْرِيُّ، عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - اسْتَنْفَرَ النَّاسَ بَعْدَ أُحُدٍ حِينَ انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ، فَاسْتَجَابَ لَهُ سَبْعُونَ رَجُلًا، فَطَلَبَهُمْ فَلَقِيَ أَبُو سُفْيَانَ عِيرًا مِنْ خُزَاعَةَ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ لَقِيتُمْ مُحَمَّدًا يَطْلُبُنِي فَأَخْبِرُوهُ أَنِّي فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ، فَلَقِيَهُمُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَسَأَلَهُمْ عَنْ أَبِي سُفْيَانَ فَقَالُوا: لَقِينَاهُ فِي جَمْعٍ كَثِيرٍ وَنَرَاكَ فِي قِلَّةٍ وَلَا نَأْمَنُهُ عَلَيْكَ، فَأَبَى رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَّا أَنْ يَطْلُبَهُ، فَسَبَقَهُ أَبُو سُفْيَانَ، فَدَخَلَ مَكَّةَ،فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: {الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ} حَتَّى بَلَغَ {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}".[2]

- قَوْلُهُ تَعَالَى: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ} الْآيَةَ {١٧٣}.

- أَخْبَرَنَا أَبُو إسحاق الثعالبي قال: أَخْبَرَنَا أَبُو صَالِحٍ شُعَيْبُ بن محمد قال: أَخْبَرَنَا أَبُو حَاتِمٍ التميمي قال:أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ الأزهر قال: حَدَّثَنَا رَوْحُ بْنُ عبادة قال: حَدَّثَنَا سَعِيدٌ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: ذَاكَ يَوْمُ أُحُدٍ بَعْدَ الْقَتْلِ وَالْجِرَاحَةِ وَبَعْدَمَا انْصَرَفَ الْمُشْرِكُونَ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لِأَصْحَابِهِ: "أَلَا عِصَابَةٌ تُشَدِّدُ لِأَمْرِ اللَّهِ فَتَطْلُبُ عَدُوَّهَا فَإِنَّهُ أَنْكَى لِلْعَدُوِّ وَأَبْعَدُ لِلسَّمْعِ"، فَانْطَلَقَ عِصَابَةٌ عَلَى مَا يَعْلَمِ اللَّهُ مِنَ الْجَهْدِ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِذِي الْحُلَيْفَةِ جَعَلَ الْأَعْرَابُ وَالنَّاسُ يأتون عليهم، يقولون هَذَا أَبُو سُفْيَانَ مَائِلٌ بِالنَّاسِ، فَقَالُوا:

---

[1] أسباب النزول: ١/١٢٨:١٢٩.

[2] أسباب النزول : النيسابورى ١/١٣٠:١٣١.

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: {الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ} إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: {وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ}.[1]

التفسير : قوله{وَلَا تَحْسَبَن الَّذِينَ قُتِلُوا} ماتوا{ فِي سَبِيل اللَّه} أَيْ لِأَجْلِ دِينه {أَمْوَاتًا بَلْ} هُمْ {أَحْيَاء عِنْد رَبّهمْ} أَرْوَاحهمْ فِي حَوَاصِل طُيُور خُضْر تَسْرَح فِي الْجَنَّة حَيْثُ شَاءَتْ كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيث {يُرْزَقُونَ} يَأْكُلُونَ مِنْ ثمار الجنة {فَرِحِينَ}حَال مِنْ ضَمِير يُرْزَقُونَ{بِمَا آتَاهُمُ اللَّه مِنْ فَضْله وَ} هُمْ {يَسْتَبْشِرُونَ}يَفْرَحُونَ{بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفهمْ}مِنْ إخوانهم المؤمنين ويبدل من الذين أي بأن {لا خوف عليهم} أي الَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ {وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}فِي الْآخِرَة الْمَعْنَى يَفْرَحُونَ بِأَمْنِهِمْ وَفَرَحهمْ {يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ} ثَوَاب{مِنْ اللَّه وَفَضْل}زِيَادَة عَلَيْهِ {وَأَنَّ} بِالْفَتْحِ عَطْفًا عَلَى نِعْمَة وَبِالْكَسْرِ اسْتِئْنَافًا {اللَّه لَا يُضِيع أَجْر الْمُؤْمِنِينَ} بَلْ يأجرهم {الَّذِينَ} مُبْتَدَأ {اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُول}دُعَاءَهُ بِالْخُرُوجِ للقتال لما أراد أبو سفيان وأصحابه العودة تَوَاعَدُوا مَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سُوق بَدْر الْعَام الْمُقْبِل مِنْ يَوْم أُحُد {مِنْ بَعْد مَا أَصَابَهُمْ الْقَرْح} بِأُحُدٍ وَخَبَر الْمُبْتَدَأ {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ} بِطَاعَتِهِ {وَاتَّقَوْا} مُخَالَفَته {أَجْر عَظِيم} هُوَ الْجَنَّة {الَّذِينَ} بَدَل مِنْ الَّذِينَ قَبْله أَوْ نَعْت {قَالَ لَهُمْ النَّاس} أَيْ نَعِيم بْن مَسْعُود الْأَشْجَعِيّ {إِنَّ النَّاس}أَبَا سُفْيَان وَأَصْحَابه{قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ} الْجُمُوع ليستأصلوكم {فَاخْشَوْهُمْ} وَلَا تَأْتُوهُمْ {فَزَادَهُمْ} ذَلِكَ الْقَوْل {إِيمَانًا} تَصْدِيقًا بِاَللَّهِ وَيَقِينًا {وَقَالُوا حَسْبنَا اللَّه} كَافِينَا أَمْرهمْ {وَنِعْمَ الْوَكِيل} الْمُفَوَّض إِلَيْهِ الْأَمْر هُوَ وَخَرَجُوا مَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَافَوْا سُوق بَدْر وَأَلْقَى اللَّه الرُّعْب فِي قَلْب أَبِي سُفْيَان وَأَصْحَابه فَلَمْ يَأْتُوا وَكَانَ مَعَهُمْ تِجَارَات فَبَاعُوا وربحوا قال الله تعالى {فَانْقَلَبُوا} رَجَعُوا مِنْ بَدْر {بِنِعْمَةٍ مِنْ اللَّه وَفَضْل} بِسَلَامَةٍ وَرِبْح {لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوء} مِنْ قَتْل أَوْ جُرْح {وَاتَّبَعُوا رِضْوَان اللَّه} بِطَاعَتِهِ وَطَاعَة رَسُوله فِي الْخُرُوج {وَاَللَّه ذُو فَضْل عَظِيم} عَلَى أَهْل طَاعَته {إِنَّمَا

[1] أسباب النزول : النيسابورى ١/ ١٣١:١٣٢.

ذَلِكُمْ} أَيْ الْقَائِل لَكُمْ إنَّ النَّاس إلخ {الشيطان يخوف} كم {أولياءه} الكفار {فلا تخافوهم وخافون} فِي تَرْك أَمْرِي {إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} حَقًّا .[١]

قوله تعالى{ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧) وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨) مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ }[٢]

التفسير

قوله{وَلَا يَحْزُنك} بِضَمِّ الْيَاء وَكَسْر الزَّاي وَبِفَتْحِهَا وضم الزاي من أحزانه {الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْر}يَقَعُونَ فِيهِ سَرِيعًا بِنُصْرَتِهِ وَهُمْ أَهْل مَكَّة أَوْ الْمُنَافِقُونَ أَيْ لَا تَهْتَمّ لِكُفْرِهِمْ إنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّه شَيْئًا} بِفِعْلِهِمْ وَإِنَّمَا يَضُرُّونَ أَنْفُسهمْ {يُرِيد اللَّه أَلَّا يَجْعَل لَهُمْ حَظًّا} نَصِيبًا {فِي الْآخِرَة} أَيْ الْجَنَّة فَلِذَلِكَ خَذَلَهُمْ اللَّه {وَلَهُمْ عَذَاب عَظِيم} فِي النَّار{إنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْر بِالْإِيمَانِ} أَيْ أَخَذُوهُ بَدَله {لَنْ يَضُرُّوا اللَّه} بِكُفْرِهِمْ {شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَاب أَلِيم} مُؤْلِم {وَلَا يَحْسَبَن} بِالْيَاءِ وَالتَّاء{الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي}أَيْ إمْلَاءَنَا{لَهُمْ} بِتَطْوِيلِ الْأَعْمَار وَتَأْخِيرهمْ {خَيْر لِأَنْفُسِهِمْ}وَأَنَّ وَمَعْمُولَاهَا سَدَّتْ مَسَدّ الْمَفْعُولَيْنِ فِي قِرَاءَة التَّحْتَانِيَّة وَمَسَدّ الثَّانِي فِي الْأُخْرَى{إنَّمَا نُمْلِي}نُمْهِل لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إثْمًا} بِكَثْرَةِ الْمَعَاصِي {وَلَهُمْ عَذَاب مُهِين} ذُو إهَانَة فِي الآخرة {مَا كَانَ اللَّه لِيَذَر} لِيَتْرُك {الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ}أَيّهَا النَّاس{عَلَيْهِ}مِنْ اخْتِلَاط الْمُخْلِص بِغَيْرِهِ {حَتَّى يَمِيز} بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيد يَفْصِل {الْخَبِيث} الْمُنَافِق {مِنْ الطَّيِّب} الْمُؤْمِن بِالتَّكَالِيفِ الشَّاقَّة الْمُبَيِّنَة لِذَلِكَ فَفَعَلَ ذَلِكَ يَوْم أُحُد {وَمَا كَانَ اللَّه لِيُطْلِعكُمْ عَلَى الْغَيْب} فَتَعْرِفُوا الْمُنَافِق

---

[١] تفسير الجلالين ١/٩٠:٩١، تفسير القرآن الحكيم ١/١٩٠:٢٠٠.

[٢] سورة آل عمران:آية (١٧٦:١٧٩).

مِنْ غَيْره قَبْل التَّمْيِيز {وَلَكِنَّ اللَّه يَجْتَبِي} يَخْتَار {مِنْ رُسُله مَنْ يَشَاء} فَيُطْلِعهُ عَلَى غَيْبه كَمَا أَطْلَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَال الْمُنَافِقِينَ {فَآمِنُوا بِاَللَّهِ وَرُسُله وإن تؤمنوا وتتقوا} النفاق {فلكم أجر عظيم}جزاء لكم .[1]

استشهاد حمزة بن عبد المطلب فى غزوة أحد :

قوله تعالى{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ(١٢٦)وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ(١٢٧)إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ(١٢٨)}[2]

سبب النزول:

قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: إِنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا رَأَوْا مَا فَعَلَ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلَاهُمْ يَوْمَ أُحُدٍ مِنْ تَبْقِيرِ الْبُطُونِ وَقَطْعِ الْمَذَاكِيرِ وَالْمُثْلَةِ السَّيِّئَةِ،قَالُوا حِينَ رَأَوْا ذَلِكَ: لَئِنْ أَظْفَرَنَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِمْ لَنَزِيدَنَّ عَلَى صَنِيعِهِمْ وَلَنُمَثِّلَنَّ بِهِمْ مُثْلَةً لَمْ يُمَثِّلْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ بِأَحَدٍ قَطُّ وَلَنَفْعَلَنَّ وَلَنَفْعَلَنَّ، وَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى عَمِّهِ حَمْزَةَ وَقَدْ جَدَعُوا أَنْفَهُ وَأُذُنَهُ وَقَطَعُوا مَذَاكِيرَهُ وَبَقَرُوا بَطْنَهُ، وَأَخَذَتْ هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ قِطْعَةً مِنْ كَبِدِهِ فَمَضَغَتْهَا ثُمَّ اسْتَرْطَتْهَا لِتَأْكُلَهَا،فَلَمْ تَلْبَثْ فِي بَطْنِهَا حَتَّى رَمَتْ بِهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ نَبِيَّ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: "أَمَا إِنَّهَا لَوْ أَكَلَتْهَا لَمْ تَدْخُلِ النَّارَ أَبَدًا، حَمْزَةُ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْ أَنْ يُدْخِلَ شَيْئًا مِنْ جَسَدِهِ النَّارَ"، فَلَمَّا نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إِلَى حَمْزَةَ نَظَرَ إِلَى شَيْءٍ لَمْ يَنْظُرْ قَطُّ إِلَى شَيْءٍ كَانَ أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْهُ، فَقَالَ: "رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ، إِنَّكَ مَا عَلِمْتُ كُنْتَ وَصُولًا لِلرَّحِمِ، فَعَّالًا لِلْخَيْرَاتِ، وَلَوْلَا حُزْنُ مَنْ بَعْدَكَ عَلَيْكَ لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مِنْهُمْ مَكَانَكَ"،فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} الْآيَةَ، فَقَالَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - "بَلْ نَصْبِرُ"، وَأَمْسَكَ عَمَّا أَرَادَ، وَكَفَّرَ عَنْ يَمِينِهِ.[3]

---

[1] تفسير الجلالين ٩٢/١، محاسن التأويل القاسمى ٤٦٢/١:٤٦٥.

[2] سورة النحل :آية (١٢٦:١٢٨).

[3] أساب النزول :النيسابورى ٢٨٤/١:٢٨٥.

التفسير:

قوله{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ} من أساء إليكم بالقول والفعل {فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} من غير زيادة منكم على ما أجراه معكم {وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ} عن المعاقبة وعفوتم عن جرمهم{لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ} من الاستيفاء وما عند الله خير لكم وأحسن عاقبة كما قال تعالى: {فمن عفا وأصلح فأجره على الله}

ثم أمر رسوله بالصبر على دعوة الخلق إلى الله والاستعانة بالله على ذلك وعدم الاتكال على النفس فقال:{وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ} هو الذي يعينك عليه ويثبتك{وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ}إذا دعوتهم فلم تر منهم قبولا لدعوتك، فإن الحزن لا يجدي عليك شيئا{وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ} أي: شدة وحرج {مِمَّا يَمْكُرُونَ} فإن مكرهم عائد إليهم وأنت من المتقين المحسنين والله مع المتقين المحسنين،بعونه وتوفيقه وتسديده،وهم الذين اتقوا الكفر والمعاصي، وأحسنوا في عبادة الله،بأن عبدوا الله كأنهم يرونه فإن لم يكونوا يرونه، فإنه يراهم، والإحسان إلى الخلق ببذل النفع لهم من كل وجه.[1]

- **مخالفة الرماة لأمر رسول الله –صلى الله عليه وسلم - :**

قوله تعالى{ وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٧٦) إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٧٧)وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (١٧٨)مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ }[2]

سبب النزول :

---

[1] تيسير الكريم الرحمن :السعدى ٤٥٢/١.

[2] سورة آل عمران: آية(١٧٦:١٧٩).

قوله تعالى{ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ}

أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة قال لما أبطأ على النساء الخبر خرجن ليستخبرن بين فإذا رجلان مقبلان على بعير فقالت امرأة ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالا حي قالت فلا أبالي يتخذ الله من عباده الشهداء ونزل القرآن على ما قالت ويتخذ منكم شهداء.[١]

قوله تعالى{ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ }

أخرج ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس أن رجالا من الصحابة كانوا يقولون ليتنا نقتل كما قتل اصحاب بدر أو ليت لنا يوما كيوم بدر نقاتل فيه المشركين ونبلى فيه خيرا أو نلتمس الشهادة والجنة أو الحياة والرزق فأشهدهم الله أحدا فلم يلبثوا إلا من شاء الله منهم فأنزل الله ولقد كنتم تمنون الموت الآية"[٢]

قوله تعالى{ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

أخرج ابن أبي حاتم عن عمر ابن الخطاب قال عوقبوا يوم أحد بما صنعوا يوم بدر من أخذهم الفداء فقتل منهم سبعون وفر أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه وسال الدم على وجهه فأنزل الله أو لما أصابتكم مصيبة الآية.[٣]

قوله تعالى{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}

روى أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أصيب أخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة وتاكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم

---

[١] لباب النقول :السيوطى ٤٧/١.

[٢] المرجع السابق :٤٧/١.

[٣] المرجع السابق :٤٩/١.

ومشربهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله لنا لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله أنا ابلغهم عنكم فأنزل الله هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا الآية وما بعده .[١]

قوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ}

حدثني الزهري ومحمد بن يحيى بن حبان وعاصم بن عمير بن قتادة والحصين بن عبد الرحمن قالوا لما أصيبت قريش يوم بدر ورجعوا إلى مكة مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أبي أمية في رجال من قريش أصيب آباؤهم وأبناؤهم فكلموا أبا سفيان ومن كان له في ذلك العير من قريش تجارة فقالوا يا معشر قريش ان محمدا قد وتركم وقتل خياركم فأعينونا بهذا المال على حربه فلعلنا ان ندرك منه ثأرا ففعلوا ففيهم كما ذكر عن ابن عباس أنزل الله إن الذين كفروا ينفقون أموالهم إلى قوله يحشرون.[٢]

قوله تعالى{ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا}

عن أنس بن مالك - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أن أنس بن النضر تغيب عن قتال بدر، فقال: تغيبتُ عن أول مشهد شهده النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لئن رأيت قتالاً ليرين اللَّه ما أصنع. فلما كان يوم أحد انهزم أصحاب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أقبل أنس، فرأى سعد بن معاذ منهزمًا، فقال: يا أبا عمرو، أين؟ أين؟ قم، فوالذي نفسي بيده، إني لأجد ريح الجنة دون أُحد فحمل حتى قتل، فقال سعد بن معاذ: فوالذي نفسي بيده ما استطعت ما استطاع. فقالت أُخته: فما عرفتُ أخي إلا ببنانه ولقد كانت فيه

---

[١] لباب النقول :٤٩/١.

[٢] المرجع السابق ٩٩/١.

بضع وثمانون ضربة، من بين ضربة بسيف، ورمية بسهم، وطعنةٍ برمح، فأنزل اللَّه - عَزَّوَجَلَّ - فيه: (رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ) إلى قوله: (وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا).[1]

التفسير:

قوله{وَلَا يَحْزُنك} بِضَمِّ الْيَاء وَكَسْر الزَّاي وَبِفَتْحِهَا وضم الزاي من أحزانه {الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْر} يَقَعُونَ فِيهِ سَرِيعًا بِنُصْرَتِهِ وَهُمْ أَهْل مَكَّة أَوْ الْمُنَافِقُونَ أَيْ لَا تَهْتَمّ لِكُفْرِهِمْ {إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّه شَيْئًا} بِفِعْلِهِمْ وَإِنَّمَا يَضُرُّونَ أَنْفُسهمْ {يُرِيد اللَّه أَلَّا يَجْعَل لَهُمْ حَظًّا} نَصِيبًا {فِي الْآخِرَة} أَيْ الْجَنَّة فَلِذَلِكَ خَذَلَهُمْ اللَّه {وَلَهُمْ عَذَاب عَظِيم} فِي النَّار {إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوْا الْكُفْر بِالْإِيمَانِ} أَيْ أَخَذُوهُ بَدَله {لَنْ يَضُرُّوا اللَّه} بِكُفْرِهِمْ {شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَاب أَلِيم} مُؤْلِم {وَلَا يَحْسَبَن} بِالْيَاءِ وَالتَّاء{الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي} أَيْ إمْلَاءَنَا {لَهُمْ} بِتَطْوِيلِ الْأَعْمَار وَتَأْخِيرهمْ{خَيْر لِأَنْفُسِهِمْ}وَأَنَّ وَمَعْمُولَاهَا سَدَّتْ مَسَدّ الْمَفْعُولَيْنِ فِي قِرَاءَة التَّحْتَانِيَّة وَمَسَدّ الثَّانِي فِي الْأُخْرَى {إِنَّمَا نُمْلِي} نُمْهِل {لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا} بِكَثْرَةِ الْمَعَاصِي{وَلَهُمْ عَذَاب مُهِين}ذُو إِهَانَة فِي الآخرة {مَا كَانَ اللَّه لِيَذَر} لِيَتْرُك {الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ} أَيّهَا النَّاس{عَلَيْهِ} مِنْ اخْتِلَاط الْمُخْلِص بِغَيْرِهِ {حَتَّى يَمِيز} بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيد يَفْصِل {الْخَبِيث} الْمُنَافِق {مِنْ الطَّيِّب} الْمُؤْمِن بِالتَّكَالِيفِ الشَّاقَّة الْمُبَيِّنَة لِذَلِكَ فَفَعَلَ ذَلِكَ يَوْم أُحُد {وَمَا كَانَ اللَّه لِيُطْلِعكُمْ عَلَى الْغَيْب} فَتَعْرِفُوا الْمُنَافِق مِنْ غَيْره قَبْل التَّمْيِيز {وَلَكِنَّ اللَّه يَجْتَبِي} يَخْتَار {مِنْ رُسُله مَنْ يَشَاء} فَيُطْلِعهُ عَلَى غَيْبه كَمَا أَطْلَعَ النَّبِيّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَال الْمُنَافِقِينَ {فَآمِنُوا بِاَللَّهِ وَرُسُله وإن تؤمنوا وتتقوا} النفاق {فلكم أجر عظيم}".[2]

قوله تعالى{ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}

---

[1] المحرر في أسباب النزول من خلال الكتب التسعة ٨٠١/٢

[2] تيسير الكريم الرحمن ٩٣/١.

روى أحمد ومسلم عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كسرت رباعيته يوم أحد وشج في وجهه حتى سال الدم على وجهه فقال كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم فأنزل الله ليس لك من الأمر شئ الآية.[1]

الأحاديث الواردة في الغزوة :

ورد في السنة النبوية العطرة عدة أحاديث تكلمت عن أحداث الغزوة ومنها ما يلى:

١- روى البخارى في صحيحه:عَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَقِينَا المُشْرِكِينَ يَوْمَئِذٍ، وَأَجْلَسَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَيْشًا مِنَ الرُّمَاةِ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَبْدَ اللَّهِ، وَقَالَ: «لاَ تَبْرَحُوا، إِنْ رَأَيْتُمُونَا ظَهَرْنَا عَلَيْهِمْ فَلاَ تَبْرَحُوا، وَإِنْ رَأَيْتُمُوهُمْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا فَلاَ تُعِينُونَا» فَلَمَّا لَقِينَا هَرَبُوا حَتَّى رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ فِي الجَبَلِ، رَفَعْنَ عَنْ سُوقِهِنَّ، قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ، فَأَخَذُوا يَقُولُونَ: الغَنِيمَةَ الغَنِيمَةَ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: عَهِدَ إِلَيَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ لاَ تَبْرَحُوا، فَأَبَوْا، فَلَمَّا أَبَوْا صُرِفَ وُجُوهُهُمْ، فَأُصِيبَ سَبْعُونَ قَتِيلًا، وَأَشْرَفَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ فَقَالَ: «لاَ تُجِيبُوهُ» فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ قَالَ: «لاَ تُجِيبُوهُ» فَقَالَ: أَفِي القَوْمِ ابْنُ الخَطَّابِ؟ فَقَالَ: إِنَّ هَؤُلاَءِ قُتِلُوا، فَلَوْ كَانُوا أَحْيَاءً لَأَجَابُوا، فَلَمْ يَمْلِكْ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ، أَبْقَى اللَّهُ عَلَيْكَ مَا يُخْزِيكَ، قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: اعْلُ هُبَلُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: " قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ " قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا العُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَجِيبُوهُ» قَالُوا: مَا نَقُولُ؟ قَالَ: «قُولُوا اللَّهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ» قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالحَرْبُ سِجَالٌ، وَتَجِدُونَ مُثْلَةً، "لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي.[2]

٢- حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى التَّمِيمِيُّ، حَدَّثَنَا عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ سَهْلَ بْنَ سَعْدٍ، يَسْأَلُ عَنْ جُرْحِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «جُرِحَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ، وَهُشِمَتِ الْبَيْضَةُ عَلَى رَأْسِهِ،

---

[1] لباب النقول :٤٦/١.

[2] أخرجه البخاري في صحيحه : ك المغازي ، ب : غزوة أحد ٩٤/٥ ح رقم (٤٠٤٣).

فَكَانَتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَغْسِلُ الدَّمَ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَسْكُبُ عَلَيْهَا بِالْمِجَنِّ، فَلَمَّا رَأَتْ فَاطِمَةُ أَنَّ الْمَاءَ لَا يَزِيدُ الدَّمَ إِلَّا كَثْرَةً، أَخَذَتْ قِطْعَةَ حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهُ حَتَّى صَارَ رَمَادًا، ثُمَّ أَلْصَقَتْهُ بِالْجُرْحِ، فَاسْتَمْسَكَ الدَّمُ».[١]

٢- حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ، وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللهِ؟»، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ" [٢].[٣]

الدروس المستفادة من الغزوة:

وصف القرآن الكريم غزوة أحد وصفًا دقيقًا، وكان التصوير القرآني للغزوة أقوى حيوية ووضوحًا ،كما أن أسلوب الآيات المطمئنة المبشرة كان رائعًا وقويًا، فبين القرآن الكريم نفوس جيش النبي صلى الله عليه وسلم، فسلط الأضواء على خفايا القلوب،التي ما كان المسلمون أنفسهم يعرفون وجودها في قلوبهم، والناظر عموما في منهج القرآن في التعقيب على غزوة أحد، يجد الدقة والعمق والشمول، تسليط الأضواء على بعض النقاط المهمة من الدروس المستفادة من الغزوة وهى ما يلى :

أولا: تذكير المؤمنين بالسنن ودعوتهم للعلو الإيماني:

قال تعالى: (قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ - هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ - وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ)[٤]،إن المتأمل في هذه الآيات الكريمة يجد أن الله سبحانه وتعالى لم يترك المسلمين لوساوس الشيطان في محنة غزوة بدر، بل خاطبهم بهذه الآيات

---

[١] أخرجه مسلم في صحيحه –ك:الجهاد والسير، ب: غزوة أحد ١٤١٦/٣ ح رقم (١٧٩٠).

[٢] سورة آل عمران: (١٢٨).

[٣] أخرجه مسلم في صحيحه –ك:الجهاد والسير، ب: غزوة أحد ١٤١٨/٣ ح رقم (١٧٩١).

[٤] سورة آل عمران: آية [١٣٧ - ١٣٩].

التي بعث بها الأمل في قلوبهم، وأرشدهم إلى ما يقويهم ويثبتهم، ويمسح بتوجيهاته دموعهم ويخفف عنهم آلامهم،وفي قوله تعالى:(وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُم مُّؤْمِنِينَ) دعاهم إلى ترك الضعف، ومحاربة الجبن، والتخلص من الوهن، وعدم الحزن؛ لأنهم هم الأعلون بسبب إيمانهم.[١]

ثانيًا: تسلية المؤمنين وبيان حكمة الله فيما وقع يوم أحد:

قال تعالى: (إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ - وَلِيُمَحِّصَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ - أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ - وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ) [٢] بيَّن الله -سبحانه- لهم أن الجروح والقتلى يجب ألا تؤثر في جسدهم واجتهادهم في جهاد العدو؛ وذلك لأنه كما أصابهم ذلك فقد أصاب عدوهم مثله من قبل ذلك، فإذا كانوا مع باطلهم وسوء عاقبتهم لم يفتروا لأجل ذلك في الحرب، فبأن لا يلحقكم الفتور مع حسن العاقبة والتمسك بالحق أولى.[٣]

ثالثًا: كيفية معالجة الأخطاء:

ترفق القرآن الكريم وهو يعقب على ما أصاب المسلمين في أحد على عكس ما نزل في بدر من آيات، فكان أسلوب القرآن الكريم في محاسبة المنتصر على أخطائه أشد من حساب المنكسر، فقال في غزوة بدر: (مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ وَاللهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ - لَوْلاَ كِتَابٌ مِّنَ اللهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)[٤]،وقال في أحد: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ

---

[١] حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول (١/ ١٩٠).السيرة النبوية عرض وقائع :1/514:513.

[٢] سورة آل عمران: آية[١٤٠ - ١٤٣].

[٣] مفاتيح الغيب : الرازى ١٤/٩.،السيرة النبوية وقائع وأحداث ٥١٤/١.

[٤] سورةالأنفال: آية[٦٧، ٦٨].

تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنْكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)[١]،وفي هذا حكمة عملية وتربية قرآنية يحسن أن يلتزمها أهل التربية والقائمون على التوجيه.[٢]

رابعًا: ضرب المثل بالمجاهدين السابقين:

قال تعالى: (وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ. وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ - فَآتَاهُمُ اللهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ)[٣] ،قال ابن كثير: عاتب الله بهذه الآيات والتي قبلها من انهزم يوم أحد وتركوا القتال لما سمعوا الصائح يصيح بأن محمدًا قد قتل، فعذَلهم الله على فرارهم وتركهم القتال.[٤]

وضرب الله لهم مثلا بإخوانهم المجاهدين السابقين، وهم جماعة كثيرة، ساروا وراء أنبيائهم في درب الجهاد في سبيل الله، فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا عن الجهاد بعد الذي أصابهم منه، وما استكانوا للعدو، بل ظلوا صابرين ثابتين في جهادهم.[٥]

خامسًا: مخالفة ولي الأمر تسبب الفشل لجنوده:

مخالفة الرماة لأمر النبي صلى الله عليه وسلم ووقوعهم في الخطأ الفظيع الذي قلب الموازين، وأدى إلى الخسائر الفادحة التي لحقت بالمسلمين،حيث أن المسلمين انتصروا في أول الأمر حينما امتثلوا لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم، وانقادوا لتعليمات

---

[١] سورةآل عمران: آية[١٥٢]

[٢] صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص١٣٧. ,السيرة النبوية ٥١٥/١.

[٣] سورةآل عمران: آية[١٤٦ - ١٤٨].

[٤] تفسير القرآن العيم :ابن كثير (١/ ٤١٠).

[٥] المستفاد من قصص القرآن (٢/ ٢٠٤).

قائدهم وأميرهم عبد الله بن جبير - رضي الله عنه - ، بينما انهزموا حينما خالفوا أمره صلى الله عليه وسلم ونزل الرماة من الجبل لجمع الغنائم مع بقية الصحابة - رضي الله عنهم-، قال تعالى: (وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّن بَعْدِ مَا أَرَاكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُم مَّن يُرِيدُ الآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ*إِذْ تُصْعِدُونَ وَلاَ تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِّكَيْلاَ تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ مَا أَصَابَكُمْ وَاللهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[١].[٢]

ثامنًا: معاملة النبي صلى الله عليه وسلم للرماة الذين أخطأوا والمنافقين الذين انخذلوا:

أ- **الرماة:** الذين أخطأوا في غزوة أحد لم يخرجهم الرسول صلى الله عليه وسلم خارج الصف، بل قبل ضعفهم هذا في رحمة وعفو وفي سماحة،رغم ما وقع من بعضهم من أخطاء جسيمة وما ترتب عليه من خسائر فادحة، فعفا سبحانه وتعالى عفوًا غسل به خطاياهم ومحا به آثار تلك الخطايا قال تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ)[٣].**انخذال ابن سلول المنافق:** كان هدفه بانسحابه بثلاثمائة من المنافقين،حدوث بلبلة واضطرابًا في الجيش الإسلامي،لتنهار معنوياته ويتشجع العدو، وتعلو همته. وعمله هذا ينطوي على استهانة بمستقبل الإسلام، وغدر به في أحلك الظروف وفيه نزل قول الله تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ - وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا

---

[١] سورةآل عمران: آية[١٥٢:١٥٣].

[٢] الطاعة والمعصية وأثرهما في المجتمع، محمد بن العثيمين نقلا عن غزوة أحد، ص٢١١، غزوة أحد دارسة دعوية، ص٢٠٧ - ٢٠٩.

[٣] **سورةآل عمران: آية[١٥٩].**

قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاَّتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)[1]،فالبرغم من خطورة الموقف وحاجة المسلمين لهذا العدد، لقلة جيش المسلمين وكثرة جيش قريش إلا أن الرسول صلى الله عليه وسلم ترك هؤلاء المنافقين وشأنهم، ولم يعرهم أي اهتمام، واكتفى بفضح أمرهم أمام الناس، وكان لهذا الأسلوب أثره في توبيخ وإهانة ابن سلول.[2]

تاسعاً: نزول الملائكة في أحد:

كان على يمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وشماله رجلين عليهما ثياب يقاتلان عنه كأشد القتال،هماجبريل وميكائيل، عليهما السلام وهذا خاص بالدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأن الله تكفل بعصمته من الناس قال تعالى: (إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاَثَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُنزَلِينَ - بَلَى إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلاَفٍ مِّنَ الْمَلاَئِكَةِ مُسَوِّمِينَ)[3].[4]

عاشراً: فضل الشهداء وما أعده الله لهم من نعيم مقيم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيلهم، قالوا: يا ليت إخواننا يعلمون ما صنع الله بنا؛ لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب، فقال عز وجل: أنا أبلغهم عنكم» فأنزل الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم هذه الآيات،قال تعالى: (وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ - فَرِحِينَ

---

[1] سورةآل عمران:آية [١٦٦ - ١٦٧].

[2] غزوة أحد دراسة دعوية، ص٢١٨، السيرة النبوية عرض وقائع ٥٢١/١.

[3] سورةآل عمران:آية [١٢٤، ١٢٥].

[4] كتاب الفضائل، باب في قتال جبريل وميكائيل (٤/ ١٨٠٢)،السيرة النبوية الصحيحة (٢/ ٣٩١)، السيرة النبوية عرض وقائع ٥٢٣/١.

بِمَا آتَاهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ - يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ)[1].

وهكذا انتهت هذه المعركة بهزيمة المسلمين، **وترجع هذه الهزيمة إلى عوامل عدة:**

١- الاختلاف الذى وقع بين صفوف المسلمين منذ اللحظة التى علموا فيها بزحف قريش وحلفائها نحوهم. فالرسول ومعه كبار الصحابة كان ير إزاء كثرة عدد جيش قريش ألا يغامر بلقائها فى أرض مكشوفة، وفضل أن يتحصن فى المدينة ذات الأزقة الضيقة والحصانة الطبيعية.

٢- مخالفة رماة المسلمين لأوامر النبىﷺ. وكان النبىﷺ قد جعل الجبل خلف ظهور المسلمين ليحميهم، ووضع فوق هذا الجبل خمسين من الرماة ليمنعوا العدو من تطويق جيش المسلمين، وأمر هؤلاء الرماة ألا يتركوا مواقعهم سواء انتصر المسلمون أم انهزموا، وعين عليهم عبد الله ابن جبير قائداً لهم وأوصاه بذلك. لكنهم خالفوا تلك الأوامر كما سبقت الإشارة وأتاحوا الفرصة لخالد بن الوليد أن يأتى المسلمين من خلف ظهورهم " ومنكم من يريد الآخرة ثُمَّ صرفكم عنهم ليبتليَكُم ولقد عفا عنكم واللّه ذو فضلٍ على المؤمنين" آل عمران آية ١٥٢.

---

[1] سورةآل عمران: آية[١٦٩- ١٧١].

٤-وجود بعض المقاتلين فى جيش المسلمين ممن لم يكونوا قد فهموا الإسلام فهما حقيقياً، فقد صرحوا بأنهم إنما يقاتلون دفاعا عن أحسابهم وشرف قومهم [١].

لهذه الأسباب فازت قريش فى أحد وانسحب الرسول من ميدان المعركة، وعسكر عند مكان يسمى حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة لمنع قريش إذا ما فكرت فى العودة كى تأخذ المسلمين على غرة وارسل على بن أبى طالب يتحسس أخبارهم ويرى إن كانوا عائدين إلى مكة أم راجعين إلى المسلمين من جديد.

وكانت مرابطة المسلمين عند حمراء الأسد التى أشرنا إليها فى اليوم التالى لانتهاء معركة أحد هى البداية، وكانت بداية ناجحة أدت الغرض منها، إذا انسحب أبو سفيان وجيشه وعادوا إلى مكة دون أن يعاودوا الكرة على المسلمين الذين كانوا مثخنين بالجراح.

نتائج غزوة أحد:

١- انتصار المسلمين فى بداية المعركة ثم انتصار المشركين بعد أن ترك الرماة موقعهم على الجبل.

٢- استشهاد سبعين من المسلمين من بينهم حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير وعبد الله بن جحش.

٣- مقتل اثنين وعشرون رجلاً من المشركين.

٤- ظهور المنافقين قبل المعركة وبعدها بزعامة عبد الله بن أبى بن سلول مما أتاح للمسلمين القيام بالتطهير فى صفوفهم.

---

(١)

٥- طمعت قريش وغيرها من القبائل فى جماعة المسلمين وشجعت المشركين على حربهم فيما بعد.

الدروس المستفادة من غزوة أحد:

١- تقدير أهمية وقيمة الطاعة والجندية حيث أن مخالفة أمر القائد تؤدى إلى الفشل.

٢- إن المؤمن مهما عظمت صلته بربه فلا يجوز أن يغتر به أو يحسب أن الدنيا دانت له.

٣- إن هزيمة المسلمين فى أحد كانت درساً قيماً للمسلمين خلال صراعهم مع المشركين حيث شاءت الأقدار أن يكبو المسلمون هذه القبوة بعد الانتصارات على المشركين فى بدر لأن الانتصار الدائم يعرض الجماعة المسلمة لنوع من الاتكالية السالبة.

٤- أن النصر ليس بالكثرة وإنما بالطاعة والتلاحم.

٥- تحريم المثلة أى التمثيل بالقتلى.

٦- إدارك قيمة الزوج عند المرأة كما شاهدنا موقف حمنة بنت جحش.

٧- وجوب قتل الأسير إذا عاد إلى قتال المسلمين بعد العفو عنه فى المرة الأولى .

٨- ضرورة إخفاء الحقيقة لتخفيف شدة العدو والمحافظة على معنويات المقاتلين كما حدث عندما أمر الرسول بعدم الإعلان عن حياة الرسول.

٩- كانت غزوة أحد درساً قاسياً علم المسلمين كيف يحافظون على مواقعهم وعدم تركها لجمع الغنائم.

١٠- كشفت غزوة أحد عن المنافقين الذين ظهر السرور والفرح على وجوههم مما أصاب المسلمين.

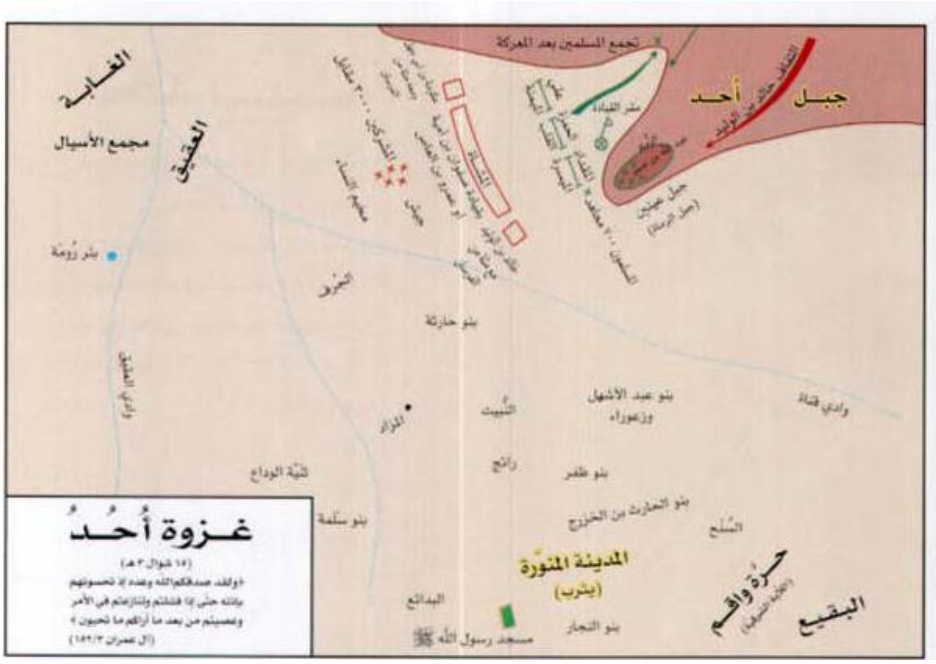

خريطة توضح غزوة بدر أحد [١]

(١) شوقى أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامى ، ص٣٣ .

٣-غزوة الأحزاب أو الخندق: (شوال ٥هـ/مارس ٦٢٧م)

ذلك أن يهود بنى النضير عادوا إلى غدرهم وخيانتهم بعد أن كان النبىﷺ قد أجلاهم عن المدينة لمحاولتهم قتله غيلة، فاتصل وفد لهم بقريش فى مكة فى محاولة للانتقام والإجهاز على محمد وأصحابه، وأخذوا يحرضون القرشيين على استئناف القتال ضد المسلمين من جديد، ووعدوهم بتقديم المساعدات المادية، وكانت قريش فى غنى عن التحريض إذ إنها كانت تعد لجولة أخرى مع النبىﷺ حتى تقضى عليه وعلى قوته نهائياً فموقعة أُحد لم تحقق لها هذا الهدف، ولذلك سرها ما دعا إليه بنو النضير كل السرور، واتفقوا على ذلك وضربوا له موعدا.

وبعد أن تأكد بنو النضير من استجابة قريش لهم اتصلوا بقبيلة غطفان بنجد وأخبروهم بموافقة قريش على حرب المسلمين وأغروهم بإعطائهم تمر خيبر لمدة سنة وتواعد الجميع على اللقاء عند المدينة، فخرجت قريش مع أحابيشها ومع حلفائها من بنى كنانة وثقيف وبنى سليم وأهل تهامة وعلى رأسهم أبو سفيان. وخرجت غطفان مع زعمائها عينية بن حصن فى بنى فزارة والحارث بن عوف فى بنى مرة، وسميت هذه الجماعات التى بلغ تعدادها حوالى عشرة آلاف بالأحزاب، نظر لتكونها من قبائل يهودية وعربية متعددة، سواء من الحجاز أو من نجد، ونزلوا بشمال المدينة فى شوال عام ٥هـ / مارس ٦٢٧.

كانت قريش تهدف من وراء هذه الحملة إلى القضاء تماماً على أمر المسلمين وكانت بقية القبائل العربية تريد غنائم الحرب وأسلابها، أما بنو النضير وبنو قينقاع من اليهود فكانوا يريدون إرجاع نفوذهم إلى المدينة كما كان الحال من قبل. وقد قامت هذه الأحزاب بمحاصرة المدينة مدة شهر .

حديث القرآن الكريم والسنة النبوية
عن "غزوة الأحزاب"أو "الخندق"

تسمى أيضاً بغزوة (الخندق)،وقد ذهب جمهور أهل السير والمغازي[١] أنها وقعت في شهر شهر **شوال من السنة الخامسة للهجرة**،"**وسببها**"أنه لما تم إجلاء بني النضير،قدم عدد من حلفائهم، إلى مكة يدعون قريشا ويحرضونها على قتال الرسول،فأجابت قريش لذلك، ثم ذهب رؤساء اليهود إلى غطفان،فاستجابت لهم بنو فزارة وبنو مرة، وأشجع واتجهوا نحو المدينة، فلما سمع صلى الله عليه وسلم بخروجهم، استشار أصحابه فأشار عليه سلمان بحفر خندق حول المدينة، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفره وعمل فيه بنفسه، ولما وصلت قريش ومن معها من الأحزاب راعها ما رأت من أمر الخندق، إذ لا عهد للعرب بمثله، وكانت عدتهم عشرة آلاف، وعدة المسلمين ثلاثة آلاف، وكان حُيي بن أخطب أحد اليهود الذين هيجوا قريشا والأحزاب ضد المسلمين، وقد ذهب إلى كعب بن أسد سيد بني قريظة يطلب إليه نقض عهد السلم بينه وبين المسلمين، وفكر النبي صلى الله عليه وسلم في مصالحة بني قريظة على ثلث ثمار المدينة، ولكن الأنصار رفضوا اعتزازا بدينهم من أن يعطوا الدنية لهؤلاء الخائنين للعهود والمواثيق، وبدأ القتال باقتحام بعض فرسان المشركين للخندق من إحدى نواحيه الضيقة،فناوشهم المسلمون وقاتلوهم، ثم جاء نعيم بن مسعود ابن عامر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فأخبره أنه قد أسلم، وأن قومه لا يعلمون بإسلامه، وأنه صديق لبني قريظة يأتمنونه ويثقون به، وقال للرسول: «مرني بما شئت» فقال له الرسول: «إنما أنت فينا رجل واحد، فخَذل عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة» فاستعمل نعيم دهاءه حتى فرق بين قريش وحلفائها، وبين بني قريظة، وأوقع في نفوس

---

[١] السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٤٤٣، البداية والنهاية (٤/ ١٠٥)، الطبقات :ابن سعد(٢/ ٦٥، ٧٣)، جوامع السيرة، ص١٨٥، دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٣٩٦)، زاد المعاد: ابن القيم (٢/ ٢٨٨)

كل من الفريقين الشك في الآخر، وأرسل الله على الأحزاب ريحا شديدة في ليلة شاتية شديدة البرد، فجعلت تكفئ قدورهم وتمزق خيامهم، فامتلأت نفوس الأحزاب بالرعب ورحلوا في تلك الليلة، فلما أصبح الصباح نظر المسلمون فلم يروا أحدا[1]، وفي هذه الغزوة أنزل الله تعالى في كتابه الكريم وسنتة المطهرة ما يلى :

قوله تعالى{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذْ جَاءُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا (١٠) هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا (١١) وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا (١٢) وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا (١٣) وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا (١٤) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَ،أى : تَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ

---

[1] السيرة النبوية دروس وعبر:مصطفى السباعى ٨٨/١:٩٠،الفصول فى السيرة :ابن كثير ١٦٣/١:١٦٤، التاريخ السياسي والعسكري، د. علي معطي، ص٣١٠،السيرة النبوية عرض وقائع٥٩٣/١.

بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا (٢٠) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا (٢١)}[١]

أولاً سبب النزول :

١- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ} الْآيَةَ {٩}.

رَوَى جَعْفَرُ بْنُ بُرْقَانَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْأَصَمِّ: أَنَّ الْأَنْصَارَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اقْسِمْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَرْضَ نِصْفَيْنِ، قَالَ: "لَا، ولكنهم يكفونكم المؤونة وَتُقَاسِمُونَهُمُ الثَّمَرَةَ وَالْأَرْضُ أَرْضُكُمْ"، قَالُوا: رَضِينَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ}.[٢]

٢- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} {٩}.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - دَفَعَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ رَجُلًا مِنَ أَهْلِ الصُّفَّةِ، فَذَهَبَ بِهِ الْأَنْصَارِيُّ إِلَى أَهْلِهِ، فَقَالَ لِلْمَرْأَةِ: هَلْ مِنْ شَيْءٍ؟ قَالَتْ: لَا إِلَّا قُوتُ الصِّبْيَةِ، قَالَ: فَنَوِّمِيهِمْ فَإِذَا نَامُوا فَأْتِينِي بِهِ، فإذا وضعت فأطفئ السِّرَاجَ، قَالَ: فَفَعَلَتْ وَجَعَلَ الْأَنْصَارِيُّ يُقَدِّمُ إِلَى ضَيْفِهِ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ غَدَا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقَالَ: "لَقَدْ عَجِبَ مِنْ فِعَالِكُمَا أَهْلُ السَّمَاءِ"وَنَزَلَتْ: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ} رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.[٣]

٣- ذَلِكَ يَوْمُ الْخَنْدَقِ، جَاءَتْ قُرَيْشٌ مِنْ ها هنا واليهود من ها هنا والنجدية من ها هنا. يُرِيدُ مَالِكٌ: إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا مِنْ فَوْقِهِمْ بَنُو قُرَيْظَةَ، وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ. وَكَانَ سَبَبُهَا: أَنَّ نَفَرًا مِنَ الْيَهُودِ مِنْهُمْ كِنَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ بْنُ أَبِي الْحُقَيْقِ وَسَلَّامُ بن أبي الحقيق وسلام ابن مِشْكَمٍ وَحُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ النَّضْرِيُّونَ

---

[١] سورة الأحزاب :آية (٢١:٩).

[٢] أسباب النزول : النيسابورى ٤١٧/١.

[٣] أخرجه البخارى في صحيحه ،ك: مناقب الأنصار، ب: قوله ويؤثرون على أنفسهم ٣٤/٥ ح رقم (٣٧٩٨)، أسباب النزول : ٤١٧/١.

وَهَوْذَةُ بْنُ قَيْسٍ وَأَبُو عَمَّارٍ مِنْ بَنِي وَائِلٍ، وَهُمْ كُلُّهُمْ يَهُودُ، هُمُ الَّذِينَ حَزَّبُوا الْأَحْزَابَ وَأَلَّبُوا وَجَمَعُوا، خَرَجُوا فِي نَفَرٍ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ وَنَفَرٍ مِنْ بَنِي وَائِلٍ فَأَتَوْا مَكَّةَ فَدَعَوْا إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَوَاعَدُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ بِعَوْنِ مَنِ انْتَدَبَ إِلَى ذَلِكَ، فَأَجَابَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ إِلَى ذَلِكَ، ثُمَّ خَرَجَ الْيَهُودُ الْمَذْكُورُونَ إِلَى غَطَفَانَ فَدَعَوْهُمْ إِلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَأَجَابُوهُمْ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ يَقُودُهُمْ أَبُو سُفْيَانُ بْنُ حَرْبٍ، وَخَرَجَتْ غَطَفَانُ وَقَائِدُهُمْ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ الْفَزَارِيُّ عَلَى فَزَارَةَ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ الْمُرِّيُّ عَلَى بَنِي مُرَّةَ، وَمَسْعُودُ بْنُ رُخَيْلَةَ عَلَى أَشْجَعَ. فَلَمَّا سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِاجْتِمَاعِهِمْ وَخُرُوجِهِمْ شَاوَرَ أَصْحَابَهُ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ سَلْمَانُ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ فَرَضِيَ رَ،أى : هُ. وَقَالَ الْمُهَاجِرُونَ يَوْمَئِذٍ: سَلْمَانُ مِنَّا. وَقَالَ الْأَنْصَارُ: سَلْمَانُ مِنَّا! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ). وَكَانَ الْخَنْدَقُ أَوَّلَ مَشْهَدٍ شَهِدَهُ سَلْمَانُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ حُرٌّ. فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا بِفَارِسَ إِذَا حُوصِرْنَا خَنْدَقْنَا، فَعَمِلَ الْمُسْلِمُونَ فِي الْخَنْدَقِ مُجْتَهِدِينَ،وَنَكَصَ الْمُنَافِقُونَ وَجَعَلُوا يَتَسَلَّلُونَ لِوَاذًا .فَنَزَلَتْ فِيهِمُ الأياتُ.[1]

٤- أخرج ابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل من طريق كثير بن عبد الله ابن عمرو المزني عن أبيه عن جده قال خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم المعول فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتي المدينة فكبر وكبر المسلمون ثم ضرب الثانية فصدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها فكبر وكبر المسلمون ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لابيتها فكبر وكبر المسلمون فسئل عن ذلك فقال ضربت

[1] الجامع لأحكام القرآن : القرطبى ١٢٩/١٤.

الأولي فأضاءت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثانية فأضاءت لي قصور الحمر من أرض الروم وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فأضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فقال المنافقون ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا **فنزل القرآن وإن يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض وما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا"**.[١]

٥- قوله تعالى{كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}.[٢]

أخبرنا عمرو بن علي قال حدثنا يحيى قال حدثنا ابن أبي ذئب قال حدثنا سعيد بن أبي سعيد عن عبد الرحمن بن أبي سعيد عن أبيه شغلنا المشركون يوم الخندق عن صلاة الظهر حتى غربت الشمس وذلك قبل أن ينزل في القتال ما نزل الله عز وجل {كَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ} فأمر رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بلالا فأقام لصلاة الظهر فصلاها كما كان يصليها لوقتها، ثم أقام للعصر فصلاها كما كان يصليها في وقتها ثم أذن المغرب فصلاها كما كان يصليها في وقتها.[٣]

ثانياً التفسير:

قوله تعالى {يَاأَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ} الأيات هذه قصة غزوة الخندق أو الأحزاب قصها تبارك وتعالى على المؤمنين في معرض التذكير بنعمه تعالى عليهم ليشكروا بالانقياد والطاعة لله ورسوله وقبول كل ما يشرع لهم لإكمالهم وإسعادهم في الحياتين فقال تعالى {يَاأَيهَا الَّذِينَ آمَنُوا} ،أى:يا من آمنتم بالله

---

[١] **لباب النقول: السيوطى : ١/١٥٦:١٥٧.**

[٢] **سورة الأحزاب :آية (٢٥).**

[٣] **الصحيح المسند من أسباب النزول :مُقْبلُ بنُ هَادِي بنِ مُقْبِلِ بنِ قَائِدَةَ الهَمْدَاني الوادعِيُّ: ١/١٦٤، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة ط: ٤ عام، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.**

ربا وإلهاً وبمحمد نبياً ورسولاً وبالإسلام دينياً وشرعاً {اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ} المتمثلة في دفع أكبر خطر قد حاق بكم وهو اجتماع جيوش عدة على غزوكم في عقر داركم وهم جيوش قريش وأسد وغطفان وبنو قريظة من اليهود ألبهم عليهم وحزّب أحزابهم حيي بن أخطب النضري يريد الانتقام من الرسول والمؤمنين إذ أجلوهم عن المدينة وأخرجوهم منها فالتحقوا بيهود خيبر وتيما، ولما بلغ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبرهم أمر بحفر الخندق تحت سفح جبل سلع غربي المدينة، وذلك بإشارة سلمان الفارسي رضي الله عنه إذ كانت له خبرة حربية علمها من ديار قومه فارس.

وتم حفر الخندق في خلال شهر من الزمن وكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعطي لكل عشرة أنفار أربعين ذراعاً ،أى : عشرين متراً، وما إن فرغوا من حفره حتى نزلت جيوش المشركين وكانوا قرابة اثني عشر ألفاً ولما رأوا الرسول والمسلمين وراء الخندق تحت جبل سلع قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها فتناوشوا بالنبال ورمى عمرو عبد ود القرشي بفرسه في الخندق فقتله علي رضي الله عنه ودام الحصار والمناوشة وكانت ال،أى : ام والليالي باردة والمجاعة ضاربة أطنابها قرابة الشهر. وتفصيل الأحداث للقصة فيما ذكره تعالى فيما يلي:[1]

فقوله تعالى {إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ} هي جنود المشركين من قريش ومن بني أسد وغطفان {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا} لما جاءتكم جنود المشركين وحاصروكم في سفح السلع أرسلنا عليهم ريحاً وهي ريح الصبا المباركة التي قال فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور وهي الريح الغربية. وفعلت بهم الصبا الأفاعيل حيث لم تبق لهم ناراً إلا أطفأتها ولا قدراً على الأثافي إلا أراقته، ولا خيمة ولا فسطاطاً إلا أسقطته وأزالته حتى اضطروا إلى الرحيل وقوله {وَجُنُوداً لَمْ تَرَوْهَا} وهم الملائكة فأصابتهم بالفزع والرعب الأمر الذي أفقدهم كل رشدهم وصوابهم ورجعوا يجرون أذيال الخيبة والحمد لله وقوله تعالى {وَكَانَ اللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيراً}

---

[1] أيسر التفاسير: الجزائرى ٢٤٨/٤، تيسير الكريم الرحمن ٦٥٩/١.

،أى : بكل أعمالكم من حفر الخندق والمشادات والمناورات وما قاله وعمله المنافقون لم يغب عليه تعالى شيء وسيجزيكم به المحسن بالإحسان والمسيء بالإساءة،وقوله تعالى: {إِذْ جَاءُوكُمْ}،أى:المشركون {مِنْ فَوْقِكُمْ} ،أى : من الشرق وهم غطفان بقيادة عيينة بن حصن وأسد {وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ} وهم قريش وكنانة ،أى:من الجنوب الغربي وهذا تحديد لساحة المعركة، وقوله {وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ} ،أى:مالت عن كل شيء فلم تبق تنظر إلا إلى القوات الغازية من شدة الخوف،{وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ}،أى:ارتفعت بارتفاع الرئتين فبلغت منتهى الحلقوم،وقوله{وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَ} المختلفة من نصر وهزيمة وسلامة وعطب، وهذا تصوير للحال أبدع تصوير وهو كما ذكر تعالى حرفيّا. وقوله تعالى {هُنَالِكَ} ،أى : في ذلك المكان والزمان الذي حدق العدو بكم {ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ} ،أى : اختبرهم ربهم ليرى الثابت على ،أى : مانه الذي لا تزعزعه الشدائد والفتن من السريع الانهزام والتحول لضعف عقيدته وقلة عزمه وصبره. وقوله تعالى {وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً} ،أى : أُزعجوا وحرّكوا حراكا شديداً لعوامل قوة العدو وكثرة جنوده،وضعف المؤمنين وقلة عددهم،وعامل المجاعة والحصار، والبرد الشديد وما أظهره المنافقون من تخاذل وما كشفت عنه الحال من نقض بني قريظة عهدهم وانضمامهم إلى الأحزاب وقوله تعالى: {وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}،أى:النفاق لضعف ،أى : مانهم.[1]

{مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ} ،أى : من النصر {إِلَّا غُرُوراً} ،أى : باطلا: وذلك أنهم لما كانوا يحفرون الخندق واستعصت عليهم صخرة فأبت أن تنكسر فدعي لها الرسول صلى لله عليه وسلم فضربها بالمعول ضربة تصدعت لها وبرق منها بريقٌ أضاء الساحة كلها فكبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكبر المسلمون، ثم ضربها ثانية فصدعها وبرقت منها برقة أضاءت ما بين لابتي المدينة فكبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكبير الفتح وكبر المسلمون وضرب ثالثة فكسرها وبرقت لها برقة كسابقتيها وكبر رسول الله صَلَّى اللهُ

[1] أيسر التفاسير: ٢٤٩/٤، صفوة التفاسير: الصابونى ٣٢٩/٣.

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وكبر المسلمون ثم أخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيد سلمان فرقى من الخندق فقال سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله لقد رأى : ت شيئاً ما رأته قط فالتفت رسول الله إلى القوم فقال هل رأى : تم ما رأى سلمان؟ قالوا نعم يا رسول الله فأعلمهم أنه على ضوء ذلك البريق رأى قصور مدائن كسرى كأنياب الكلاب وإن جبريل أخبرني أن أمتي ظاهرة عليها كما رأيت في الضربة الثانية القصور الحمراء من أرض الروم وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ورأيت في الثالثة قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها فأبشروا أبشروا أبشروا فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله موعود صدق. فلما طال الحصار واشتدت الأزمة واستبد الخوف بالرجال قال المنافقون وضعفاء الأيمان {مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً} إذ قال معتب بن قشير يعدنا محمد بفتح فارس والروم وأحدنا لا يقدر أن يتبرز فرقاً وخوفاً ما هذا الوعد إلا وعد غرور!! وقوله {وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ} ،أى :من المنافقين؛ وهو أُويس بن قيظي أحد رؤساء المنافقين {يَا أَهْلَ يَثْرِبَ }،أى:المدينة قبل أن يبطل الرسول هذا الاسم لها ويسميها بالمدينة {لا مُقَامَ لَكُمْ}،أى:في سفح سلع عند الخندق {فَارْجِعُوا} إلى منازلكم داخل المدينة بحجة أنه لا فائدة في البقاء هنا دون قتال، وما قال ذلك إلا فراراً من القتال وهروباً من المواجهة، وقوله تعالى {وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ}،أى:يطلبون الإذن بالعودة إلى منازلهم بالمدينة بدعوى أن بيوتهم عورة،أى:مكشوفة أمام العدو وهم لا يأمنون عليها[1]

وأكذبهم الله تعالى في قولهم فقال {وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَاراً} ،أى : ما يريدون بهذا الاعتذار إلا الفرار من وجه العدو، وقال تعالى فيهم ومن أصدق من الله قيلاً: {وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ} المدينة {مِنْ أَقْطَارِهَا} ،أى:من جميع نواحيها من شرق وغرب وشمال وجنوب،{ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ} ،أى: طلب منهم العدو الغازي الذي حل عليهم المدينة الردة

[1] أيسر التفاسير:١/٢٥٠، صفوة التفاسير: ٣/٢٣٤.

،أى :العودة إلى الشرك {لَآتَوْهَا} أعطوها فوراً {وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرا}،حتى يرتدوا عن الإسلام ويصبحوا كما كانوا مشركين والعياذ بالله من النفاق والمنافقين.[١]

قوله تعالى{ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (١٥) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٦) قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا (١٧) قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا (١٨) أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا (١٩) يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً (٢٠) لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً (٢١)}[٢]

التفسير:

ما زال السياق الكريم في عرض أحداث غزوة الأحزاب فقوله تعالى: {وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللهَ مِنْ قَبْلُ لا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ} ،أى :لقد عاهد أولئك المنافقون الله من قبل غزوة الأحزاب وذلك يوم فروا من غزوة أحد إذ كانت قبل غزوة الأحزاب بقرابة السنتين فقالوا والله لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن ولا نوليّ الأدبار، فذكرهم الله بعهدهم الذي قطعوه على أنفسهم ثم نكثوه، {وَكَانَ عَهْدُ اللهِ مَسْؤُولاً } ،أى : يسأل عنه صاحبه ويؤاخذ به. وقوله تعالى: {قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ} ،أى:قل لهم يا رسولنا إنه لن ينفعكم الفرار ،أى : الهروب من الموت أو القتل لأن الآجال محددة ومن لم يمت بالسيف مات بغيره فلا معنى للفرار من القتال إذا وجب وقوله {وَإِذاً لا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلاً} ،أى : وإذا فررتم من القتال فإنكم لا تمتعون بالحياة إلا

---

[١] **أيسر التفاسير ٢٥١/٤، تيسير الكريم الرحمن : السعدى : ٦٦٠/١.**

[٢] سورة الحشر (١٥:٢١).

قليلا من الزمن ثم تموتون عند نهاية أعماركم وهي فترة قليلة، فالفرار لا يطيل أعماركم والقتال لا ينقصها، وقوله تعالى {قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً} ،أى:قل لهم يا رسولنا تبكيتاً لهم وتأنيباً وتعليما ،أيضا: من ذا الذي يعصمكم ،أى:يجيركم ويحفظكم من الله {إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءاً} ،أى:ما يسوءكم من بلاء وقتل ونحوه {أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً} ،أى : سلامة وخيراً فليس هناك من يحول دون وصول ذلك إليكم لأن الله تعالى يجير ولا يجار عليه،[1] وقوله تعالى {وَلا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً (١) } ،أى:ولا يجد المخالفون لأمر الله العصاة له ولرسوله من دون الله ولياً يتولاهم فيدفع عنهم ما أراد الله بهم من سوء، ولا نصيراً ينصرهم إذا أراد الله إذلالهم وخذلانهم لسوء أفعالهم، وقوله تعالى في الأية (١٨) في هذا السياق {قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ} أخبرهم تعالى بأنه قد علم المعوقين ،أى : المثبطين عن القتال والمخذلين بما يقولونه سراً في صفوف المؤمنين كالطابور الخامس في الحروب وهم أناس يذكرون في الخفاء عظمة العدو وقوته ويرهبون منه ويخذلون عن قتاله. وقوله {وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا} ،أى : تعالوا إلينا إلى المدينة واتركوا محمداً وأصحابه يموتون وحدهم فإنهم لا يزيدون عن أكلة جزور، وقوله {وَلا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً} ،أى : لا يشهد القتال ويحضره أولئك المنافقون المثبطون والذين قالوا إن بيوتنا عورة إلا قليلاً إذ يتخلفون في أكثر الغزوات وإن حضروا مرة قتالاً فإنما هم يدفعون به معرة التخلف ودفعا لتهمة النفاق التي لصقت بهم.

وقوله تعالى {أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ} وصفهم بالبخل بعد وصفهم بالجبن وهما شر صفات المرء الجبن والبخل أشحة عليكم ،أى : بخلاء لا ينفقون معكم ولا على الجهاد ولا على الفقراء والمحتاجين وقوله تعالى {فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ} ،أى : بسبب هجوم العدو {رَأَيْتَهُمْ} ،أيها الرسول {يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ} لائذين بك {تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ} من الخوف {كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ} وهو المحتضر يغمى عليه لما يعاني من سكرات الموت وهذا تصوير هائل لمدى

[1] أيسر التفاسير :الجزائرى ٤/٢٥٤.

ما عليه المنافقون من الجبن والخوف وعلة هذا هو الكفر وعدم الأيمان بالقدر والبعث والجزاء.

وقوله {فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ} ،أي:راحت أسبابه بانتهاء الحرب {سَلَقُوكُمْ بِأَلْسِنَةٍ} ،أى : سلقكم أولئك الجبناء عند اللقاء ،أى :ضربوكم بألسنة ذربة حادة كالحديد بالمطالبة بالغنيمة أو بالتبجح الكاذب بأنهم فعلوا وفعلوا. وهذا حالهم إلى اليوم .

وقوله {أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ} ،أى : بخلاء على مشاريع الخير وما ينفق في سبيل الله فلا ينفقون لأنهم لا يؤمنون بالخلف ولا بالثواب والأجر وذلك لكفرهم بالله ولقائه. ولذا قال تعالى {أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواً } فسجل عليهم وصف الكفر ورتب عليه نتائجه وقوله {فَأَحْبَطَ اللهُ أَعْمَالَهُمْ} ،أى:أبطلها فلا يثابون عليها لأنها أعمال مشرك وأعمال المشرك باطلة، وقوله {وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرا}،أى:إبطال أعمالهم وتخييبهم فيها وحرمانهم من جزائها يسير على الله ليس بالعسير. ولذ هو واقع كما أخبر تعالى.[1]

ما زال السياق في سرد أحداث غزوة الأحزاب فقوله تعالى {يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا} ،أى : يحسب أولئك المنافقون الجبناء الذين قالوا إن بيوتنا عورة وقالوا لإخوانهم هلم إلينا ،أى :اتركوا محمداً في الواجهة وحده إنهم لجبنهم ظنوا أن الأحزاب لم يعودوا إلى بلادهم مع أنهم قد رحلوا وهذا منتهى الجبن والخوف وقوله تعالى {وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ} ،أى:مرة أخرى على فرض وتقدير {يَوَدُّوا} يومئذ {لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ} ،أى : خارج المدينة لشدة خوفهم من الأحزاب الغزاة، وقوله تعالى {يَسْأَلونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ } ،أى : أخباركم هل ظفر بكم الأحزاب أو لا، {وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ} ،أى : بينكم ولم يكونوا في البادية {مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلاً} وذلك لجبنهم وعدم ،أى : مانهم بفائدة القتال لكفرهم بلقاء الله تعالى وما عنده من ثواب وعقاب هذا ما تضمنته الآية الأولى (٢٠)

---

[1] أيسر التفاسير: ٢٥٥/٤، مدارك التنزيل النسفى ٣٣٨/٢.

وقوله تعالى في الآية الثانية{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً} ،أى:لقد كان لكم،أيها المسلمون ،أى:من مؤمنين صادقين ومنافقين كاذبين في رسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أسوة حسنة،أى:قدوة صالحة فاقتدوا به في جهاده وصبره وثباته، فقد جاع حتى شد بطنه بعصابة وقاتل حتى شج وجهه وكسرت رباعيته ومات عمه وحفر الخندق بيديه وثبت في سفح سلع أمام العدو قرابة شهر فأتسوا به في الصبر والجهاد والثبات إن كنتم ترجون الله ،أى:تنظرون ما عنده من خير في مستقبل،أيامكم في الدنيا والآخرة وترجون اليوم الآخر،أي:ترتقبونه وما فيه من سعادة وشقاء، ونعيم مقيم أو جحيم وعذاب أليم. وتذكرون الله تعالى كثيرا في كل حالاتكم وأوقاتكم، فاقتدوا بنبيكم فإن الاقتداء به واجب لا يسقط إلا عن عجز.[1]

- **موقف المؤمنين :**

ثم تحدثت السورة عن موقف المؤمنين فى غزوة الأحزاب فى قوله تعالى{ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا أيمَانًا وَتَسْلِيمًا (٢٢) مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (٢٣) لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٢٤)}[2]

التفسير:

قوله تعالى{وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ}،أى:لما رأى المؤمنون الصادقون جيوش الأحزاب وقد أحاطب بهم {قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللهُ وَرَسُولُهُ} بخلاف ما قاله المنافقون حيث قالوا {مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً} وقوله {وَمَا زَادَهُمْ}،أى :رؤيتهم للأحزاب على كثرتهم {إِلَّا أيمَاناً} بصادق وعد الله {وَتَسْلِيماً} لقضائه وحكمه،وهذا ثناء عطر على المؤمنين الصادقين من ربهم عز وجل. وقوله تعالى {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا

[1] أيسر التفاسير: ٢٥٦/١:٢٥٨، مدارك التنزيل : النسفى ٣٣٦/٢

[2] سورة الأحزاب :آية (٢١:٢٤).

مَا عَاهَدُوا اللهَ عَلَيْهِ} هذا ثناء آخر على بعض المؤمنين الذين لما تخلفوا عن بدر فتأسفوا ولما حصل انهزام لهم في أحد عاهدوا الله لئن أشهدهم الله قتالا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليقاتلن حتى الاستشهاد فأخبر تعالى عنهم بقوله فمنهم من قضى نحبه ،أى :وفى بنذره فقاتل حتى استشهد ومنهم من ينتظر القتل في سبيل الله، وقوله تعالى {وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً } أدنى تبديل في موقفهم فثبتوا على عهدهم بخلاف المعوقين من المنافقين فإنهم بدلوا وغيروا ما عاهدوا الله عليه وقوله تعالى {لِيَجْزِيَ اللهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ} ،أى:أجرى تعالى تلك الأحداث فكانت كما قدرها في كتاب المقادير،ليجزي الصادقين بصدقهم فيكرمهم وينعمهم في جواره ويعذب المنافقين بناره إن شاء ذلك فيميتهم قبل توبتهم، أو يتوب عليهم فيؤمنوا ويوحدوا ويدخلوا الجنة مع المؤمنين الصادقين وهو معنى قوله {وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِنْ شَاءَ} ذلك لهم قضاء وقدراً أو يتوب عليهم فيتوبوا فلا يعذبوا، وقوله {إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً} إخبار منه تعالى عن نفسه بأنه كان ذا ستر على ذنوب التائبين من عباده رحيما بهم فلا يعاقبهم بعد توبتهم.[١]

- **نصر الله المبتلى في الغزوة**

ورد نصرهم في قوله تعالى{وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥)}

وهم قريش وكنانة وأسد وغطفان ردهم بغيظهم،،أى:بكربهم وغمهم حيث لم يظفروا بالرسول والمؤمنين ولم يحققوا شيئاً مما أمّلوا تحقيقه، وكفى الله المؤمنين القتال حيث سلط على الأحزاب الريح والملائكة فانهزموا وفروا عائدين إلى ديارهم لم ينالوا خيراً،وكان الله قوياً على ،أى:جاد ما يريد،أى:جاده عزيزاً ،أى:غالباً على أمره لا يمتنع منه شيء أراده.[٢]

ثالثاً: الأحاديث الواردة في الغزوة

---

[١] أيسر التفاسير ٤/٢٥٨، بحر العلوم :السمرقندى ٣/٤٣١.

[٢] أيسر التفاسير:٤/٢٥٩، معالم التنزيل : البغوى ٥/٦٦.

ورد في السنة النبوية العطرة ذكر عدد من الأحاديث التى تكلمت عن أحداث غزوة الأحزاب وهى :

١- حَدَّثَنَا جَرِيرٌ، عَنِ الْأَعْمَشِ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَ،أى : تُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَ،أى : تُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «قُمْ يَا نَوْمَانُ».[١]

[١] أخرجه مسلم فى صحيحه –ك: الجهاد والسير–ب: غزوة الأحزاب ١٤١٤/٢ ح رقم (١٧٨٨).

٢- عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يَقُولُ: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الأَحْزَابِ عَلَى المُشْرِكِينَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ،سَرِيعَ الحِسَابِ،اللَّهُمَّ اهْزِمِ الأَحْزَابَ،اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ».[١]

٣- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ:«لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، أَعَزَّ جُنْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَغَلَبَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، فَلاَ شَيْءَ بَعْدَهُ».[٢]

٤- عَنْ سَهْلٍ، قَالَ: جَاءَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَحْفِرُ الخَنْدَقَ، وَنَنْقُلُ التُّرَابَ عَلَى أَكْتَادِنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ لاَ عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَهْ،فَاغْفِرْ لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ».[٣]

٥- حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ،عَنْ حُمَيْدٍ،سَمِعْتُ أَنَسًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الخَنْدَقِ،فَإِذَا المُهَاجِرُونَ، وَالأَنْصَارُ يَحْفِرُونَ فِي غَدَاةٍ بَارِدَةٍ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَبِيدٌ يَعْمَلُونَ ذَلِكَ لَهُمْ، فَلَمَّا [ص:١٠٨]رَأَى مَا بِهِمْ مِنَ النَّصَبِ وَالجُوعِ، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَهْ، فَاغْفِرْ لِلْأَنْصَارِ وَالمُهَاجِرَهْ» فَقَالُوا مُجِيبِينَ لَهُ: نحن الَّذِينَ بَايعُوا مُحَمَّدَا ... عَلَى الجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدَا.[٤]

٦- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الخَنْدَقِ،وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: " قَدْ

---

[١] أخرجه البخارى فى صحيحه- ك: الجهاد والسير ،ب: الدعاء على المشركين بالهزيمة والزلزلة ٤٤/٤ح رقم (٢٩٣٣).

[٢] أخرجه البخارى فى صحيحه- ك: المغازى ، ب: غزوة الخندق وهى الأحزاب ١١١/٥ ح رقم (٤١١٤).

[٣] أخرجه البخارى فى صحيحه- ك: مناقب الأنصار،ب :دعاء النبى (ص) أصلح الأنصار والمهاجرين ٣٤/٥ ح رقم (٣٧٩٧).

[٤] أخرجه البخارى فى صحيحه- ك: المغازى ، ب: غزوة الخندق وهى الأحزاب ١٠٧/٥ ح رقم (٤٠٩٩).

وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ: فَإِلَى ،أينَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ".[١]

الدروس المستفادة من الغزوة :

تمثلت الدروس والعبر المستفادة من الغزوة في عدة نقاط وهى كالتالي:

أولاً: المعجزات الحسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم:

ظهرت خلال مرحلة حفر الخندق معجزات حسية للنبي صلى الله عليه وسلم، منها تكثير الطعام الذي أعده جابر بن عبد الله، فعن جابر بن عبد الله-رضي الله عنه- قال:إنا يوم الخندق مُحفِّر[٢]،فعرضت كدية شديدة، فجاءوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: هذه كدية عرضت في الخندق، فقال: «أنا نازل» ثم قام وبطنه معصوب بحجر، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقًا، فأخذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول، فضرب في الكدية فعاد كثيبًا أهيل[٣]،أو أهيم[٤]،قال جابر: فقلت: يا رسول الله، ائذن لي إلى البيت، فقلت لامرأتي: رأيت بالنبي صلى الله عليه وسلم شيئًا ما كان في ذلك صبر، فعندك شيء؟ فقالت: عندي شعير وعناق[٥]، فذبحت العناق، وطحنت الشعير، حتى جعلنا اللحم بالبرمة[٦]، ثم جئت النبي صلى الله عليه وسلم والعجين قد انكسر والبرمة بين الأثافي[٧]،قد كادت أن تنضج، فقلت: طُعَيمٌ لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان،قال: «كم هو؟» فذكرت له، فقال «كثير طيب» ، قال: قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي. فقال: «قوموا»، فقام المهاجرون والأنصار، فلما دخل على

---

[١] **أخرجه البخارى فى صحيحه،ك: المغازى ب: مرجع النبى "ص" من الاحزاب ومخرجه الى بنى قريظة ومحاصرته إياهم ١١١/٥ ح رقم (٤١١٧).**

[٢] محفر: اسم فاعل من حفَّر.

[٣] أهيل: رملاً سائلاً. انظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٢٨٩).

[٤] أهيم: الرمل الذي لا يتمالك، انظر: لسان العرب (٣/ ٨٥٨).

[٥] العناق: الأنثى من أولاد الماعز، انظر: النهاية في غريب الحديث (٣/ ٣١٠).

[٦] البرمة: هي القدر مطلقًا، انظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ١٢١).

[٧] الأثافي: الحجارة التي تنصب ويجعل القدر عليها، انظر: القاموس المحيط (٣/ ١٢٠)

امرأته قال: ويحكِ جاء النبي صلى الله عليه وسلم بالمهاجرين والأنصار ومن معهم، قالت: هل سألك؟ قلت: نعم، فقال «ادخلوا ولا تضاغطوا»[١] فجعل يكثر الخبز ويجعل عليه اللحم ويخمر البرمة والتنور إذا أخذ منه، ويقرب إلى أصحابه، ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرف حتى شبعوا وبقي بقية، قال: «كلي هذا وأهدي فإن الناس أصابتهم مجاعة».[٢]

ثالثًا: سلمان منا أهل البيت[٣]:

قال المهاجرون يوم الخندق: سلمان منا، وقالت الأنصار: سلمان منا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سلمان منا أهل البيت [٤]، وهذا الوسام النبوي الخالد لسلمان يشعر بأن سلمان من المهاجرين؛ لأن أهل البيت من المهاجرين .[٥]

رابعًا: الصلاة الوسطى:

قال صلى الله عليه وسلم: «ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارًا، كما شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس»،على كون الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، كما هو منصوص عليه.[٦]

خامساً: شجاعة صفية عمة الرسول صلى الله عليه وسلم:

كان صلى الله عليه وسلم قد وضع النساء والأطفال في حصن فارع وهو حصن قوي، حماية لهم؛ لأن المسلمين في شغل عن حمايتهم لمواجهتهم جيوش الأحزاب، فعندما نقض يهود بني قريظة عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلت يهوديًا ليستطلع وضع الحصن الذي فيه نساء المسلمين وأطفالهم، فأبصرته صفية بنت عبد

---

[١] ولا تضاغطوا: أي لا تزاحموا. انظر: لسان العرب (٢/ ٥٣٧).

[٢] البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة الخندق (٥/ ٥٥) رقم ٤١٠١.

[٣] السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٤٧).

[٤] المصدر نفسه (٣/ ٢٤٧) ضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير.

[٥] التاريخ الإسلامي للحميدي (٦/ ١٠٨).

[٦] الأساس في السنة (٢/ ٦٨٢).

المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت عمودًا ونزلت من الحصن فضربته بالعمود فقتلته،فكان هذا الفعل من صفية رادعًا لليهود من التحرش بهذا الحصن الذي ليس فيه إلا النساء والأطفال، حيث ظنت يهود بني قريظة أنه محمي من قبل الجيش الإسلامي،أو أن فيه على الأقل من يدافع عنه من الرجال[١] ففي هذا الخبر دليل للمرأة في الدفاع عن نفسها إن لم تجد من يدافع عنها.[٢]

سادساً: أول مستشفى إسلامي حربي:

أنشأ المسلمون أول مستشفى إسلامي حربي في غزوة الأحزاب، فقد ضرب الرسول صلوات الله وسلامه عليه خيمة في مسجده الشريف في المدينة، عندما دارت رحى غزوة الأحزاب، فأمر صلى الله عليه وسلم أن تكون رفيدة الأسلمية الأنصارية رئيسة ذلك المستشفى النبوي الحربي، وبذلك أصبحت أول ممرضة عسكرية في الإسلام[٣]، وجاء في السيرة النبوية لابن هشام: ... وكان صلى الله عليه وسلم قد جعل سعد بن معاذ في خيمة لامرأة من أسلم، يقال لها رفيدة، في مسجده، كانت تداوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من به ضيعة من المسلمين، وكان صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصاب سعد بن معاذ السهم بالخندق: «اجعلوه في خيمة رفيدة، حتى أعوده من قريب».[٤]

سابعاً: توزيع غنائم بني قريظة وإسلام ريحانة بنت عمرو:

جمع صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنائم التي خلفها بنو قريظة، فكانت من السيوف ألفًا وخمسمائة سيف، ومن الرماح ألفي رمح، ومن الدروع ثلاثمائة درع، ومن التروس ألفًا وخمسمائة ترس وجحفة، كما تركوا عددًا كبيرًا من الشياه والإبل وأثاثًا كثيرًا وآنية كثيرة، ووجد المسلمون دنانًا من الخمر، فوزعت الغنائم وهي الأموال

---

[١] الرحيق المختوم، ص٢٨٣، ٢٨٤.

[٢] المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة (٢/ ٢٤٦).

[٣] المستشفيات الإسلامية، الدكتور عبد الله السعيد، ص٤٣.

[٤] السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٦٣).

المنقولة كالسلاح والأثاث وغيرها بين المحاربين من أنصار ومهاجرين ممن شهدوا الغزوة، فأعطي أربعة أخماس الغنائم لهم، إذ جعل للفرس سهمين، وللراجل سهمًا، فالفارس يأخذ ثلاثة أسهم له ولفرسه، وغير الفارس يأخذ سهمًا واحدًا له، والخمس المتبقي هو سهم الله ورسوله المقرر في كتابه تعالى[١]، وقد أسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم لسويد بن خلاد الذي قتلته المرأة اليهودية بالرحى، وأعطى سهمه لورثته[٢]،ولصحابي آخر مات أثناء حصار بني قريظة[٣] ،كما رضخ رسول الله صلى الله عليه وسلم للنساء اللواتي حضرن ولم يسهم لهن، منهن: صفية بنت عبد المطلب، وأم عمارة، وأم سليط، وأم العلاء، والسميراء بنت قيس، وأم سعد بن معاذ[٤]،وأما الأموال غير المنقولة كالأراضي والديار فقد أعطاها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمهاجرين دون الأنصار،وأمر المهاجرين أن يردوا إلى الأنصار ما أخذوه منهم من نخيل وأرض،وكانت على سبيل العارية، ينتفعون بثمارها[٥]،قال تعالى عن تلك الأراضي والديار: (وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَؤُوهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا)[٦].

عنوة. **ويرجع فشل الأحزاب إلى عدة أمور:**

١-خط المسلمين فى الدفاع عن المدينة كانت تختلف تماما عن خطتهم فى معركة أحد. ففى أحد كانوا مهاجمين لمن هاجمهم خارج المدينة بينما فى غزوة الأحزاب التزموا بالدفاع ولزموا المدينة وتحصنوا فيها، ووقف مقاتلوهم وراء

---

[١] الصراع مع اليهود (٢/ ٩٦، ٩٧).
[٢] المصدر نفسه (٢/ ٩٧).
[٣] اليهود في السنة المطهرة (١/ ٣٧٥).
[٤] اليهود في السنة المطهرة (١/ ٣٧٥).
[٥] السيرة النبوية وقائع وأحداث ٦٢٥/١، الصراع مع اليهود (٢/ ٩٨).
[٦] سورة الأحزاب:آية [٢٧].

الخندق يمنعون الأحزاب من اقتحامه عليهم. وكان حفر الخندق فى حد ذاته من عوامل فشل الأحزاب. وكان هذا عملا جديدا على العرب أشار به سلمان الفارسى، ونفذه الرسول، وقسم الحفر بين القبائل وشاركهم فيه، وتم حفره فى شمال المدينة "لأن الجهات الأخرى كانت محصنة بالجبال والنخيل والبيوت.

٢-حاول الرسول تفريق كلمة الأحزاب، فأرسل من يفاوض غطفان ويطلب منهم الانسحاب على أن يعطيهم ثلث ثمار نخيل المدينة [١] .

٣-تمكن النبى أيضاً من القضاء على التحالف الذى تم بين يهود المدينة من بنى قريظة وبين قريش وبقية الأحزاب

لكن دبلوماسية الرسول ومهارته السياسية تغلبت على هذا الموقف العصيب، وكان نعيم بن مسعود الغطفانى قد انسل من بين صفوف الأحزاب وأسلم خفية، ولجأ إلى النبى وعرض عليه تقديم المساعدة، فقال له النبى "خذ عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة" وكان هذا الرجل يمتاز بالدهاء والمكر. فذهب إلى أصدقائه من بنى قريظة وأشار عليهم بألا يحاربوا مع قريش إلا بعد أن يأخذوا رهائن منها حتى لا تعود وتتركهم للمسلمين يفتكون بهم، ثم ذهب إلى قريش وإلى غطفان وأخبرهم بأن بنى قريظة قد تخلوا عن نصرتهم وأنهم سيطلبون رهائن منهم لن يحتفظوا بهم وإنما سوف يقدمونهم لمحمد ليقتلهم نظير عودة بنى النضير إلى المدينة، وحذرهم من إعطاء هؤلاء الرهائن. ولما حدث الاتصال بين الطرفين وطالب بنو قريظة بالرهائن حتى لا تتركهم قريش لمحمد

---

(١) ابن الاثير: الكامل ج٢ ، ص ١٢٥.

ينال منهم، تبين لقريش وغطفان صحة ما قاله نعيم، فوقع الشك فى قلوب الفريقين وتفرق جمعهم.

٤-كما كان لمهارة الرسول فى حث المسلمين وتشجيعهم على الصمود بيد أنه قد تزعزعت ثقة البعض وخاصة من المنافقين.

لكن الرسول استطاع أن يضرب لهم المثل فى الصمود، وشاركهم سواء فى حفر الخندق أو فى عبء الدفاع عن المدينة، فثبت المسلمون حتى من الله عليهم بالنصر".

٥-وكانت العوامل الطبيعية خير شاهد على عون الله لرسوله، إذ سير ريحا صرصرا عاتية على الأحزاب فى ليال شديدة البرد، اقتلعت خيامهم وحطمت قدورهم وأوانيهم، ودهمهم وابل من مطر غزير أضاف إلى معاناتهم، خاصة وأن الحصار قد طال دون نتيجة حاسمة. فقررت قريش الانسحاب والعودة إلى مكة، وتبعتها غطفان وبقية الأحزاب.

الدروس والعبر من غزوة الأحزاب:

١- التضحية والفدائية فى الجهاد واجبة ولا سيما إذا كلف القائد بعض جنوده بالتضحية كما فعل على بن أبى طالب رضى الله عنه.

٢- الصبر من شروط النصر.

٣- ضرورة كتمان الأخبار السيئة عن العامة فى المواقف الحرجة.

٤- ملة الكفر واحدة تجمعها العدواة للإسلام والمسلمين وتفرقها المصالح الشخصية.

٥- إستعارة ما يحتاجة المسلمون للقتال من حلفائهم غير المسلمين جائز حيث استعار الرسولﷺ أدوات الحفر من بنى قريظة.

٦- مشاركة القائد لرعيته فى العمل يزيد من معنوياتهم ويهون عليهم التضحية.

٧- لا يجوز إكراه ضعفاء الإيمان على الجهاد فوجودهم فى القتال ضرر.

٨- الحيلة والخداع من فرض قد يعمل عمل جيش بأكملة فعمل نعيم بن مسعود فى هذه الغزوة يعادل عمل جيش كبير حينما دب الخلاف بين يهود وقريش وحلفائها.

٩- وجوب الاعتقاد بان النصر من عند الله.

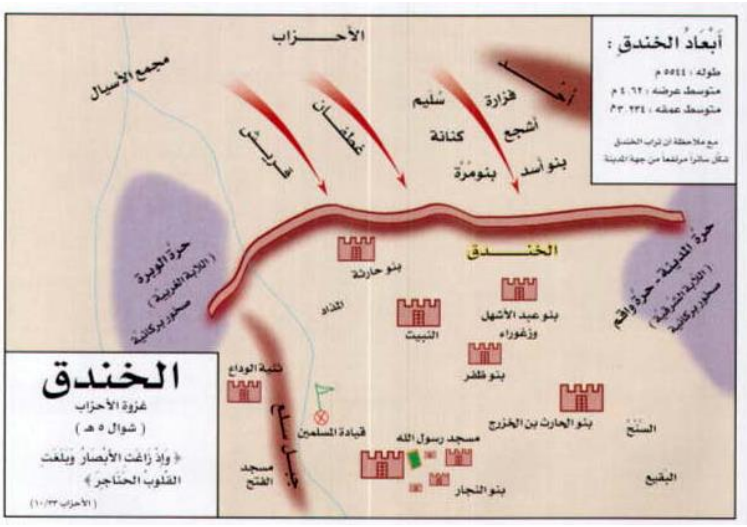

خريطة توضح غزوة أحد (١)

مواجهة اليهود في المدينة

لم يقدر اليهود ما أعطاهم الرسول (ص) من حرية وما أظهره لهم من تسامح في عهده معهم ، فسائهم الا ينجحوا في استقطابه ، وأن تزداد شوكته

(١) شوقى أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامى ، ص٣٣ .

وتتسع دعوته فأعلنوا عليه حرب اللسان والجدل بهدف زعزعة القلوب وبلبلة العقول .

بنو قريظة :

كان السبب في محاربة بنو قريظة و إخراجهم من المدينة أنهم أنقضوا العهد الذ يكان بينهم وبين الرسول (ص) بانضمامهم الي الأحزاب من قريش ويهود بني النضير وغطفان وغيرهم في حربهم للمسلمين أثناء غزوة الخندق .

ولكن الله ايد المسلمين في حربهم وانتصروا علي الأحزاب فاتجه الرسول (ص) الي تطهير المدينة من بقية الغدر والخيانة [١] .

ولم يكن ينصرف الأحزاب عن المدينة حتي أذن مؤذن رسول الله (ص) في الناس ((من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلين العصر الا في بني قريظة)) [٢] ، فسار المسلمون من فورهم الي حصون بنو قريظة في المدينة ، وحاصروهم [٣] حتي اجهدهم الحصار ، وقذف الله في قلوبهم الرعب [٤] فلما أيقنوا بالهلاك نزلوا علي حكم المسلمين ، وسمح لهم الرسول أن يختاروا من يشاؤون من المسلمين ليحكم منهم فاختاروا سعد بن معاذ زعيم الأوس وكان بنو قريظة خلفاء الأوس ، ولكن سعداً آثر دينه ونطق بحكم الله ، فحكم بأن تقتل الرجال وتقسم أموالهم وتسبي ذرارهم ونساؤهم [٥] فقال له الرسول (ص) ((أحييت حكم الله فيهم)) [٦] .

---

(١) ابن كثير : الداية ج٤ ، ص٧٦ ، عبدالرحمن سالم ، الرسول ص ١٦٩.
(٢) ابن هشام : السيرة ، ج٣، ص٢٥٢.
(٣) الواقدي : المغازي ، ج٢ ، ص ٤٩٦.
(٤) ابن هشام : السيرة ج٣،ص٢٥٤.
(٥) ابن هشام : السيرة ج٣،ص٢٥٨ ، عبدالرحمن سالم : الرسول ص ١٧١.
(٦) ابن كثير : البداية ج٤ ،ص ١٢٤.

حديث القرآن الكريم والسنة النبوية

عن "غزوة بنى قريظة "

وقعت في **السنة الخامسة للهجرة عقب غزوة الأحزاب**، وذلك أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم-بعد أن رأى ما انطوت عليه نفوس يهود بني قريظة من اللؤم والغدر والتحزب مع قريش وحلفائها،وبعد أن أعلنت له إبان اشتداد معركة الأحزاب أنها نقضت عهدها معه،وكانت وهي تساكن الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة تهم،بشر عظيم قد يقضي على المسلمين جميعا لولا انتهاء معركة الأحزاب بمثل ما انتهت إليه،رأى رسول الله-صلى الله عليه وسلم-أن يؤدب هؤلاء الخائنين الغادرين،ويطهر منهم المدينة مقر جهاده ودعوته حتى لا تواتيهم الظروف مرة أخرى،فينقضوا على جيرانهم المسلمين ويبيدوهم كما هي طبيعة الغدر اليهودي اللئيم وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رجع يوم الخندق ووضع السلاح واغتسل،أتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار فقال: وضعتَ السلاح، فوالله ما وضعتُه. قال: فأين؟ قال: ههنا، وأومأ إلى بني قريظة، قالت: فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم من ينادي في الناس بأن لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، ثم خرج فيهم وقد حمل رايته علي رضي الله عنه، وقد اجتمع من المسلمين ثلاثة آلاف،ومن الخيل ست وثلاثون،فلما دنا علي من حصن بني قريظة،سمع منهم مقالة قبيحة في حقه صلى الله عليه وسلم وحق أزواجه، فأخبر النبي-صلى الله عليه وسلم-بذلك،وطلب إليه ألا يدنو من أولئك الأخباث،فأجابه عليه السلام بأنهم إذا رأوه لم يقولوا من ذلك شيئا لما يعلم من أخلاقهم في النفاق والملق، فلما رأوه تلطفوا به كما تنبأ-صلى الله عليه وسلم-،ثم أخذ المسلمون في حصارهم خمسا وعشرين ليلة، فلما ضاق بهم الأمر نزلوا على حكم رسول الله-صلى الله عليه وسلم-،فحكم فيهم سعد بن معاذ سيد الأوس،وكان بنو قريظة حلفاء الأوس،فحكم سعد بأن تقتل،مقاتلتهم،وأن تسبى ذراريهم،وأن تقسم أموالهم،فنفذ الرسول حكمه،وبذلك قضى على مؤامرات اليهود ودسائسهم وتآمرهم

على رسول الله-صلى الله عليه وسلم-ودعوته قضاء مبرما في المدينة وما حولها،وفي هذه الغزوة نزلت آيات من القرآن الكريم تبين غدر اليهود،ونقضهم للعهود،وتخذيلهم لصفوف المسلمين[١].

قوله تعالى:{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا(١٢)وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا(١٣)وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا(١٤)وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا(١٥)قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا(١٦)}[٢]

أولاً: سبب النزول:

أخرج البيهقى في الدلائل من طريق كثير بن عبد الله ابن عمرو المزني عن أبيه عن جده قال خط رسول الله-صلى الله عليه وسلم-الخندق عام الأحزاب،فأخرج الله من بطن الخندق صخرة بيضاء مدورة فأخذ رسول الله-صلى الله عليه وسلم-المعول فضربها ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا- يَعْنِي لَابَتَيِ الْمَدِينَةِ فكبر وكبر المسلمون ثم ضرب الثانية فصدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها فكبر وكبر المسلمون ثم ضربها الثالثة فكسرها وبرق منها برق أضاء ما بين لا بيتها فكبر وكبر المسلمون فسئل عن ذلك فقال ضربت الأولي فأضاءت لي قصور الحيرة ومدائن كسرى وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثانية فأضاءت لي قصور الحمر من أرض الروم وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها ثم ضربت الثالثة فأضاءت لي قصور صنعاء وأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها،فقال المنافقون ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح

---

[١] السيرة النبوية دروس وعبر: السباعى ١/٩٠:٩٢، الفصول فى السيرة :ابن كثير ١/١٧١، المقتفى من سيرة المصطفى ١/١٦٠:١٦١.

[٢] **سورة الأحزاب :آية (١٣:١٦).**

لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون أن تبرزوا فنزل القرآن وإن يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض وما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا".[١]

ثانياً: التفسير:

قوله{وَإِذْ يَقُولُ المنافقون والذين فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ}،أي:واذكر حين يقول المنافقون، والذين في قلوبهم مرض النفاق،لأن الإيمان لم يخالط قلوبهم {مَّا وَعَدَنَا الله وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً}،أي:وما وعدنا الله ورسوله إلا باطلاً وخداعاً، قال الصاوي: والقائل هو «متعب بن قشير»الذي قال: عندا محمدٌ بفتح فارس والروم،وأحدُنا لا يقدر أن يتبرز فرقاً،ما هذا إلا وعد غرور يغرنا به محمد {وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ}،أي:واذكر حين قالت جماعة من المنافقين وهم: أوس بن قيظي وأتباعه، وأُبيُّ بن سلول وأشياعه {ياأهل يَثْرِبَ لاَ مُقَامَ لَكُمْ} أي يا أهل المدينة لا قرار لكم ههنا ولا إقامة {فارجعوا} أي فارجعوا إلى منازلكم واتركوا محمداً وأصحابه {وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النبي} ويستأذن جماعة من المنافقين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم ِ في الإنصراف متعللين بعلل واهية {يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ} أي غير حصينة فنخاف عليها العدوَّ والسُّرّاق {وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ} تكذيب من الله تعالى لهم أي ليس الأمر كما يزعمون {إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً} أي ما يريدون بما طلبوا من الرسول صلى الله عليهوسلم إلا الهرب من القتال، والفرار من الجهاد، والتعبيرُ بالمضارع {وَيَسْتَأْذِنُ} لاستحضار الصورة في النفس، فكأن السامع يبصرهم الآن وهم يستأذنون، ثم فضحهم تعالى وبيَّن كذبهم ونفاقهم فقال: {وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِّنْ أَقْطَارِهَا} أي ولو دخل الأعداء على هؤلاء المنافقين من جميع نواحي المدينة وجوانبها {ثُمَّ سُئِلُواْ الفتنة لآتَوْهَا} أي ثم طلب إليهم أن يكفروا وأن يقاتلوا المسلمين لأعطوها من أنفسهم {وَمَا تَلَبَّثُواْ بِهَآ إِلاَّ يَسِيراً} أي لفعلوا ذلك مسرعين، ولم يتأخروا عنه لشدة فسادهم، وذهاب الحق من نفوسهم، فهم لا يحافظون على الإيمان ولا يستمسكون به مع أدنى خوف وفزع، وهذا ذمٌ لهم في غاية الذم {وَلَقَدْ كَانُواْ عَاهَدُواْ الله مِن قَبْلُ لاَ

---

[١] لباب النقول فى أسباب النزول : السيوطى ١/١٥٦:١٥٧، الدلائل النبوية :البيهقى ٣/٤١٩.

يُوَلُّونَ الأدبار} أي ولقد كان هؤلاء المنافقون أعطوا ربهم العهود والمواثيق من قبل غزوة الخندق وبعد بدر ألاَّ يفروا من القتال {وَكَانَ عَهْدُ الله مَسْئُولاً} أي وكان هذا العهد منهم جديراً بالوفاء لأنهم سيسألون عنه، وفيه تهديدٌ ووعيد، قال قتادة: لما غاب المنافقون عن بدر، ورأوا ما أعطى الله أهل بدرٍ من الكرامة والنصر، قالوا لئن أشهدنا الله قتالاً لنقاتلن {قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الفرار إِن فَرَرْتُمْ مِّنَ الموت أَوِ القتل}،أي:قل يا أيها النبي لهؤلاء المنافقين، الذين يفرون من القتال طمعاً في البقاء وحرصاً على الحياة،إن فراركم لن يطوّل أعماركم ولن يؤخر آجالكم،ولن يدفع الموت عنكم أبداً {وَإِذاً لاَّ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً}،أي:ولئن هربتم وفررتم فإذاً لا تمتعون بعدة إلا زمناً يسيراً،لأن الموت مآل كل حي،ومن لم يمت بالسيف مات بغيره".[١]

قوله تعالى{وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦)وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا (٢٧)}[٢]

أولاً :سبب النزول :

قوله{وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتابِ مِنْ صَياصِيهِمْ} الصياصي هي الحصون، **ونزلت الآية في يهود بني قريظة**، وذلك أنهم كانوا معاهدين لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنقضوا عهده وصاروا مع قريش، فلما انصرفت قريش عن المدينة حصر رسول الله بني قريظة، حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ فحكم بأن يقتل رجالهم ويسبى نساؤهم وذريتهم فَرِيقاً تَقْتُلُونَ يعني الرجال وقتل منهم يومئذ كل من أنبت وكانوا بين ثمانمائة أو تسعمائة وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً يعني النساء والذرية وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ يعني أرض بني قريظة قسمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين وَأَرْضاً لَمْ تَطَؤُها هذا وعد بفتح أرض لم يكن المسلمون قد وطئوها حينئذ، وهي مكة واليمن والشام والعراق ومصر، فأورث الله المسلمين جميع ذلك وما وراءها إلى أقصى المشرق

---

[١] **صفوة التفاسير:الصابونى٢/٤٧٢:٤٧٣،إرشاد العقل السليم: أبو السعود ٧/٩٤:٩٥.**

[٢] سورة الأحزاب :آية (٢٦:٢٧).

والمغرب، ويحتمل عندي أن يريد أرض بني قريظة، لأنه قال: أورثكم بالفعل الماضي، وهي التي كانوا أخذوها حينئذ، وأما غيرها من الأرضين،فإنما أخذوها بعد ذلك فلو أرادها لقال:يورثكم إنما كررها بالعطف ليصفها بقوله:لَمْ تَطَؤُها:أي لم تدخلوها قبل ذلك.[١]

ثانياً :التفسير :

قوله {وَأَنزَلَ الذين ظاهروهم} أي عاونُوا الأحزابَ المردودةَ {مّنْ أَهْلِ الكتاب} وهُم بنُو قريظةَ {مِن صَيَاصِيهِمْ} من حصونهم جميع صِيصِيَة وهي ما يُتحصَّن به ولذلكَ يقالُ لقرنِ الثَّورِ والظَّبي وشوكةِ الدِّيكِ{وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرعب}الخوفَ الشَّديدَ بحيثُ أسلمُوا أنفسَهم للقتلِ وأهليهم وأولادَهم للأسرِ حسبَما ينطِق به قولُه تعالى {فَرِيقاً تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقاً} من غيرِ أن يكون من جهتِهم حَراكٌ فضلاً عن المُخالفةِ والاستعصاءِ رُوي أنَّ جبريلَ عليهِ السلام أتى رسول-صلى الله عليه وسلم-صبيحةَ اللَّيلةِ التي انهزمَ فيها الأحزابُ ورجعَ المُسلمون إلى المدينةِ ووضعُوا السِّلاحَ فقال أتنزعْ لأمَتك والملائكةُ ما وضعُوا السِّلاحَ إنَّ الله يأمرُك أن تسيرَ إلى بني قُريظةَ وأنا عامدٌ إليهم فأذَّن في النَّاسِ أنْ لا يصلُّوا العصرَ إلا ببني قُريظةَ فحاصرُوهم إحدى وعشرينَ أو خَمساً وعشرين ليلةً حتَّى جهدَهم الحصارُ فقال لهم تنزلُون على حُكمي فأبَوا فقالَ عَلى حُكم سُعد بن معاذٍ فرضُوا به فحكم سعد بقتل وسبيِ ذرارِيهم ونسائِهم فكبَّر النبيّ -صلَّى الله عليهِ وسلم- وقالَ لقد حكمتَ بحُكم الله من فوقِ سبعةِ أرقعةٍ فقُتلَ منهم ستمائةُ مقاتلٍ وقيل من ثمانمائةُ إلى تسعمائةُ وأُسر سبعمائةٌ {وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وديارهم} أي حصونهم {وأموالهم} ونقودهم وأثاثَهم ومواشيهم رُوي أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جعلَ عقارَهم للمهاجرينَ دونَ الأنصارِ فقالتِ الأنصارُ في ذلك فقال -صلى الله عليه وسلم- إنَّكم في منازلكم فقال عمرُ رضي الله عنه أَمَا تُخمس كما خمَّستَ يوم بدر فقال -صلى الله عليه وسلم- لا إنَّما جُعلتْ هذه لي طعمةً دونَ النَّاسِ

---

[١] التسهيل لعلوم التنزيل:ابن جزى الكلبى ١٤٩/٢:١٥٠.

قالُوا رضينَا بما صنعَ الله ورسولُه {وَأَرْضاً لَّمْ تطؤوها}،أي أورثكم في علمِه وتقديرِه أرضاً لم تقبضُوها بعدَ كفارسَ والرُّومِ وقيل كلُّ أرضٍ تُفتح إلى يومِ القيامةِ وقيلَ خيبرُ {وَكَانَ الله على كُلّ شئ قَدِيراً}فقد شاهدتُم بعض مقدوراته من إيراثِ الأراضِي التي تسلَّمتموها فقيسُوا عليها ما عَدَاها.[١]

قوله تعالى{أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}[٢]

التفسير:

قوله{أَوْ كُلَّمَا عاهدوا عَهْدًا}الهمزةُ للإنكارِ والواوُ للعطفِ على مقدر يقتضيه المقام أي أكفَروا بها وهي غاية الوضوحِ وكلما عاهدوا عهداً ومن جملة ذلك ما أشير إليه في قوله تعالى {وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الذين كَفَرُواْ}من قولهم للمشركين قد أظلَّ زمانُ نبيَ يخرجُ بتصديقِ ما قلنَا فنقتلُكُم مَعَهُ قتلَ عادٍ وإرم وقرئ بسكون الواو على أن تقدير النظم الكريم وما يكفر بها إلا الذين فسقوا أو نقضوا عهودَهم مرارا كثيرة وقرئ عوُهِدوا وعهِدوا وقوله تعالى عهداً إما مصدرٌ مؤكد لعاهَدوا من غير لفظِه أو مفعولٌ له على أنه بمعنى أعطَوُا العهدَ،{نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مّنْهُم} أي راموا بالزمام ورفضوه وقرئ نَقَضَه وإسنادُ النبذِ إلى فريق منهم لأن منهم من لم ينبِذْه،{بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ}أي،بالتوراة وهذا دفعٌ لما يُتوَهَّم من أن النابذين هم الأقلون وأن من لم ينبِذْ جِهاراً فهم يؤمنون بها سراً ".[٣]

ثالثاً: الأحاديث الواردة فى الغزوة:

١- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الخَنْدَقِ، وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ، أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: " قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟

---

[١] **إرشاد العقل السليم :أبو السعود ١٠٠/٧، مدارك التنزيل:النسفى ٢٧/٣، تفسير القرآن العظيم :ابن كثير ٣٩٧/٦.**

[٢] **سورة البقرة:آية(١٠٠).**

[٣] إرشاد العقل السليم : أبو السعود ١٣٥/١،أنوار التنزيل:البيضاوى٩٦/١.

وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِمْ قَالَ: فَإِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: هَا هُنَا، وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ".[١]

٢- حَدَّثَنَا شُعْبَةُ، عَنْ سَعْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا أُمَامَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: نَزَلَ أَهْلُ قُرَيْظَةَ عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ، فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِلَى سَعْدٍ فَأَتَى عَلَى حِمَارٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ المَسْجِدِ قَالَ لِلْأَنْصَارِ: «قُومُوا إِلَى سَيِّدِكُمْ، أَوْ خَيْرِكُمْ». فَقَالَ: «هَؤُلاَءِ نَزَلُوا عَلَى حُكْمِكَ»، فَقَالَ: تَقْتُلُ مُقَاتِلَتَهُمْ، وَتَسْبِي ذَرَارِيَّهُمْ، قَالَ: «قَضَيْتَ بِحُكْمِ اللَّهِ».[٢]

٣- عن قتادة، قوله: (وَأَنزلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ) وهم: بنو قُرَيظة، ظاهروا أبا سفيان وراسلوه، فنكثوا العهد الذي بينهم وبين نبيّ الله، قال: فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش يغسل رأسه، وقد غسلت شقه،إذ أتاه جبرائيل-صلى الله عليه وسلم-، فقال:عفا الله عنك؛ما وضعت الملائكة سلاحها منذ أربعين ليلة، فانهض إلى بني قريظة،فإني قد قطعت أوتارهم،وفتحت أبوابهم،وتركتهم في زلزال وبلبال؛ قال: فاستلأم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم سلك سكة بني غنم، فاتبعه الناس وقد عصب حاجبه بالتراب؛ قال: فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصروهم وناداهم: "يا إخوان القردة"، فقالوا: يا أبا القاسم،ما كنت فحاشا،فنزلوا على حكم ابن معاذ، وكان بينهم وبين قومه حلف،فرجوا أن تأخذه فيهم هوادة،وأومأ إليهم أبو لبابة إنه الذبح، فأنزل الله (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ) فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم، وأن تسبى ذراريهم، وأن عقارهم للمهاجرين دون الأنصار، فقال قومه وعشيرته: آثرت المهاجرين بالعقار علينا قال:

---

[١] أخرجه البخارى في صحيحه،ك: المغازى ، ب: مرجع النبى من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة ١١١/٥ح رقم (٤١١٧).

[٢] أخرجه البخارى فى صحيحه ،ك: المغازى ،ب: مرجع النبى من الأحزاب ومخرجه إلى بنى قريظة ومحاصرتهم ١١٢/٥ ح رقم (٤١٢١).

فإنكم كنتم ذوي عقار، وإن المهاجرين كانوا لا عقار لهم. وذُكر لنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم- كبر وقال: "قَضَى فِيكُمْ بِحُكْمِ اللهِ".[1]

٤- عن ابن شهاب الزهري: "معتجرًا بعمامة من إستبرق، على بغلة عليها رحالة، عليها قطيفة من ديباج؛ فقال: أقد وضعت السلاح يا رسول الله؟ قال: نعم قال جبريل:ما وضعت الملائكة السلاح بعد،ما رجعت الآن إلا من طلب القوم، إن الله يأمرك يا محمد بالسير إلى بني قريظة، وأنا عامد إلى بني قريظة"،فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم- مناديا، فأذّن في الناس: "إن من كان سامعا مطيعا فلا يصلينّ العصر إلا في بني قريظة"، وقدّم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه برايته إلى بني قريظة، وابتدرها الناس، فسار عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه حتى إذا دنا من الحصون، سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- منهم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق، فقال: يا رسول الله، لا عليك ألا تدنو من هؤلاء الأخباث، قال: "لِمَ؟ أَظُنُّكَ سَمِعْتَ لي مِنْهُمْ أذًى" قال: نعم يا رسول الله، قال: "لَوْ قَدْ رأوني لَمْ يقُولُوا مِنْ ذلكَ شَيْئا" فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال: "يا إخْوَانَ القِرَدَة هَلْ أخْزَاكُمُ اللهُ وأنزلَ بِكُمْ نِقْمَتَهُ؟ " قالُوا: يا أبا القاسم، ما كنت جهولا؛ ومرّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-على أصحابه بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة، فقال: "هل مَرَّ بِكُمْ أحَدٌ؟ "فقالوا: يا رسول الله، قد مرّ بنا دِحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "ذَاك جبْرَائيلُ بُعِثَ إلى بَنِي قُرَيْظَةَ يُزَلْزلُ بِهِمْ حُصُونَهُمْ،وَيَقْذِفُ الرُّعْبَ في قُلُوبِهِمْ"؛ فلما أتى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قريظة، نزل على بئر من آبارها في ناحية من أموالهم يقال لها: بئر أنا، فتلاحق به الناس، فأتاه رجال من بعد العشاء الآخرة، ولم يصلوا العصر لقول رسول الله -

[1] جامع البيان :الطبرى ٢٠/٢٤٤.

صلى الله عليه وسلم-: "لا يُصَلِّيَنَّ أَحَدٌ العَصْرَ إلا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ"، فصلوا العصر فما عابهم الله بذلك في كتابه ولا عنفهم به رسوله. [١]

ثالثا: الدروس المستفادة من الغزوة[٢] :

١- بيان عاقبة الغدر فإن بني قريظة لما غدرت برسول الله انتقم منها فسلط عليها رسوله والمؤمنين فأبادوهم عن آخرهم ولم يبق إلا الذين لا ذنب لهم وهم النساء والأطفال.

٢- بيان صادق وعد الله إذ أورث المسلمين أرضاً لم يكونوا قد وطئوها وهي خيبر والشام والعراق وفارس وبلاد أخرى كبيرة.

٣- تقرير أن قدرة الله لا تحد أبداً فهو تعالى على كل شيء قدير لا يعجزه شيء.

٤-جواز قتل من نقض العهد .

٥-مشروعية الاجتهاد فى الفروع وضرورة وقوع الخلاف فيها وذلك حين اختلف الصحابة فى حديث "ألا لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة".

حديث القرآن الكريم والسنة النبوية

عن "غزوة بنى المصطلق" أو " المُرَيْسِيع"

ورد ذكر هذه الغزوة فى سورة النور قوله تعالى{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١١)لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ(١٢)لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ(١٣)وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٤) إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ(١٥)وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ(١٦)يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ

---

[١] جامع البيان :الطبرى ٢٠/٢٤٥.

[٢] أيسر التفاسير:٤/٢٦١، السيرة النبوية دروس وعبر:السباعى ١/١٢٠.

أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ(١٧)وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٨)إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (١٩) وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ (٢٠)}[١]

أولاً :سبب النزول:

قوله تعالى إن الذين جاءوا بالإفك الآيات أخرج الشيخان[٢] وغيرهما عَنِ الزُّهْرِيِّ: أَخْبَرَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ وَعُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ وَعَلْقَمَةُبْنُ وَقَّاصٍ وَعُبَيْدُ اللهِ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَالَ لَهَا أَهْلُ الْإِفْكِ مَا قَالُوا: فَبَرَّأَهَا اللهُ مِمَّا قَالُوا، وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا، وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ، وَأَثْبَتَ اقْتِصَاصًا، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي، وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا، ذَكَرُوا، أَنَّ عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا، أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي، وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوِهِ، وَقَفَلَ، وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِيَ الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، قَالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا، لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلْقَةَ مِنَ

---

[١] سورة النور : آية (١١:٢٠).

[٢] أخرجه البخارى في صحيحه،ك: المغازى،ب: غزوة بنى المصطلق ١١٥/٥ ح رقم (٤١٤١)، مسلم في صحيحه،ك: التوبة ،ب: حديث الإفك وقبول توبة القاذف ٢١٢٩/٤ ح رقم (٢٧٧٠).

الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهَوْدَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَأَتَانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَاللهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِيَ الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ، بَعْدَمَا نَزَلُوا مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ فَاشْتَكَيْتُ، حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِيبُنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اللُّطْفَ، الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» فَذَاكَ يَرِيبُنِي وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ وَخَرَجَتْ مَعِي أُمُّ مِسْطَحٍ قِبَلَ الْمَنَاصِعِ، وَهُوَ مُتَبَرَّزُنَا، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى لَيْلٍ وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنُفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمْرُنَا أَمْرُ الْعَرَبِ الْأُوَلِ فِي التَّنَزُّهِ، وَكُنَّا نَتَأَذَّى بِالْكُنُفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا، فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا مِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُهْمٍ قِبَلَ بَيْتِي، حِينَ فَرَغْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتِ، أَتَسُبِّينَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا، قَالَتْ: أَيْ هَنْتَاهْ أَوَ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ: فَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي، فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ تِيكُمْ؟» قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَقَّنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللهِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهْ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بُنَيَّةُ هَوِّنِي عَلَيْكِ فَوَاللهِ لَقَلَّمَا كَانَتِ امْرَأَةٌ قَطُّ وَضِيئَةٌ عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثَّرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، وَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلْبَثَ الْوَحْيُ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ هُمْ أَهْلُكَ وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: لَمْ يُضَيِّقِ اللهُ عَلَيْكَ وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَرِيرَةَ فَقَالَ: «أَيْ بَرِيرَةُ هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ مِنْ عَائِشَةَ؟» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ إِنْ رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمِصُهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعْذَرَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ ابْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي» فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْنَا عُنُقَهُ وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزْرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنِ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ -، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللهِ لَنَقْتُلَنَّهُ فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ

بِنَوْمٍ وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي اسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشَهَّدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً، فَسَيُبَرِّئُكِ اللهُ وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ» قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَقَالَتَهُ قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أُحِسُّ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا قَالَ فَقَالَ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: وَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ إِنِّي وَاللهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى اسْتَقَرَّ فِي نُفُوسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيئَةٌ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنِ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللهُ يَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِي وَإِنِّي، وَاللهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف: ١٨] قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا، وَاللهِ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيئَةٌ وَأَنَّ اللهَ مُبَرِّئِي بِبَرَاءَتِي، وَلَكِنْ، وَاللهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللهُ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرَحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ، حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ، مِنْ ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللهُ فَقَدْ

بَرَّأَكِ» فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ} مِنْكُمْ عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي".[١]

٢- قَوْلُهُ تَعَالَى: {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا...الآية}

أَخْبَرَنَا أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنُ أَبِي حَامِدٍ الْعَدْلُ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ زَكَرِيَّا قَالَ: أَخْبَرَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الدَّغُولِيُّ قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ قال أخبرنا الْهَيْثَمُ بْنُ خَارِجَةَ قَالَ: أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ عَطَاءً الْخُرَاسَانِيَّ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ عروة أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا حَدَّثَتْهُ بِحَدِيثِ الْإِفْكِ، وَقَالَتْ فِيهِ وَكَانَ أَبُو أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيُّ حِينَ أَخْبَرَتْهُ امْرَأَتُهُ وَقَالَتْ: يَا أَبَا أَيُّوبَ أَلَمْ تسمع بما تحدث النَّاسُ؟ قَالَ: وَمَا يَتَحَدَّثُونَ؟ فَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَقَالَ: مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سبحانك هذا بهذا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ}.[٢]

ثانياً : التفسير :

قال تعالى: {إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم} أي إن الذين جاءوا بهذا الكذب المقلوب إذ المفروض أن يكون الطهر والعفاف لكل من أم المؤمنين وصفوان بدل الرمي بالفاحشة القبيحة فقلبوا القضية فلذا كان كذبهم إفكاً وقوله: {عصبة}أي جماعة لا يقل عادة عددهم على عشرة أنفار إلا أن الذين روجوا الفتنة وتورطوا فيها حقيقة وأقيم عليهم الحد أربعة ابن أبي وهو الذي تولى كبره منهم وتوعده الله بالعذاب العظيم لأنه منافق كافر[٣]،مات على كفره ونفاقه، ومسطح بن أثاثة،وحمنة بنت جحش أخت أم المؤمنين زينب رضي الله عنها وحسان بن ثابت رضي الله عنه،وقوله تعالى: {لا تحسبوه شراً لكم} لما نالكم من هم وغم وكرب من جرائه {بل هو خير لكم}

---

[١] لباب النقول في أسباب النزول:السيوطى ١/١٤٠:١٤٢، أسباب النزول : ١/٣١٨:٣٢٣.

[٢] أسباب النزول:١/٣٢٣.

[٣] **أيسر التفاسير : الجزائرى ٣/٥٥٣.**

لما كان له من العاقبة الحسنة وما نالكم من الأجر العظيم من أجل عظم المصاب وشدة الفتنة وقوله تعالى: {لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم} على قدر ما قال وروج وسيجزي به إن لم يتب الله تعالى عليه ويعفو عنه. وقوله: {والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم} وهو عبد الله بن أبي بن سلول رئيس المنافقين عليه لعنة الله.

وقوله تعالى: {لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين} هذا شروع في عتاب القوم وتأديبهم وتعليم المسلمين وتربيتهم فقال عز وجل: {لولا} أي هلا وهي للحض والحث على فعل الشيء إذ سمعتم قول الإفك ظننتم بأنفسكم خيراً إذ المؤمنون والمؤمنات كنفس واحدة، وقلتم لن يكون هذا وإنما هو إفك مبين أي ظاهر لا يقبل ولا يقر عليه هكذا كان الواجب عليكم ولكنكم ما فعلتم.

وقوله تعالى: {لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون} أي كان المفروض فيكم أيها المؤمنون أنكم تقولون هذا لمن جاء بالإفك فإنهم لا يأتون بشاهد فضلاً عن أربعة وبذلك تسجلون عليهم لعنة الكذب في حكم الله. وقوله تعالى: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم} هذه منة من الله تحمل أيضاً عتاباً واضحاً إذ بلوغكم في عرض أم المؤمنين، وما كان لكم أن تفعلوا ذلك قد استوجبتم العذاب لولا فضل الله عليكم ورحمته لمسكم العذاب العظيم. وقوله: {إذ تلقونه بألسنتكم} أي يتلقاه بعضكم من بعض، {وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم} وهذا عتاب وتأديب. وقوله: {وتحسبونه هينا} أي ليس بذنب كبير ولا تبعة فيه {وهو عند الله عظيم} ، وكيف وهو يمس عرض رسول الله وعائشة والصديق وآل البيت أجمعين.[1]

وقوله تعالى: {ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا} إذ هذه مما لا يصح لمؤمن أن يقول فيه لخطره وعظم شأنه، وقلتم متعجبين من مثله كيف يقع {سبحانك} أي يا رب {هذا} أي الإفك {بهتان عظيم} بهتوا به أم المؤمنين

---

[1] أيسر التفاسير:٣/٥٥٤.

وصفوان،وقوله: {يعظكم الله} أي ينهاكم الله مخوفاً لكم بذكر العقوبة الشديدة {أن تعودوا لمثله أبداً} أي طول الحياة فإياكم إياكم إن كنتم مؤمنين حقاً وصدقاً فلا تعودوا لمثله أبداً، وقوله: {ويبين الله لكم الآيات} التي تحمل الهدى والنور لترشدوا وتكملوا والله عليم بخلقه وأعمالهم وأحوالهم حكيم فيما يشرع لهم من أمر ونهي.[١]

ما زال السياق في عتاب المؤمنين الذين خاضوا في الإفك فقوله تعالى: {إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة} أي تنتشر وتشتهر {في الذين آمنوا} أي في المؤمنين {لهم عذاب أليم في الدنيا} بإقامة حد القذف عليهم وإسقاط عدالتهم وفي الآخرة إن لم يتوبوا بإدخالهم نار جهنم، وكفى بهذا الوعد زاجراً ورادعاً وقوله تعالى: {والله يعلم وأنتم لا تعلمون}أي ما يترتب على حب إشاعة الفاحشة بين المؤمنين من الآثار السيئة فلذا توعد من يحبها بالعذاب الأليم في الدارين، وأوجب رد الأمور إليه تعالى وعدم الاعتراض على ما يشرع وذلك[٢]،لعلمه المحيط بكل شيء وجهلنا لكل شيء إلا ما علمناه فأزال به جهلنا وقوله: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم} لهلكتم بجهلكم وسوء عملكم. ولكن لما أحاطكم الله به من فضل لم تستوجبوه إلا برأفته بكم ورحمته لكم عفا عنكم ولم يعاقبكم،وقوله تعالى: {يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان} أي يا من صدقتم الله ورسوله لا تتبعوا خطوات الشيطان فإنه عدوكم فكيف تمشون وراءه وتتبعونه فيما يزين لكم من قبيح المعاصي وسيء الأقوال والأعمال فإن من يتبع خطوات الشيطان لا يلبث أن يصبح شيطاناً يأمر بالفحشاء والمنكر، ففاصلوا هذا العدو، واتركوا الجري وراءه فإنه لا يأمر بخير قط فاحذروا وسواسه وقاوموا نزغاته بالاستعاذة بالله السميع العليم فإنه لا ينجكم منه إلا هو سبحانه وتعالى[٣] وقوله تعالى: {ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من أحد أبداً} وهذه منة أخرى وهي أنه لولا فضل الله على المؤمنين ورحمته بحفظهم

---

[١] أيسر التفاسير ٣/٥٥٥، الكشف والبيان :الثعلبى ٧/٧٢

[٢] المرجع السابق : ٣/٥٥٦،تفسير القرآن :السمعانى ٣/٥٠٧:٥١١.

[٣] **الكشاف :الزمخشرى ٣/٢١٩.**

ودفع الشيطان عنهم ما كان ليطهر منهم أحد، وذلك لضعفهم واستعدادهم الفطري للاستجابة لعدوهم، فعلى الذين شعروا بكمالهم؛ لأنهم نجوا مما وقع فيه عصبة الإفك من الإثم أن يستغفروا لإخوانهم وأن يقللوا من لومهم وعتابهم، فإنه لولا فضله عليهم ورحمته بهم لوقعوا فيما وقع فيه اخوانهم، فليحمدوا الله الذي نجاهم وليتضامنوا تواضعاً الله وشكراً له. وقوله: {ولكن الله يزكي من يشاء والله سميع عليم} أي فمن شاء الله تزكيته زكاه وعليه فليلجأ إليه وليطلب التزكية منه، وهو تعالى يزكي من كان أهلاً للتزكية،ومن لا فلا،لأنه السميع لأقوال عباده والعليم بأعمالهم ونياتهم وأحوالهم وهي حال تقتضي التضرع إليه والتذلل وقوله تعالى: {ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله، وليعفوا وليصفحوا} هذه الآية نزلت في أبي بكر الصديق لما منع مسطح بن أثاثة [1]، وهو ابن خالته، وكان رجلاً فقيراً من المهاجرين ووقع في الإفك فغضب عليه أبو بكر وحلف أن يمنعه ما كان يرفده به من طعام وشراب، فأنزل الذي تعالى هذه الآية ولا يأتل أي ولا يحلف أصحاب الفضل والإحسان والسعة في الرزق والمعاش أن يؤتوا أولى القربى أي أن يعطوا أصحاب القرابة، والمساكين والمهاجرين في سبيل الله كمسطح، وليعفوا أي وعليهم أن يعفوا عما صدر من أولئك الأقرباء من الفقراء والمهاجرين، وليصفحوا أي يعرضوا عما قالوه فلا يذكروه لهم ولا يذكرونهم به فإنه يحزنهم ويسوءهم ولاسيما وقد تابوا وأقيم الحد عليهم وقوله تعالى: {ألا تحبون أن يغفرالله لكم؟} فقال أبو بكر بلى والله أحب أن يغفر الله لي فعندها صفح وعفا وسأل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن يمينه فقال كفر عن يمينك ورد الذي كنت تعطيه لمسطح. وتقرر بذلك أن من حلف يميناً على شيء فرأى غيره خيراً منه كفر عن يمينه وأتى الذي هو خير،وقوله تعالى: {والله غفور رحيم} فهذا إخبار منه تعالى أنه ذو المغفرة والرحمة وهما من صفاته الثابتة له وفي هذا الخبر تطميع للعباد لأن يرجوا مغفرة الله ورحمته وذلك

---

[1] أيسر التفاسير: ٥٥٧/٣، مدارك التنزيل: النسفى ٤٩٤/٢.

بالتوبة الصادقة والطلب الحثيث المتواصل لأن الله تعالى لا يغفر لمن لا يستغفره، ولا يرحم من لا يرجو ويطلب رحمته.[١]

ثالثاً : الأحاديث الواردة فى الغزوة :

حديث الإفك :

١- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حِينَ قَالَ لَهَا: أَهْلُ الإِفْكِ مَا قَالُوا، وَكُلُّهُمْ حَدَّثَنِي طَائِفَةً مِنْ حَدِيثِهَا، وَبَعْضُهُمْ كَانَ أَوْعَى لِحَدِيثِهَا مِنْ بَعْضٍ، وَأَثْبَتَ لَهُ اقْتِصَاصًا، وَقَدْ وَعَيْتُ عَنْ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمُ الحَدِيثَ الَّذِي حَدَّثَنِي عَنْ عَائِشَةَ، وَبَعْضُ حَدِيثِهِمْ يُصَدِّقُ بَعْضًا، وَإِنْ كَانَ بَعْضُهُمْ أَوْعَى لَهُ مِنْ بَعْضٍ، قَالُوا: قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ، فَأَيُّهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَهُ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةٍ غَزَاهَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ مَا أُنْزِلَ الحِجَابُ، فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي وَأُنْزَلُ فِيهِ، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ غَزْوَتِهِ تِلْكَ وَقَفَلَ،دَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ قَافِلِينَ،آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ، فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ، فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي، فَلَمَسْتُ صَدْرِي، فَإِذَا عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعِ ظَفَارِ قَدِ انْقَطَعَ، فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ، قَالَتْ: وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ كَانُوا يُرَحِّلُونِي، فَاحْتَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ أَرْكَبُ عَلَيْهِ، وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ العُلْقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ يَسْتَنْكِرِ القَوْمُ خِفَّةَ الهَوْدَجِ حِينَ رَفَعُوهُ وَحَمَلُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الجَمَلَ فَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَ مَا اسْتَمَرَّ الجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا مِنْهُمْ دَاعٍ وَلاَ مُجِيبٌ، فَتَيَمَّمْتُ مَنْزِلِي الَّذِي كُنْتُ بِهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا

---

[١] أيسر التفاسير: ٥٥٨/٣.

أَنَا جَالِسَةٌ فِي مَنْزِلِي، غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ السُّلَمِيُّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي، فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ فَعَرَفَنِي حِينَ رَآنِي، وَكَانَ رَآنِي قَبْلَ الحِجَابِ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَّرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا تَكَلَّمْنَا بِكَلِمَةٍ، وَلاَ سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، وَهَوَى حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئَ عَلَى يَدِهَا، فَقُمْتُ إِلَيْهَا فَرَكِبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ مُوغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ وَهُمْ نُزُولٌ، قَالَتْ: فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الإِفْكِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ ابْنُ سَلُولَ، قَالَ عُرْوَةُ: أُخْبِرْتُ أَنَّهُ كَانَ يُشَاعُ وَيُتَحَدَّثُ بِهِ عِنْدَهُ، فَيُقِرُّهُ وَيَسْتَمِعُهُ وَيَسْتَوْشِيهِ، وَقَالَ عُرْوَةُ أَيْضًا: لَمْ يُسَمَّ مِنْ أَهْلِ الإِفْكِ أَيْضًا إِلَّا حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ، وَمِسْطَحُ بْنُ أُثَاثَةَ، وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ، فِي نَاسٍ آخَرِينَ لاَ عِلْمَ لِي بِهِمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ عُصْبَةٌ.[1]

الدروس المستفادة من الغزوة[2] :

١ - **بشرية الرسول صلى الله عليه وسلم:** تمثلت فى محنة الإفك حيث استهدفت إبراز شخصية النبي صلى الله عليه وسلم وإظهارها فحسم الوحي اللغط الذي دار حول أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-عادت المياه إلى مجاريها بينها وبين الرسول صلى الله عليه وسلم،فدل ذلك على حقيقة الوحي،وأن الأمر لو لم يكن من عند الله تعالى لبقيت رواسب المحنة في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفة خاصة،ولانعكس ذلك على تصرفاته مع زوجته عائشة رضي الله عنها،وهكذا شاء الله أن تكون هذه المحنة دليلاً كبيرًا على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم.[3]

٢- حد القذف وأهميته في المحافظة على أعراض المسلمين:

---

[1] أخرجه البخارى فى صحيحه : ك: المغازى ، ب:غزوة بنى المصطلق ١١٦/٥ ح رقم (٤١٤١).

[2] - أيسر التفاسير ٥٥٣/٣:٥٥٧.

[3] السيرة النبوية وقائع وأحداث :٥٨٩/١، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٤٤١.

حينما وقعت حادثة الإفك أراد المولى-عز وجل-شرع بعض الأحكام حكم الزاني والزانية وعن قبح فاحشة الزناوأوجب العقوبة على فاعله، وهو الجلد ثمانين جلدة وعدم قبول شهادته إلا بعد توبته توبة صادقة نصوحًا،وروى محمد بن إسحاق وغيره أن النبي-صلى الله عليه وسلم-جلد في الإفك رجلين وامرأة: مسطحا وحسانًا وحمنة.[١]

٣- اعتذار حسان-رضي الله عنه-للسيدة عائشة رضي الله عنها:

وقد اعتذر حسان-رضي الله عنه-عما كان منه،وقال يمدح عائشة بما هي أهل له[٢]:

رأيتك وليغفر لك الله حرة ... من المحصنات غير ذات غوائل

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثي من لحوم الغوافل

وإن الذي قد قيل ليس بلائق ... بك الدهر بل قيل امرئ متناحل

فإن كنت أهجوكم كما بلغوكم ... فلا رفعت سوطي إلي أناملي

فكيف وودي ما حييت ونصرتي ... لآل رسول الله زين المحافل

وإن لهم عزًا يرى الناس دونه ... قصارًا، وطال العز كل التطاول[٣]

٤- **تشريع حكم العزل عن النساء** :حيث سأل الصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم عنه فأذن به وقال: «ما عليكم ألا تفعلوا، ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا وهي كائنة».[٤]

٥- **نزول آية التيمم** : تنويهًا بشأن الصلاة،وتنبيهًا على عظيم شأنها، وأنه لا يحول دون أدائها فقد الماء، وهو وسيلة الطهارة التي هي أعظم شروطها، كما لا يحول الخوف وفقد الأمن من إقامتها.[٥]

---

[١] آثار تطبيق الشريعة، د. محمد الزاحم، ص١١٧، تفسير القرطبي (١٢/ ١٩٧)، مرويات غزوة بني المصطلق، ص٢٤٢.

[٢] السيرة النبوية لأبي شهبة (٢/ ٢٦٣).

[٣] تاريخ الإسلام للذهبي، المغازي، ص٢٨١.

[٤] السيرة النبوية الصحيحة للعمري (٢/ ٤١٥).

[٥] صور وعبر من الجهاد النبوي في المدينة، ص٢١٠، ٢١١.

٦- **جواز الإغارة على من بلغتهم دعوة الإسلام دون إنذار:** ومنها صحة جعل العتق صداقًا كما فعل صلى الله عليه وسلم مع جويرية بنت الحارث في هذه الغزوة، ومنها مشروعية القرعة بين النساء عند إرادة السفر ببعضهن،ومنها جواز استرقاق العرب كما حدث في الغزوة وهو قول جمهور العلماء.[١]

٤-صلح الحديبية: (ذو القعدة ٦هـ / أبريل سنة ٦٢٨م)

خرج الرسول قرب نهاية العام السادس للهجرة إلى مكة للعمرة فى ألف وأربعمائة من المهاجرين والأنصار يسوقون الهدى أمامهم ولا يحملون إلا سلاح المسافر دلالة على عدم نيتهم فى قتال قريش وعندما أحست قريش بهم صممت على منعهم من دخول مكة عنوة حتى ولو كانوا مسالمين، وأرسلت خالد بن الوليد لمناوشتهم، لكن الرسول سلك طريقاً آخر وتوقف عند مكان يقال له الحديبية على بعد تسعة أميال من مكة وعسكر فيه، وأرسل عثمان بن عفان ليتعرف على أنباء قريش ويعرف سبب منعها للمسلمين من دخول مكة للعمرة، ولما تأخرت عودة عثمان إلى الرسول وأشيع أنه قتل، طلب الرسول من المسلمين البيعة على قتال قريش، فتسارعوا إلى بيعته. ونزل فى ذلك قوله تعالى فى سورة الفتح: " **لقد رضِي الله عن المؤمنين إذ يُبايعونك تحت الشجرة فعلِم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً* ومغانِمَ كثيرةً يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً**". ولذلك تعرف هذه البيعة ببيعة الرضوان.

وكان لهذا الموقف الشجاع من المسلمين تأثيره على قريش، فرغم أن المسلمين لم يكن معهم سلاح يكفى لمواجهة قريش إلا أنهم صمموا على قتالها لو ثبت فعلا قتلها لعثمان. ولذلك غيرت قريش من نظرتها للمسلمين وأرسلت

---

[١] الأم :للشافعي (٤/ ١٨٦).

سهيل بن عمرو لمفاوضة الرسول ﷺ. وقد اعتذر سهيل للرسول عما حدث من حجز عثمان وقتال من قاتله من مشركى مكة، وأظهر حسن النية، فأرسل لقريش بأن تطلق سراح عثمان ومن معه من المسلمين، فعادوا، وأطلق الرسول أسرى قريش من الذين كانوا قد اعتدوا على المسلمين، وتمت المفاوضات بين سهيل وبين الرسول، وانتهت إلى أربع نقاط:

١-أن تضع الحرب أوزارها بين الفريقين لمدة عشر سنين.

٢-أن يرد الرسول من يأتيه من قريش مسلما بدون إذن وليه ولا تلزم قريش برد من يأتيها من عند محمد.

٣-من أراد الدخول فى عهد قريش فله ذلك، ومن أراد الدخول فى عهد محمد من غير قريش جاز له ذلك.

٤-أن يرجع الرسول إلى المدينة هذا العام دون أداء العمرة فإذا كان العام القادم دخل مكة بعد خروج قريش منها، وليس معه إلا سلاح المسافر.

- لم يرض المسلمون جميعهم بشروط هذا الأتفاق، واعتبروا بعضها مهينا لهم وتساهلا لم يكن له ما يبرره، ولم يستجيبوا لنداء الرسول لهم بالتحلل من إحرامهم ونحر ذبائحهم. وعبر عمر بن الخطاب عن هذا الاتجاه. لكن الرسول هدأ الخواطر وأفهم المسلمين أن ما فعله كان عن أمر من الله، إذ قال لهم: "أنا عبد الله ورسوله، لن أخالف أمره ولن يضيعنى". وأشارت عليه زوجه أم سلمة بأن يتحلل من إحرامه أولا، ولما فعل، اقتدى المسلمون به وعادوا إلى المدينة وفى الطريق نزل على الرسول قوله تعالى فى سورة الفتح:((إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا **(١)** لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا
- وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا)). فاستبشر المسلمون وهدأت نفوسهم وعرفوا أن ما فعله الرسول كان فى مصلحتهم وفى مصلحة الإسلام لعدة أسباب:

١- إن توقيع قريش على هذا الصلح يعتبر اعترافا سياسيا بالمسلمين وكانت قريش ترفض من قبل أن تعترف بهم أو بديانة الإسلام .

٢-أصبح للمسلمين حق مشروع فى زيارة البيت الحرام بمكة حسب نصوص الاتفاق.

٣-تغيرت نظرة قريش للمسلمين، وأدركت أن دينهم لابد أن ينتصر فى النهاية .

٤-أتاحت الهدنة المتفق عليها فى نصوص الاتفاق الفرصة أمام الرسول كى ينظم شئون المسلمين فى المدينة، وأن يقضى على ما يهددها من أخطار، خاصة خطر يهود خيبر، فغزاهم فى المحرم من عام ٧هـ / مايو سنة ٦٢٨ وقضى على نفوذهم، وبذلك تفرغ النبى لنشر الدعوة خارج الحجاز ، وبادر الرسول ﷺ في مخاطبة الملوك ورؤساء القبائل، برسائل خطية وشفهية، فكانت أول المراسلات الخارجية للرسول ﷺ رسالة مع عمرو بن أمية الضمري الي النجاشي ملك الحبشة "[١] ، ووصلت مراسلات النبيﷺ إلي هرقل عظيم الروم وأسقف الروم في القسطنطينية، وأسقف إيله، وكاتب ملوك العرب والمقوقس عظيم القبط في مصر وكسري ملك الفرس[٢].

---

(١)محمد حميد الله الحيدر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص١٠٠.

(٢) ابن اسحاق : المغازى ، ص٢٨٨، ٢٨٩؛ البستى : السيرة النبوية وأخبار الخلفاء، ج١، ص٢٩٧ -٢٩٨؛ السيوطي: الخصائص الكبري، دار الكتب العلمية ، بيروت ب . ت ، ج٢ ، ص٥؛ شمس الدين بن طولون : إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ،ط٢ ، تحقيق: محمود الأرناؤوط ، الرسالة ، بيروت١٩٨٧م ، ص٦٤ ؛محمد حميد الله الحيدر :مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، ص١٤٠.

وأرسل رسله إلى القبائل العربية فى أنحاء شبه الجزيرة المختلفة وإلى ملوك الدول المجاورة فى بلاد الشام ومصر وفارس والحبشة واليمن .

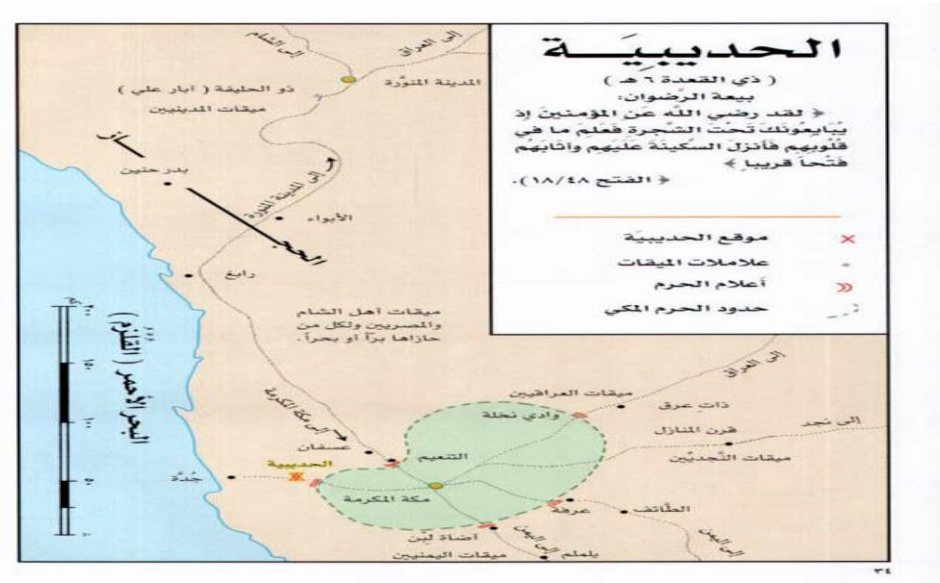

خريطة توضح موقع الحديبية (١)

(١) شوقى أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامى ، ص٣٥ .

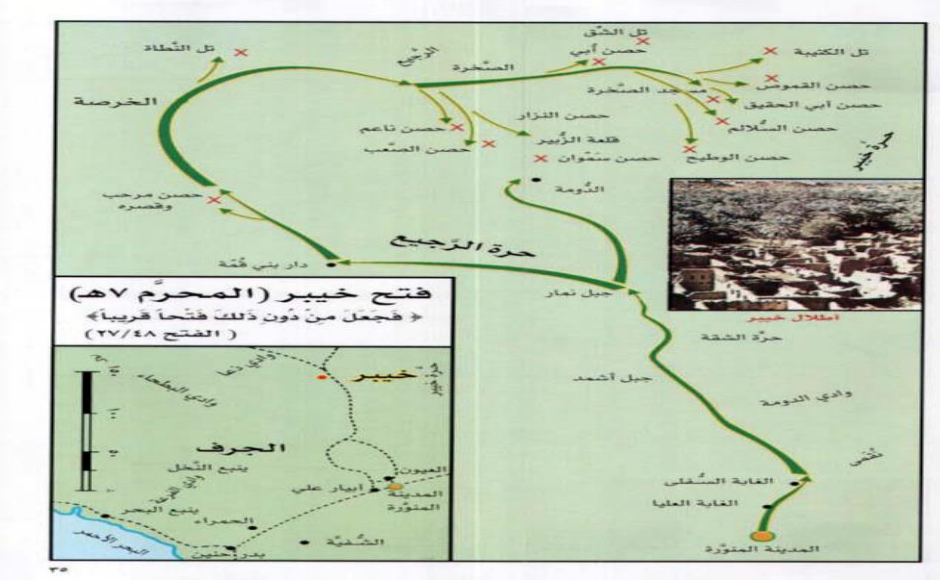

خريطة توضح فتح خيبر [١]

(١) شوقى أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامى ، ص٣٥ .

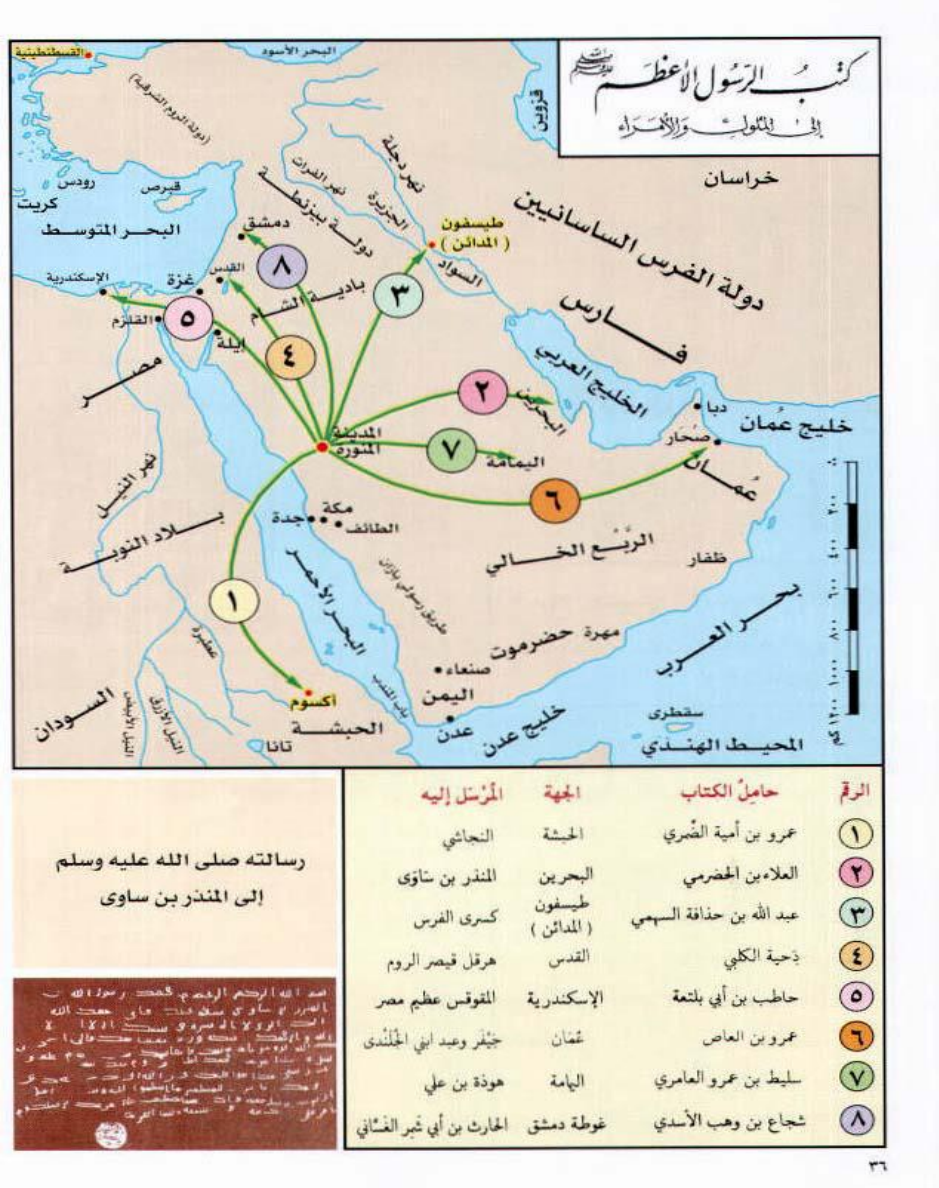

الرقم	حامِلُ الكتاب	الجهة	المُرْسَل إليه
١	عمرو بن أمية الضَّمري	الحبشة	النجاشي
٢	العلاء بن الحضرمي	البحرين	المنذر بن ساوَى
٣	عبد الله بن حذافة السهمي	طيسفون (المدائن)	كسرى الفرس
٤	دِحية الكلبي	القدس	هرقل قيصر الروم
٥	حاطب بن أبي بلتعة	الإسكندرية	المقوقس عظيم مصر
٦	عمرو بن العاص	عُمان	جَيْفَر وعبد ابني الجُلَنْدى
٧	سليط بن عمرو العامري	اليمامة	هوذة بن علي
٨	شجاع بن وهب الأسدي	غوطة دمشق	الحارث بن أبي شمر الغساني

رسالته صلى الله عليه وسلم
إلى المنذر بن ساوى

٣٦

خريطة توضح كتب النبي (ص) إلى الملوك والأمراء [١]

أ- سرية مؤتة ٨هـ:

(١) شوقى أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامى ، ص٣٦ .

أراد رسول الله ﷺ أن يثأر لقتل رسوله الحارث بن عمير الأزدي علي يدي شرحبيل بن عمرو الغساني أمير مؤته، ومقتل فروة بن عمرو الجذامي عامل الروم علي معان وما حولها علي أيدي الروم بعد أن بلغهم إسلامه. فلما انصرف من عمرة القضاء في العام السابع للهجرة، علي ما عاهد عليه قريشاً في صلح الحديبية، أقام بالمدينة ذو الحجة والمحرم وصفراً وربيعاً من سنة ٨ للهجرة، ثم أرسل في جمادي الأولي من تلك السنة بعث الأمراء إلي الشام، لتأديب أمير مؤته المذكور.

أعد رسول الله ﷺ جيشاً ضخما عدته ثلاثة آلاف مقاتل علي رأسهم زيد بن حارثة(١)، وأوصي المسلمين بانه إذا أصابه قدر فعليهم وجعفر بن أبي طالب(٢) فإن أصاب جعفراً قدر فعلي الناس وعبد الله بن رواحة(٣)،ثم أوصي رسول الله أمراء جيشه، وشيعهم رسول الله ﷺ وودعهم، وسار جيش المسلمين حتي بلغ معان من أرض الشام، وهناك بلغهم أن هرقل ملك الروم قد نزل أرض مأب وهي أرض البلقاء،في ألف ومائة ألف أخري من نصاري الشام(٤) من لخم وجذام وقبائل قضاعة وعليهم مالك بن راقلة. فأقام المسلمون في معان ليلتين يفكرون فيما يصنعونه،

---

(١)هو زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، أختطف في الجاهلية صغيرا، واشترته السيدة خديجة بنت خويلد فوهبته إلي النبي ﷺحين تزوجها، فتبناه النبي ﷺ قبل الإسلام ثم أعتقه ، وهو أول الموالي إسلامًا، وذُكر اسمه في القرآن ، شهد بدراً وما بعدها، واستشهد في غزوة مؤتة، سنة ثمان هجرية . ابن سعد : الطبقات ،ج٢، ص١٢٨؛ البلاذري : أنساب الأشراف، ج١، ص٤٦٧.

(٢)جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : من السابقين إلي الإسلام ، وكان رسول الله ﷺ يسميه أبا المساكين، و لقب بالطيار هاجرَ الْهِجْرَتَينِ. ، استشهد يوم مؤتة سنة سبع، أبناؤه عَبْدُ اللَّهِ، وَعَوْنٌ، وَمُحَمَّدٌ. خليفة بن خياط : تاريخ خليفة بن خياط، ط٢،تحقيق أكرم ضياء العمري ، دار القلم ، مؤسسة الرسالة - دمشق ، بيروت١٣٩٧، ص٨٦. ؛ الذهبي :تاريخ الإسلام، ج١، ص٣٢٩ . .

(٣)عبد الله بن رواحة : هو عبد الله بن رواحه بن ثعلبة بن الحارث، من الخزرج ؛ أسلم علي يد مصعب بن عمير ؛ وكان واحداً من النقباء الذين أختارهم الرسول ﷺ في بيعه العقبة الأولي واستشهد في غزوة مؤتة، سنة ثمان هجرية. البلاذري : أنساب الأشراف، ج١، ص٢٤٤.

(٤) هذا الرقم مبالغ فيه ، ولكننا نستدل من المبالغة في تضخيم جيش العدو علي أن قوته كانت تفوق قوة المسلمين بمراحل من حيث العدد ومن حيث السلاح أيضاً.

فزحفوا إلي مؤته حيث وافاهم المشركون، واشتبك الفريقان في القتال، واقتتلوا قتالاً شديداً حتي قتل زيد بن حارثة، ثم أخذ جعفر بن عبد المطلب الراية وقاتل بها حتي قطعت يمينه ، فأخذ الراية بيسراه فقطعت يسراه، فتلقي الراية في صدره واحتضنها، فقتل كذلك . فأخذ عبد الله بن رواحة الراية، وتردد عن النزول بعض التردد، ثم صمم فقاتل حتي استشهد فأخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بني العجلان، ودعا قومه إلي اختيار قائد منهم، فلما اختاروه رفض، فأخذهم خالد بن الوليد، وانحاز بالمسلمين، وعاد بهم إلي المدينة.

خريطة توضح سرية مؤته(١)

(١) شوقى أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامى ، ص٣٧ .

فتح مكة

عزم رسول الله علي فتح مكة ، فأعد جيشاً كثيفاً من أهل المدينة لم تشهد له الحجاز من قبل عدته عشرة آلاف[١] ودعا الله أن يأخذ عن قريش بالأخبار بقصد مفاجأتها بالفتح. وخرج رسول الله بجيشه من المدينة في العاشر من رمضان بعد أن استخلف علي المدينة كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفاري.

وتجمع المصادر علي أن أبا سفيان وبديل بن ورقاء وحكيم بن حزم خرجوا من مكة يتلقون الأخبار .

وعندما أسلم أبو سفيان في حضر النبي ، قال العباس: "يا رسول الله، إن أبا سفيان يحب هذا الفخر، فاجعل له شيئا". فقال له رسول الله ﷺ: "من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن" وبذلك أصبحت مكة مؤمنة علي دماء أهلها وذراريهم وأموالهم ونسائهم، إلا من قاتل أو استثني فقط.

ثم عاد أبو سفيان إلي مكة ليبلغ قومه بتأمين رسول الله، لكل من دخل داره أو المسجد الحرام أو دار أبي سفيان. ولكن جماعة من شباب قريش من بينهم عكرمة بن أبى جهل وصفوان بن أمية وسهل بن عمرو صمموا على القتال فناوشهم أصحاب خالد القتال، فقتل من المشركين ١٣رجلا وقيل ٢٣ بينما قتل من المسلمين رجال.

---

(١) اشتركت في تشكيل هذا الجيش جموع من مختلف قبائل العرب: فمن بني سليم ألف رجل وقيل سبعمائة، ومن مزيد ألف رجل وثلاثة، ومن غفار أربعمائة، وطوائف أخري من قيس وأسد وتميم.

وعفا رسول الله عن عامة قريش وقال لهم:" ما تظنون؟ قالوا: نظن خيراً ونقول خيراً :أخ كريم وابن أخ كريم، وقد قدرت. قال: فإني أقول كما قال أخي يوسف عليه السلام (لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين)"[١] ثم طاف رسول الله صلي الله عليه وسلم بالكعبة، وأمر بكسر الصور التى كانت منصوبة داخل الكعبة وخارجها وتحطيم الأصنام التي حول الكعبة وبمكة، وأذن له بلال علي ظهر الكعبة ولم يكتف النبي بذلك بل بعث خالد ابن الوليد إلي العزي وكان بيتاً بنخلة تعظمه قريش وكنانة ومضر، فهدمه، وبفتح مكة تحققت المرحلة الأولي الهامة من توحد الأمة العربية بالإسلام، وخرجت الدولة العربية الإسلامية من نطاق الدولة المدنية إلي نظام الدولة الكبيرة، ولم يمض عام واحد حتي امتد سلطانها إلي جميع بلاد العرب.

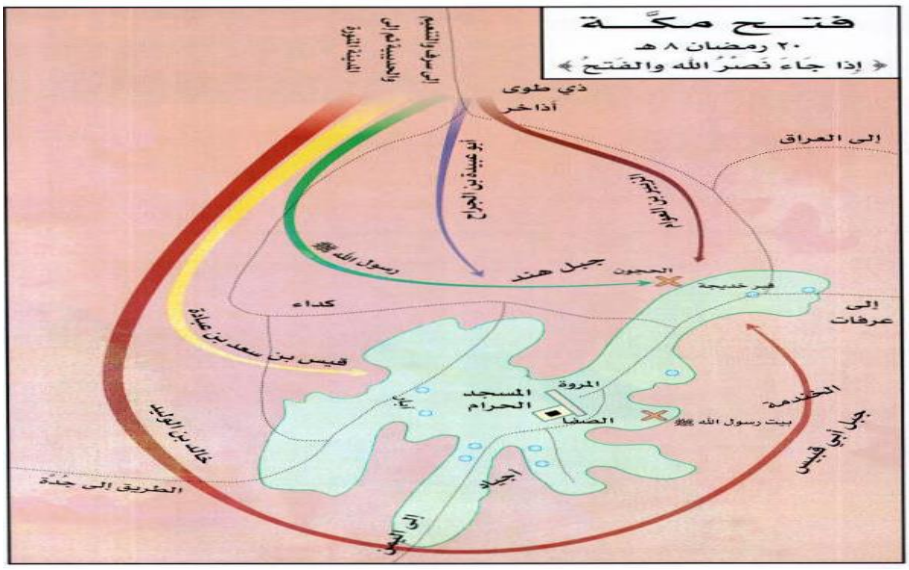

خريطة توضح فتح مكة[٢]

(١) القرآن الكريم، سورة يوسف، آية ٩٣.
(٢) شوقى أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامى ، ص٣٩ .

هـ- حجة الوداع (١٠هـ):

ثم حج النبي ﷺ حجة الوداع في ذي القعدة من العام العاشر ، وشهد انتصار الإسلام علي الوثنية ممثلا في الحشود الهائلة من الحجاج الذين امتلأت بهم ساحة الحرم ، وشهد النبي كيف ارتفعت كلمة الإسلام في هذا العدد الضخم من الحجاج الذي بلغ ما يقرب من مائة ألف حاج من العرب ليس بينهم مشرك واحد.

ولما أدي النبي ﷺ مناسك الحج علي النظام الإسلامي ، وخطب في المسلمين في عرفات خطبته الأخيرة، وعاد إلي المدينة في ١٤ من ذي الحجة سنة ١١هـ ثم مرض مرضه الذي مات فيه يوم ٢٧ صفر وهو في بيت ميمونة أم المؤمنين ، فأستأذن صلوات الله عليه نساءه أن يمرض في بيت عائشة فأذن له فى ذلك وطال مرضه ﷺ أثنى عشر يوماً وقبله أربعة عشر يوماً ثم قبض يوم الاثنين لاثنتي عشرة من ربيع الأول بعد أن أكمل رسالته، وأتم نعمته علي المسلمين أو كما قال الله تعالي "اليوم أكملت لكم دينكم، وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً" .

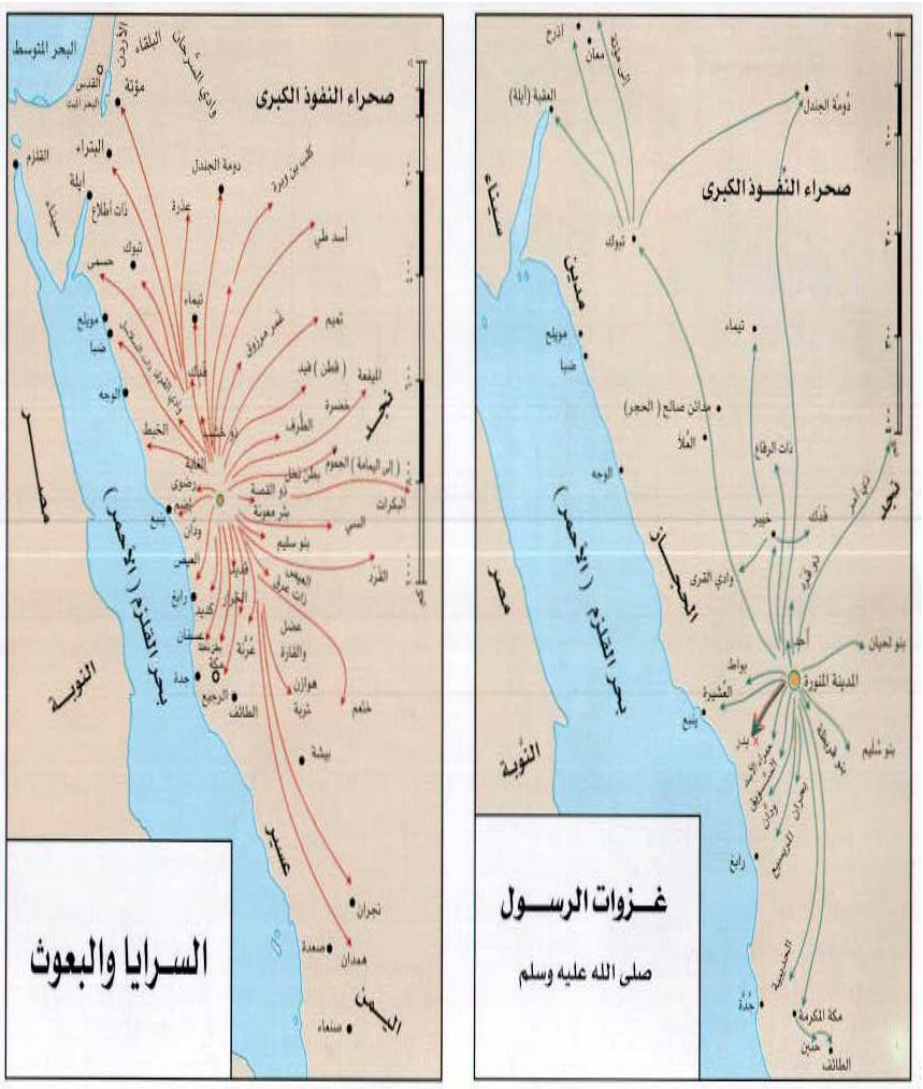

خريطة توضح غزوات وسرايا الرسول (ص)[١]

(١) شوقى أبو ضيف : أطلس التاريخ الإسلامى ، ص٤١ .

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم .**
- **الحديث الشريف**

- سنن الترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨ م .

- **ابن الأثير : (عز الدين أبو الحسن على بن أبى الكرم الجزرى) ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م**

- الكامل فى التاريخ ، تحقيق أبو الفداء عبد الله القاضى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٧م .

- اللباب في تهذيب الأنساب، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠٠م .

- أسد الغابة فى معرفة الصحابة، تحقيق على محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، لبنان، بيروت ١٩٩٦م .

- **ابن الجوزى : (عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي أبو الفرج) ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م**

- المنتظم، دار صادر- بيروت ١٩٢٩ .

- **ابن المعتز : (عبد الله بن المعتز بن المتوكل بن المعتصم بن هارون الرشيد) ت ٢٩٦هـ/ ٩٠٨م**

- طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، القاهرة ١٩٥٦.

- **ابن حجر : (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلانى الشافعى) ت٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م**

- الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد البجاوى، دار الجيل، بيروت ١٩٩١م .

- **ابن حزم : (أبو محمد على بن أحمد بن سعيد) ت٤٥٦هـ/١٠٦٣م .**

- الإحكام في أصول الأحكام، دار الحديث، القاهرة ١٩٨٣.

- نقط العروس فى تواريخ الخلفاء (ضمن رسائل ابن حزم الأندلسى، ج٢، تحقيق إحسان عباس، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٩٨٧م .

- جمهرة أنساب العرب، تحقيق لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت ٢٠٠١ م .

- **ابن خرداذبة : (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) ت٣٠٠هـ/ ٩١٢م** – المسالك والممالك ، مطبعة بريل، ليدن ١٨٨٩م .

- **ابن خلدون : (عبد الرحمن بن خلدون) ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م .**

- العبر وديوان المبتدأ والخبر المعروف بتاريخ ابن خلدون، تحقيق خليل شحادة ، سهيل ذكار، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠م .

- **ابن خلكان : (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان) ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م .**

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : تحقيق إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ١٩٩٤م .

- **ابن عبد البر : (الحافظ يوسف بن عبد البر النمرى) ت٤٦٤هـ/١٠٧١م**

- الإستيعاب فى معرفة الأصحاب، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٦.

- الدرر فى اختصار المغازى والسير، تحقيق: شوقى ضيف، دار المعارف، ط٣، القاهرة ١٩٨٢م .

- **ابن عبد الحكم : (أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله عبد الحكم بن أعين القرشى المصرى) ت٢٨٧هـ/٩٠٠م .**

- فتوح مصر، مكتبة مدبولى، ط٢، القاهرة ١٩٩٩.

- **ابن عبد ربه : (أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى) ت ٣٢٨هـ/٩٣٩م**

- العقد الفريد، تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٨٣.

- **ابن عساكر : (الامام العالم الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر) ت٥٧١ هـ/ ١١٧٥م**

- تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق علي شيري، دار الفكر، بيروت ١٩٩٨م .

- مختصر تاريخ دمشق، تحقيق إبراهيم صالح، دار الفكر، دمشق١٩٨٧م .

- ابن قتيبة الدينورى : (أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة الدينورى) (ت ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م)

- الإمامة والسياسة، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٧م .

- الشعر والشعراء، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار المعارف،ط٢، القاهرة ١٩٥٨.

ابن كثير : (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقى) ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م

- البداية والنهاية،مكتبة الصفا، القاهرة ٢٠٠٣م .

- تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، القاهرة ١٩٩٩م .

- **ابن منظور : (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم) ت٧١١هـ/١٣١١م**

- لسان العرب، دار صادر، بيروت ١٨٨٢.

- **ابن هشام : (أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى) ت٢١٣هـ/٨٢٨م**

- السيرة النبوية، تقديم وتعليق : طه عبد الرؤف سعد، دار الجيل، ط٢، بيروت ١٩٧٥م .

- **أبو الفداء : (عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر) ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م**

- تقويم البلدان، إعتنى بتصحيحه وطبعه رينود البارون، ماك توكين، صادر، بيروت (د . ت) .

- **أبو الفرج الأصفهانى : (أبو الفرج على بن حسين القرشى الأموى)** ت ٣٥٧هـ/٩٦٧م

- الأغانى، تحقيق سمير جابر، دار الفكر، ط٢، بيروت (د . ت) .

- **أبو عبيد : (القاسم بن سلام بن مسكين بن زيد الأزدى) ت٢٢٤هـ/ ٨٣٨م**

- الأموال، تحقيق محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة ١٩٨٩م .

- نسب قريش، تعليق : ليفى بروفنسال، دار المعارف، ط٣، القاهرة ١٩٥٣م .

- **أبو يعلى : (القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء)**

ت٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م

- الأحكام السلطانية، تحقيق محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت

٢٠٠٠م .

- **الإدريسى : (أبو عبد الله محمد بن عبد العزيز) ت ٥٤٨هـ/١١٥٤م**

- نزهة المشتاق فى إختراق الأفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د. ت)

- **الألوسى : (أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي) ت ١٢٧٠هـ/١٨٥٣م**

- روح المعانى فى تفسير القران العظيم، دار إحياء التراث العربى، بيروت لبنان، (د. ت) .

- **الحميدى : (أبو عبد الله بن محمد بن نصر الأزدى) ت٤٨٨هـ/١٠٩٥م .**

- جذوة المقتبس فى ذكر ولاة الأندلس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٢،

القاهرة ٢٠٠٨م .

- **الحميرى : (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم) ت٧١٠م/١٣١٠م**

- الروض المعطار، تحقيق إحسان عباس، دار السراج، مؤسسة ناصر للثقافة، ط٢، بيروت ١٩٨٠م .

- الحميرى صفة جزيرة الأندلس (منتخبة من كتاب الروض المعطار فى خبر

الأقطار) تحقيق ليفى بروفنسال، دار الجيل، ط٢، بيروت١٩٨٨م .

- **الذهبى :(شمس الدين أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان) ت٧٤٨هـ/١٣٧٤م**

- العبر في خبر من غبر، تحقيق أبو هاجر محمد السعيد بسيوني، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٨٥.

- تذكرة الحفاظ، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ١٩٩٨م .

- تهذيب سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨١م .

الرازى : (محمد بن أبي بكر بن عبد القادر) ت حوالى سنة ٦٦٦هـ/١٢٦٨م

- مختار الصحاح، مكتبة لبنان، لبنان ١٩٨٩م .

- **الزبيدى : (أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى) ت٢٣٦هـ/٨٥٠م**
- **الزمخشرى : (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد) ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م**

- أساس البلاغة، تحقيق محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٨.

- **الزهرى : (أبو عبد الله محمد بن أبى بكر) توفى أواسط القرن السادس الهجرى/ الثانى عشر الميلادى**

- كتاب الجغرافية، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة،(د . ت).

- **السرخسى : (شمس الدين أبو بكر محمد بن أبي سهل) ت٤٩٠هـ/١٠٩٦م**

- المبسوط، تحقيق خليل محي الدين، دار الفكر، بيروت ٢٠٠٠م .

- **السمعانى : (الإمام أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمى) (ت٥٦٢هـ/١١٦٦م)**

- الأنساب، تعليق: عبد الله بن عمر البارودى ، دار الجنان، بيروت ١٩٨٨.

- **السيوطي : (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر محمد الخضيري) ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م**

- تاريخ الخلفاء، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة١٩٥٢ .

- الخصائص الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٥م .

- **الشهرستانى : (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم) ت٥٤٨هـ/١١٥٣م**

- الملل والنحل، تحقيق محمد محمد فريد، المكتبة التوفيقية،القاهرة (د . ت) .

- **الشوكانى : (محمد بن على بن محمد) ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م**

- فتح القدير الجامع بين فن الرواية والدراية من علم التفسير، مراجعة يوسف الغوش، دار المعرفة ، ط ٤،بيروت ٢٠٠٧م .

- **الشيبانى : (محمد بن الحسن) ت ١٨٩هـ/ ٨٠٤م**

- السير الكبير، تحقيق أبو عبد الله حسن محمد حسن، دار الكتب العلمية،

بيروت – لبنان ١٩٩٧م.

- **الصاحب بن عباد : (أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس) (ت ٣٨٥هـ/٩٩٥م)**

- المحيط في اللغة، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٧٥م .

- **الصفدى : (صلاح الدين خليل بن أيبك) ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م**

- الوافى بالوفيات تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت ٢٠٠٠م.

- **الضبى : (أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة بن يحيى) ت٥٩٩هـ/١٢٠٣م**

- بغية الملتمس، تحقيق إبراهيم الإيبيارى، دار الكتاب المصرى، القاهرة ١٩٨٩م .

- **الطبرى : (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى) ت٣١٠هـ/ ٩٢٢م .**

- تاريخ الأمم والملوك (المعروف بتاريخ الطبرى)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٦م، .

- جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، القاهرة ٢٠٠٠م .

- **الفيروز آبادي : (مجد الدين محمد بن يعقوب) ت٨١٧هـ١٤١٤م**

- القاموس المحيط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط٣، القاهرة ١٨٨٣.

- **الفيومى (أحمد بن محمد بن على المقرى) ت٧٧٠هـ/١٣٦٨م**

- المصباح المنير : مكتبة لبنان ، بيروت١٩٨٧م .

- **القرطبى : (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر) ت٦٧١هـ/١٢٧٢م**

- تفسير القرطبى الجامع لأحكام القران والمبين لما تضمنه من السنة وأي الفرقان، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، د ار الكتب المصرية، ط٢، القاهرة ١٩٦٤م .

- **القزوينى :(زكريا بن محمد بن محمود) ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م**

- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت١٩٦٠.

- **القلقشندى : (أبو العباس أحمد بن على) ت٨٢١هـ/١٤١٨م**

- نهاية الأرب في معرفة الأنساب العرب، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب اللبنانى، ط٢، بيروت ١٩٨٠م .

- قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، تحقيق إبراهيم الإبيارى، دار الكتاب المصرى، ط٢، القاهرة ١٩٨٢م، .

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق يوسف علي طويل، دار الفكر، دمشق١٩٨٧م .

- **الماوردى : (أبو الحسن على بن محمد) ت٤٥٠هـ/١٠٥٨م**

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق د أحمد مبارك البغدادى، دار ابن قتيبة، الكويت ١٩٨٩م .

- الحاوي في فقه الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٤م .

- **المسعودى : (أبو الحسن على بن الحسين بن على) ت٣٤٦هـ/٩٥٧م**

- مروج الذهب، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الفكر، ط ٥،
بيروت ١٩٧٣.

- **المقدسى : (شمس الدين أبو عبد الله محمد) ت ٣٨٨هـ٩٩٧م**

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، تحقيق: غازي طليمات، وزارة الثقافة،
دمشق١٩٨٠.

- **المقدسى : (المطهر بن طاهر) ت ٥٠٧هـ/١١١٣م**

- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د . ت).

- **ياقوت الحموى : (شهاب الدين أبو عبد الله) ت٦٢٦هـ/١٢٢٩م**

- معجم البلدان ، دار صادر، بيروت ١٩٧٧م .

اليعقوبى : (أحمد بن أبى يعقوب بن واضح) ت٢٨٤هـ/٨٩٧م
البلدان ، مطبعة ليدن ١٨٩١م .

المراجع العربية

- **إبراهيم القلا :**

- تاريخ مصر الإسلامية وجوانب من حضارتها منذ الفتح الإسلامى حتى نهاية العصر الفاطمى (٢٠ – ٥٦٧هـ/ ٦٤٠– ١١٧١م دار العلم والإيمان، القاهرة ٢٠٠١م.

- نظم الحضارة العربية الإسلامية، دار العلم والإيمان، القاهرة ٢٠٠٧م .

- **إبراهيم بن محمد بن حسين العلي :** صحيح السيرة النبوية ، دار النفائس للنشر والتوزيع، لأردن١٩٩ م .

- **أحمد سعد العش**: حروب الردة" دارسة تحليلية"، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠١٥م .

- **أحمد غلوش**: السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي، مؤسسة الرسالة٢٠٠٣م.

- **أكرم بن ضياء العمري** : السِّيرةُ النَّبَويةُ الصَّحيحَةُ، ط٦، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة،١٩٩٤م .

- عصر الخلافة الراشدة محاولة لنقد الرواية التاريخية وفق منهج المحدثين، مكتبة العبيكان - الرياض٢٠٠٩ م .

- **جواد علي** : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ط٤، دار الساقي، بيروت٢٠٠١م.

- الأمام الأعظم ، العراق ٢٠٠٧م .
- **خير الدين الزركلي** : الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥ ، بيروت ٢٠٠٢ م.
- **حسن إبراهيم حسن:**
- سيرة عمرو بن العاص ، دار ابن خلدون ، ط ٢، الإسكندرية ١٩٢٤ م .
- **خير الدين الزركلى :**

- الأعلام، دار العلم للملايين، ط ١٥ ، بيروت ٢٠٠٢ م.
- **سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث:** أطلس حروب الردة في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، ط٢ ، مكتبة العبيكان ، الرياض ٢٠١٥م .
- **سليمان الندوي الحسيني :** سيرة السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ،تحقيق :محمد حافظ الندوي، دار القلم٢٠٠٣م.
- **الصَّلاَّبيَّ :**

- الدولة الأموية عوامل الإزدهار وتدعيات الإنهيار، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٠ .
- عمر بن عبد العزيز، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة ٢٠٠٦ م.
- السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث، دار الدعوة، الإسكندرية ٢٠٠٨ م
- **عبد اللطيف عامر:**

- أحكام الأسرى والسبايا فى الشريعة الإسلامية، دار الكتب الإسلامية، القاهرة ١٩٨٦م .

- **محمد أبو زهرة:** خاتم النبيين ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٤٢٥ هـ **صفي الرحمن المباركفوري:**

- الرحيق المختوم، دار ابن خلدون ،الإسكندرية، (د ت)

- **محمد حميد الله:**

- مجموعة الوثائق السياسية فى العصر النبوى والخلافة الراشدة، ط٦، دار النفائس بيروت١٩٨٧ .

- **محمد خير هيكل:**

- الجهاد والقتال فى السياسة الشرعية، ط ٢، دار البيارق، لبنان بيروت١٩٩٦ م.

- **محمد رواس قلعه جي، حامد صادق قنيبي:**

- معجم لغة الفقهاء : دار النفائس، ط ٢، بيروت ١٩٩٨ م.

- **محمد سهيل طقوش:** تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية ، دار النفائس ، بيروت ٢٠٠٣م .

- **محمود شيت خطاب** : الرسول القائد، ط٦، دار الفكر - بيروت١٤٢٢ هـ .

- **محمد صبحى حسن:**

- الإيضاحات العصرية للمقاييس والمكاييل والأوزان زالنقود الشرعية، مكتبة الجيل الجديد، اليمن ٢٠٠٧ .

- **مصطفى عبد الكريم:**

- معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٦

المراجع المعربة

- **ألفرد ج ؛ بتلر :**

- فتح العرب لمصر، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ، المركز العربى للنشر والتوزيه ، ط٢، القاهرة (د . ت) .

- **فلهاوزن يوليوس :**

- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، ترجمة : محمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة ١٩٥٨م.

- **كي لسترنج :**

- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة : بشير فرامسيس – كوركيس عواد ، مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت ١٩٨٥م .

- **ول ديورانت :**

- قصة الحضارة، ترجمة : زكي نجيب ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٦٨م .

الدوريات العلمية .

- **عبد الله بن سليمان المنيع :**

- تحويل الموازين والمكاييل الشرعية الى المقادير المعاصرة، مجلة البحوث الإسلامية، إدارة البحوث العلمية والإفتاء، العدد التاسع والخمسون الرياض، ٢٠٠٠م، ص ١٨٤ .

- **الموسوعة الفقهية الكويتية**

- وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية – الكويت، مطابع دار الصفوة، القاهرة١٩٨٣.

مواقع الإنترنت

https://2u.pw/PcdqZ .

- https://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=106493

https://www.alsiraj.net/sira/html/page00.html

نزار محمود قاسم : الأطلس الجغرافي الإلكتروني لسرايا النبيﷺ متاحاعلي الإنترنت :
http://www.islamsyria.com/portal/uploads/CMS/maktabah/hgh;gshg[yvhtd.pdf

نزار محمود قاسم : الأطلس الجغرافي الإلكتروني لسرايا النبي
متاحاعلي الإنترنت :
http://www.islamsyria.com/portal/uploads/CMS/maktabah/hgh;gshg[yvhtd.pdf

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول **الحياة العرب قبل الإسلام** ١- الحياة الدينية عند العرب..... ٢-الحياة الاجتماعية عن العرب ..... ٣-الحياة السياسية ..... ٤- الحياة الإقتصادية ..... **الفصل الثاني** **البعثة النبوية وحياة الرسول ﷺ فى مكة** ١- محمد ﷺ قبل البعثة ..... ٢- البعثة النبوية ..... ٣-قيام الدولة العربية الإسلامية فى المدينة ..... **الفصل الثالث : الصراع بين مكة والمدينة** ● غزوة بدر سنة ٢هـ..... ● غزوة أُحَد سنة ٣هـ..... ● غزوة الأحزاب (الخندق) ٥هـ..... ● صلح الحديبية إلى حجة الوداع.....	